د. أحمد بن نعمان

فرنسا والأطروحة البربرية

الخلفيات، الأهداف، الوسائل والبدائل



الدكتور أحمد بن نعمان

فرنسا و الأطروحة البربرية

الخلفيات، الأهداف، الوسائل، البدائل

الطبعة الثانية
1997



الطبعة الثانية
1417 هـ / 1997 م

شركة دار الأمة
للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع

ص.ب. 109 برج الكيفان
120 16 الجزائر
الهاتف: 04 22 20 (02)
الفاكس: 04 24 20 (02)

تصميم الغلاف
محمد سنوسي

الطبعة الأولى
رجب 1990 م

ايداع شرعي
97 / 3

ISBN. 9961-67-022-1 ردمك



الاهـــــــداء

الى كل من سار ـ مخلصاـ في درب الجهاد الطويل، ضد الصليبية، واللاتينية والتغريب قديما...

والفرنسة، واللائكية الدينية و "اللغوية" حديثا...

وفي طليعة هؤلاء المجاهدين، عقبة وطارق في الأولين، وعبد القادر وفاطمة انسومر وابن باديس وابن بولعيد وابن مهيدي وعميروش والحواس وأمثالهم من المجاهدين الأحياء منهم والمنتظرين في الآخرين... من اجل أن تعود الجزائر حرة قوية، وتظل مسلمة عربية.

المــــؤلف

مقدمة الطبعة الثانية

عندما صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة 1990 تعرف القرّاء على حقائق مذهلة واكتشفوا مؤثرات رهيبة ضد الوطن ووحدة الأمة، جعلتهم يذكرون بعض خلفيات الصراع المتواصل من أجل تحقيق الاستقلال التام عن فرنسا التي أخرجها الأحرار من بعض الديار... وفي نفسها الشيء الكثير من الحقد المكبوت والرغبة الملحة في الثأر والانتقام من شعب الشهداء بالعملاء الذين غرستهم ووطّنتهم المخططات، وتعهدتهم ورقّتهم التواطؤات والخيانات... فاستؤمنوا على مقدرات الأمة في أهم مقدساتها ومؤسساتها الحيوية والحساسة، تحت شعار "عفا الله عما سلف" وتحت شعار " الخبرة الفنية" و"الأقدمية الوظيفية" فباتوا بحكم الامتيازات والحصانات المكتسبة في المرحلة الجديدة مطلقي الأيدي والأرجل لاتمام المهمة بالنيابة عن أولياء النعمة في الاستحواذ على مكاسب الاستقلال "بالاستحلال" والتخطيط في هدوء وطمأنينة للعودة إلى الوراء من نفس الثغرات الملغمة التي أحدثوها في الجدار الوطني ذات يوم احتياطا وأملا في اعادة الكرة لتحقيق الهدف المنشود في اليوم الموعود تحت غطاء "الشرعية الدولية" والحق في فرض التعددية اللغوية لصالح "الأقلية العرقية والقومية" التي ما انفك خبراؤها يُروّجون لها بكل الوسائل وينفخون في رمادها لاشعال نار فتنتها ضمن مجال نفوذهم اللغوي في الضفة الغربية لجنوب "البحيرة" المتوسطية التي يأبون إلا أن تبقى تحت الهيمنة الفرنسية!!

كل ذلك كان الكتاب قد تناوله بكيفية غير معهودة من الجرءة والشمولية في الطرح والدقة في التشخيص، والصراحة في العلاج واقتراح البدائل، والوضوح في الرؤية المستقبلية التي أثبتت الأيام اللاحقة (وبكل تواضع) مصداقية توقعاتها في العديد من المجالات والأحداث اللاحقة كما سيتبين القارئ ذلك بنفسه من خلال إعادة قراءة المقدمة وبعض الفصول ذات الطابع الاستشرافي المبني على معطيات صحيحة ومقدمات سليمة ...

وهذا ما يفسر نفاذ الطبعة الأولى من الكتاب في أقل من سنة غير أن عوامل متعددة (ليس هنا مجال لذكرها) حالت دون إصدار طبعات لاحقة له، سواء بلغته الأصلية، أو بترجمات كما كان مقترحا على المؤلف من بعض الجهات والشخصيات الوطنية...وقد أعدت الترجمة إلى اللغة الفرنسية في حينه، وقدمت إلى عدد من دور النشر في الجزائر والمغرب وفرنسا ذاتها، ولكنها لم تجد سوى الرفض المرفوق باعتذارات مفادها التخوف من نشر هذا الكتاب الذي يسير عكس التيار، وضد مصالح الطرف القوي والقادر على إلحاق الضرر بالدار التي تقدم على نشره!! (وقد ننشر هذه الردود المكتوبة مستقبلا إذا واتت الفرصة ذلك)

ونظرا لأن موضوع الكتاب ما يزال حيا يتصدر بعض أحداث الساعة والساحة الوطنية والجهوية، وسيظل كذلك -في اعتقادنا- لسنوات عديدة قادمة لارتباطه بمصالح استراتيجية لقوى نافذة في المنطقة... إلى أن تستكمل الجزائر والدول المجاورة لها مقومات استقلالها وهويتها وسيادتها بالكامل من نفس المستعمر السابق باستئصال جميع مخلفاته من مراكز ومواطن التأثير في الواقع!

ونظرا لأن غيوم الإرهاب الفكري الأحادي الذي ظل سائدا في البلاد لعدة سنوات قد بدأ في الانقشاع لصالح الحق والوطن، وأخذت ردتها الظلامية الظالمة تتقلص من الساحة بعودة المبادرة والثقة بالنفس لأصحاب هذا الحق، ببداية عودة المياه الديمقراطية لمجاريها الانتخابية في جو من الحد الأدنى

المضمون لحرية التعبير والبحث والتقرير المكفولة "بالنصوص" القاضية بمقارعة الحجة بالحجة وليس قمع الفكرة بالعصا والصولجان، والصاق التهم الجائرة لأي كان في أي آن... دون محاكمة أو دفاع لاثبات التهمة أو ابطالها بالبينة والبرهان!!

واقتناعا بأنه من الجريمة بمكان في حق الوطن والتاريخ أن يتجرأ أعداء الأمة وأبناؤها المرتدون على الجهر بالكفر، والدفاع عن الباطل بالباطل، ويصمت في وجل أو يجبن في خجل أبناؤها الشرعيون عن القيام ببعض الواجب في دحض الباطل والدفاع عن الحق بالحق، وفاء للشهداء وفضحا لمناورات ومؤامرات الأعداء!!

وتلبية مني لرغبة آلاف القراء الذين مازالوا يطلبون الكتاب من داخل الوطن ومن خارجه في الأقطار الشقيقة الذين قرأوا عنه العديد من الأخبار والتعاليق في الصحف العربية، وخاصة جريدة "الشرق الأوسط" التي اشترت حقوق نشره بالكامل في حلقات (خلال شهر أغسطس 1990).

بناء على ذلك كله، قررت إعادة إصدار هذه الطبعة الجديدة من الكتاب في دار نشر جديدة، وبمقدمة وإضافات وتعاليق وملاحق جديدة اقتضتها الظروف الجديدة...

ومراعاة لانخفاض القدرة الشرائية لدى القارئ من جهة، وارتفاع تكلفة الطباعة والنشر من جهة أخرى... فقد أرتأيت تقليص عدد صفحات الكتاب إلى النصف تقريبا، وذلك بحذف بعض الفصول الواردة في الطبعة الأولى، واقتصرت على ثمانية منها، مما هو ذو صلة عضوية، وعلاقة وظيفية ومنهجية صميمة بالموضوع... وأدرجت الفصول المحذوفة من هذه الطبعة في الطبعة الجديدة من كتابي القديم "كيف صارت الجزائر مسلمة عربية؟" الصادر عن دار البعث بقسنطينة سنة 1981.

وهكذا سيعاد نشر الكتابين معا في نفس الوقت، وفي حلة جديدة، وبأسعار مناسبة جدا بعد تخفيض التكلفة إلى النصف تقريبا...

وهذا كله خدمة لما نراه أنه الحق في المعرفة والتوعية والتثقيف، وهو قبل كل شيء، حق الأمة على من قد يضعهم القدر في عداد المحسوبين على الثقافة من أبنائها، ويقع على عاتقهم واجب الدفاع على هذا الحق والتزام توخيه والسير في نهجه ـ دون انحراف أو التفاف ـ اضطلاعا بهذه الرسالة التي تعتبر تكليفا من الأمة لهم وضريبة منهم لها، بقدر ما تعتبر تشريفا منها لمن يستحقها من هؤلاء الأبناء الجديرين بهذه البنوة وهذا الانتماء.

المؤلـــف

الجزائر في 25 - 01 - 1997

مقدمة الطبعة الأولى

يُعْرَف سكان شمال إفريقيا عموما، (أو المغرب العربي حاليا) منذ القديم باسم البربر، وهذه المجموعة السكانية تتوزع على الرقعة الجغرافية الممتدة من المحيط الأطلسي غرباً الى أقصى الحدود الليبية المصرية شرقا ... حيث ما يزال الى يومنا هذا من بين السكان في بعض المناطق الريفية والجبلية البعيدة ـ عموماـ عن العمران، والإشعاع الحضاري العربي الإسلامي عبر القرون ... من يستعملون في حديثهم اليومي الدارج بكيفية تلقائية مختلف اللهجات المحلية المتفرعة ـ أصلا ـ عن البربرية الأولى «المفترضة» المندثرة من الوجود منذ عشرات القرون ... والتي تختلف اختلافاً بينا وجوهريا عن اللهجات «البربرية» الحالية التي ما يزال سكان تلك المناطق يستمدون أسماء قبائلهم منها، والذين نجد من بينهم في المغرب الأقصى على سبيل المثال:

«الشلح» «الريافة» «السوس» وهم القبائل الذين ما يزالون يستعملون على التوالي «تاشلحيت» «تاريفيت» «تامازيغت» .

وفي الجزائر : نجد الأكثر اشتهارا هم : الشاوية، القبائل (الصغرى، والكبرى) الميزابيون، (أو بنو ميزاب)، التوارق، الشناوة، والرقيبات ... وكل هذه المجموعة تنتسب باسمائها الى لهجاتها المحلية، وهي على التوالي كما هو معروف «ثاشويت» «ثاقبايليث» «ثامزابيث» «ثاتارقيث» «ثارقيبيث» «ثاشنويث» الخ ... وعلى هذا المنوال يمكن أن نذكر أيضا الجَرابة في تونس، والغَرابة أو العزابة بالجبل الغربي بليبيا ...

على أن مـا يجـدر ذكـره في كل هذا هو أن مـعظم هؤلاء السكان (ذوي الانتسابات القبيلية المختلفة) لا يستطيعون التفاهم فيما بينهم دون اللجوء إلى اللغة الحضارية والثقافية المشتركة ألا وهي اللغة العربية، سواء في شكلها القرآني الفصيح، أو في شكلها العامي الدارج، ... ومن ثمة فإن أي طرح للمسألة البربرية على أي أساس (قَبَلي أو جَبَلي) داخل أي قطر عربي مغربي على حدة، هو طرح تفتيتي انعزالي انفصالي عن بقية سكان المناطق الأخرى داخل القطر الواحد، ناهيك عن الوطن الأكبر الذي كان وما يزال يصبو الى تحقيقه كل المخلصين من الموحدين في هذه الأمة .

وان المهتم بشؤون الساعة والساحة الوطنية والقومية المتتبع لظواهر ومظاهر التطور الإجتماعي والتغير (السياسي ـ الثقافي) الحاصل في هذه الأقطار نتيجة الارتخاء الملموس لخيوط الكمامات التي كانت موضوعة على الأفواه الناطقة (وغير الناطقة) يلاحظ أن الديمقراطية وحرية التعبير التي تعتبر حقا عزيز المنال تهون في سبيله الحريات والأعمار لدى العديد من الشعوب المكبلة والمكممة ... قد يصبح هذا الحق من ذلك النوع الذي يراد به باطل اذا وضع (ومن غير شروط دقيقة ومحكمة) في أيادي قصّر وارثين للثروة عن الآباء أو الأجداد دون تعب أو مشقة، يتولى رعايتهم وتوجيههم أدعياء للقرابة والنسب، قتلوا الآباء ثم نصبوا أنفسهم أوصياء على الأبناء حتى يشتد عودهم ويعتمدوا على أنفسهم في التوقيع على عقد الهبة أو البيع (...) للقريب قبل الغريب !!

واذا لم يكن ليوجد في الدنيا ورد من غير شوك، فالحكمة تقتضي من العاقل أن يعمل على تفادي الشوك من الورد، بدلا من أن يحصد الشوك دون الورد. وهذا هو نوع الحصاد الذي سخر لخدمة باطل في بلداننا النامية ديمقراطيا...

واذا لم يكن من الحكمة ولا من الشجاعة رفض الورد من أجل الشوك، فمن الغباء ـ أيضا ـ حصد الشوك من غير ورد! ومن هنا ينطلق الرهان في اللعبة الديمقراطية والتعددية التي أوجدتها بلدان، واستوردتها بلدان من بلدان، وصدرتها

بلدان الى بلدان، وشجعتها بلدان في بلدان ... على أن إسم الديمقراطية اذا كان واحدا فان المسمى يبدو جد مختلف، في العديد من الأفهام، وهو راجع الى كون ما هو صالح لبلد، أو في بلد، قد لا يكون بالضرورة صالحا بنفس الكيفية ونفس الشروط (بكيفية مسطرية) لبلد آخر، ولو كان الناس ذوي ثقافة واحدة لكانوا أو لكوّنوا ـ منذ الأزل الى الابد ـ أمة واحدة !

ومن هنا يمكن تقسيم استقلال الأمم والشعوب من الناحية الاصطلاحية والموضوعية الى قسمين اثنين، لا يتم الاستقلال الحقيقي لاية أمة أو شعب الا بتكاملهما معا، ولا يتم الاحتلال الحقيقي ـ أيضا ـ لاية أمة، و اقام السيطرة للغاصب على مقدراتها، الا بزوالهما معا ألا وهما:

اولا. استقلال الجنسية:

و هو أن يصبح للشعب المحتل جنسية مغايرة لجنسية الدولة التي كانت تحتل أرضه وما يستتبع ذلك من وجود علَم وطني، وعملة وطنية ونشيد وطني، تمثل جميعها رموز السيادة على التراب الوطني ... وهذا النوع من الاستقلال سهل المنال نسبيا، والدليل على ذلك أن أكثر من ثلاث عشرة دولة افريقية حصلت عليه دفعة واحدة دون حرب، في فترة رئاسة الجنرال دوغول أثناء ثورة التحرير الجزائرية المسلحة (1954 ـ 1962) (أنظر مذكرات الجنرال دوغول : الأمل...) وذلك للتفرغ المادي والمعنوي للقضاء على هذه الثورة، لكون الجزائر ظلت دائما تمثل البوابة الاستراتيجية للاستقلال والاحتلال ـ في نفس الوقت ـ لجل البلاد الافريقية الأخرى في المنظور الفرنسي ... بدليل أن جميع الأقطار الافريقية قد احتلتها فرنسا بعد احتلال الجزائر، ومنحتها الاستقلال السياسي (أو استقلال الجنسية) قبل استقلال الجزائر سنة 1962 والذي دفعت فيه الجزائرمن الشهداء، وتركت فيه فرنسا من الاشلاء، ما يفوق بأضعاف مضاعفة ما تركته فرنسا في غير الجزائر، وما دفعته المستعمرات الفرنسية في افريقيا مجتمعة، على امتداد فترة الاحتلال الأصغر لها !!

ثانيا- استقلال الشخصية :

وهذا النوع من الاستقلال هو الأصعب دوما! كما أنه لا يتم بسهولة بعد احتلال الجنسية ولا ينتهي بسرعة أو بسهولة - أيضا - بعد استقلال الجنسية، وهنا تكمن القضية !!

فالاستراتيجية الاستعمارية (التقليدية والعصرية معا) بامكانها أن تتخلى عن عشرات الاستقلالات للجنسية، ولا تتخلى عن استقلال واحد للشخصية *، لأي قطر مهم من مستعمراتها السابقة، وخاصة اذا كان هذا القطر في حجم وأهمية الجزائر، التي لو استقلت شخصيتها (العربية الإسلامية) استقلالا كاملا بالاضافة الى استقلال الجيران الاشقاء في المغرب العربي، سيقضي - حتما - على احتلال الشخصية للبلدان الافريقية الاخرى غير العربية، والذي تراهن عليه الاستراتيجية الفرنسية في الوقت الحاضر، وستصبح - نتيجة لذلك - جل البلاد الافريقية المقسمة حاليا الى دول فرنكوفونية (أي ناطقة بالفرنسية) ودول انجلوفونية (ناطقة بالاجليزية) الى دول (إسلاموفونية) أي مسلمة ناطقة بالعربية، كلغة حضارة (متعايشة مع لغاتها، ولهاجتها المحلية غير المكتوبة) الى جانب انها لغة عقيدتها الصامدة أمام المد الصليبي منذ قرون في القارة السمراء !

وهكذا، فلكي يسترجع الاستعمار الفرنسي باليمنى ما افقتده باليسرى، كان لزاما عليه أن يضع ثقله للحيلولة دون تحقيق استقلال مقومات الشخصية للجزائر، ولا استقلال للشخصية، كما هو معلوم، دون استقلال تام للثقافة في عمومياتها وثوابتها الطابعة والمميزة لأية أمة من الأمم الحية في هذا الوجود، عن الأمم الأخرى، ولا تحقيق للاستقلال الثقافي لاية أمة بدون تحقيق الاستقلال اللغوي الذي يبدأ من استعمال اللغة الوطنية في نظم أبيات الشِّعْر، ونسج بيوت الشَّعْر الى اختراع القنابل الذرية واطلاق الصواريخ العابرة للقارات والمحيطات

★ المقصود بالشخصية هنا هي مقومات الهوية الوطنية والقومية التي يطلق عليها عادة اسم الثوابت الوطنية (بالنسبة للجزائر وبلاد المغرب العربي عموما)وفي مقدمة هذه الثوابت: الإسلام واللغة العربية.

والحاملة للأقمار الاصطناعية في طبقات الجو العليا ... مثلما هو الشأن الطبيعي لدى الأمم ذات الشخصية المستقلة الجديرة بالبقاء في عالم الاقوياء، ولا نعدم الأمثلة الكثيرة عن مثل هذه الأمم المستقلة الشخصية اليوم والتي لم يكن بعضها شيئا مذكورا قبل قرن من الزمان، والحقيقة بعبارة أخرى تنحصر في أن بقاء استقلال الشخصية لاي شعب في الدنيا كفيل باسترجاع استقلال الجنسية ولو بعد ضياعها، مهما طال الزمن، مثلما وقع لألمانيا ـ مثلا ـ مع فرنسا أو اليابان ـ الى حد ما ـ مع أمريكا، أو الفياتنام مع فرنسا، أو فرنسا ذاتها مع ألمانيا، أو اليابان مع كوريا، ويمكن أن يضاف اليه مستقبلا يوغسلافيا و بلجيكا، و كندا واسبانيا وقبرص، و تركيا و ربما سويسرا و ايطاليا من جهة ... وما حدث في ألمانيا، والفياتنام، واليمن والصين، وما قد يحدث مستقبلا في كوريا وأزرابيجان، وأرمينيا و كردستان ... من جهة أخرى لأسطع برهان على ما نقول حيث يبرهن لنا المثال الأول على عدم جدوى الجمع القسري لأمم متميزة الشخصية، في جنسية سياسية واحدة، حيث لا تلبث أن تطالب ذوات الشخصية المتميزة بالاستقلال السياسي (أو استقلال الجنسية) لمجرد أن تشم قيود الاستبداد رياح الحرية، ويبرهن لنا المثال (الحي) الثاني، بكيفية ساطعة وقاطعة على عدم جدوى الفصل لافراد أمة واحدة، في دولتين ذات شخصيتين سياسيتين (أو جنسيتين مستقلتين) موزعتين ـ قسرا ـ بين معسكرين متعارضين، حيث لا تلبث الدولة المعزولة أن تطالب بالاندماج الكلي، رغم الجدار (الاسمنتي المسلح) الوهمي، العازل ماديا وسياسيا للجنسية عن الشخصية !! ففي الحالة الأولى يقع انفصال بعد اتصال، لأختلاف الشخصية، وفي الحالة الثانية يقع اتصال بعد انفصال لاتفاق مقوات الشخصية !!

وانطلاقا من الحيثيات السابقة، وادراكا لخطورة المرحلة الراهنة، وتفاديا لكل استغلال محتمل (وغير برئ) للتجربة الديمقراطية الفتية في بعض بلداننا المغربية الموضوعة ـ حاليا ـ تحت المجهر (في المخبر الشمالي) كبوابة (وواسطة بريئة) لا محيد عنها لتبييض وتأبيدالاستعمار الاسود للعقول والقلوب البيضاء في القارة

السمراء، هذه القارة التي ما تزال معظم أقطارها ضائعة في دوامة البحث عن الذات، الخارجة ـ لتوها ـ من قبضة الاحتلال الاصفر، دون أي زاد حضاري لتحصين شخصيتها اتقاء للاحتلال الأكبر ... يتعين على بلداننا المغربية أن تتقن وتعي اللعبة الذكية، حتى لا يصبح بعضهم مطية مفضلة للعبور على ظهرها لتكريس الاستعمار الثقافي واللغوي، وتقاسم النفوذ السياسي والاقتصادي بين دول الشمال، والمتاجرة في سوق المزاد (الجنوبية) في العقول والقلوب بعد الحقول والأجساد الأفريقية !!

لم يجد ارباب سوق الشمال بُدًا من أن يبذلوا قصارى جهدهم لتصيير بلداننا المغربية جنوبيا ثقافيا ولغويا لأوروبا اللاتينية، بعد أن كانت ولقرون خلت، شمالا لإفريقيا المسلمة التي لم تعرف في معظم بلدانها غير لغة القرآن أداة حضارية، ولا حروفا غير الحروف العربية وسيلة لتدوين الأفكار والأشعار، قبل أن تعرف القارة كل هذه الأنواع من الأستعمار القديم والجديد الذي يصر على العودة اليها من نفس الباب (أو الأبواب) التي أخرج منها !!

والشاهد على ذلك أن المتتبع لأحدث التقليعات الاستراتيجية في السياسة الاستعمارية الجديدة ... يلاحظ ما يشبه التراجع التكتيكي عن مبدأ «فرِّق تَسُدْ» ليصبح «جَمِّع تَسُدْ» من باب أن تجارة الجملة أفيد له و أربح من تجارة التجزئة التي كان يمارسها من قبل ... وهذا هو السبب الكامن وراء الحث والتشجيع الذي تتلقاه بلدان المغرب العربي من بعض بلدان سوق الشمال الغربي على ضرورة الاتحاد والظهور بمظهر المحاور الواحد بدلا من محاورين متعددين (1)

والدليل على ذلك اننا بقدر ما نلاحظ الحث من طرفهم على اتحاد بلدان المغرب بمعزل عن بلدان المشرق، نلاحظ المناهضة الشديدة لاتحاد المغرب ببلدان المشرق، وذلك بهدف مواصلة مخططات التفتيت لأطراف الأمة، وابقاء المغرب (الفرنسي) سابقا بمعزل عن المشرق العربي لا حقا، في اطار تقسيم مناطق النفوذ (العسكري) القديم، بمقاييس نفوذ (ثقافي سياسي اقتصادي) جديد، وبرهاننا على ذلك نلاحظه في الشواهد التالية :

1) ـ ان ثلاثة ارباع بلدان المغرب العربي مُنْضَمّـة ـ رسميا ـ الى قمم البلدان الفرنكوفونية في كل من الكبك (بكندا) 1988 وداكار (بالسينغال) 1989 وهذا يجعلها (نظريا على الأقل ومن الناحية الثقافية) بلدانا افريقية أكثر منها عربية في نظر أقطاب الحركة الفرنكوفونية لأن جل البلدان الافريقية غير العربية ليس لها خيار في اختيار أحدى لغات الاستعمار، أما بلدان المغرب، فلها لغة تملك حق (الفيتو) في الأمم المتحدة، الى جانب اللغات الخمس الأخرى، ولذلك فانضمام هذه البلاد المغربية الى قمة داكار، واعتماد لغة (دكار) كوسيلة عمل في ادارة الأمصار كان عن قصد واختيار، مع سبق الإصرار !!

2) ـ لم يثر تعجب وانتباه وحيرة العالَم (غير العالِم) غياب بلد عن قمتي الكبك وداكار أكثر مما أثاره غياب الجزائر . مما جعل بعضهم يَطْمئن نفسه بوصف هذا الإجراء بأنه تصرّف ظرف، و سحابة صيف ! مما يوحي بانقلاب في المفاهيم أرجع الاستثناء قاعدة والقاعدة استثناء في عرف التابعين، وصور غياب ابناء خلدون، وأبناء باديس عن قمة داكار في السنة الماضية عقوقا للوالدين !!

3) ـ ليبحث معي بموضوعية وليفندني كل قارئ للصحافة (الفرنسية) في الجزائر وفي كل أقطار البرية، اذا وجد صفة (عربي) مكتوبة في أي تعرض للحديث عن بناء (المغرب (..؟ ..) الكبير) في السنوات الاخيرة . وهذا التوجيه والتمويه الذي لا يخفى على نبيه، لا يحتاج الى بيان أو برهان بأنه يعني عدم الاعتراض على بناء (المغرب الكبير) اذا كان فرنسيا (أو غير عربي) اللسان والوجدان . والجنسية الحقيقة للأمم والشعوب لا تقاس بالأوراق والجوازات، وانما تقاس بالانتماءات الحقيقية أو الفعلية (الحضارية والثقافية) الناتجة ـ أصلا وفصلا ـ عن انتماءات اللغات المستعملة في الميدان، وليست المقررة باللسان أو المسطرة في البيان !!

فكم كان عندنا في بلدان المغرب العربي سابقا من عرب مسلمين رغم الجنسية الفرنسية، وكم أصبح عندنا من فرنسيين (مسلمين وغير مسلمين) رغم أوراق الجنسية العربية حاليا !

فالعبرة ـ اذن ـ ليست بأوراق الجنسية التي تمنح وقد تمنع، انما هي في الشعور بالهوية والتضحية في سبيل تمثيلها قولا وفعلا، وهو النموذج الفعال؛ لأنه قد حدث ويحدث في الدنيا أن توجد شعوب بدون أوطان أو توجد أوطان بدون شعوب (...) ولكن اذا تعذر تحقيق المثل الأعلى المتمثل في تطابق ثقافة (أي هوية) الشعوب مع جغرافية الأوطان (كما هو الشأن في الحالات الطبيعية والسوية للبلدان) فقد تفاضل الشعوب الذكية، بين العيش كشعب بدون وطن (مع أمل وعمل) كما هو الحال في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان في الوقت الحاضر، على أن تعيش في وطن بدون أمل في تحقيق هوية الشعب، كما هو الحال ـ مثلا ـ في الأراضي العربية المغتصبة (جغرافيا وثقافيا) في فلسطين المحتلة سنة 1948 .

وليقس على هذا المثال ما لم يذكر من الأحوال في بلدان الجنوب أو بلدان الشمال ! .

4) ـ وتأكيدا للنقطة السابقة المتعلقة ببناء المغرب (غير العربي) الكبير ... يلاحظ المتتبع لمراصد الاستقصاء الغربي، بدون استثناء، أن التحفظ الكبير كان على الوفاق الأخير بانضمام قطب خامس فاعل، لن يكون لهم عليه تأثير، بلغة فولير أو شكسبير، الى جانب التخوف من دوره الفعال في مد الجسر الذهبي الرابط بين المغرب العربي الكبير والمشرق العربي الأكبر* . ويضاف الى هذا وذاك قلق، بل فزع من الدور الأخطر، الذي يضطلع به القطب (المغربي) الأقدر على الجهاد الأكبر، بالسلاح الرباني الذي مارسه طارق وعبد القادر والمقراني وابن باديس بعد الافغاني ! ادراكا منهم بأن الطائر (المغربي) الكبير اذا لم يكن بالامكان ان يطير ـ عربيا ـ بدون أجنحة، فمن المستحيل أن يعيش ويحيا من غير قلب وضمير، وبرهان ذلك كان عند جيش وجبهة التحرير !

5) ـ وبغرض التضليل وتمييع الجهود المخلصة التي ما فتيء يبذلها ابناء المغرب الغربي الأوفياء منذ العشرينيات من هذا القرن حتى الآن، مرورا بمؤتمر طنجة الكبير(1958)، الذي تحيي كل سنة ذكراه في الضمير ... نلاحظ كيف

---

* المقصود بذلك إنضمام الجماهيرية العربية الليبية ـ رسميا ـ لإتحاد المغرب العربي في السنة الماضية.

صنع لنا الفاعلون بؤر اهتمام وتجمعات وانتماءات لا تعد ولا تحصى في المنطقة، من اذاعة البحر الأبيض المتوسط التي تسوي في الاستماع بين سكان تيطوان، ووهران والقيروان عندنا، بسكان (نيس و بوردو و باريس) عندهم، وقس على هذا النموذج (الوحدوي) اللساني، والتقسيم الوجداني ... كل الأشكال الأخرى من الايحاءات التكتلية على أساس حزب اليمين وحزب اليسار، ووالي باريز ـ داكار، ودول جنوب الصحراء أو الشمال، ودول الساحل وساحل الدول، وبلاد ما وراء البحر الذي كان يعبر (باريز) سابقا في الخريطة المدرسية الفرنسية (...) كل هذه التقسيمات يخطط لها الفاعلون في الأذهان، وينفذها بعض نواب الفاعل عندنا بأمانة واتقان !!

واننا لنجزم ـ سلفا ـ بأنه اذا لم تسر الديمقراطية، والتعددية السياسية المطبقة حاليا، في الاتجاه المأمول لها في مخابر الشمال ... وسقّه الشعب الجزائري العربي المسلم في صناديق الانتخاب أحلام الأحزاب «النائبة للفاعل» في تمرير المشاريع والبرامج المسطرة لعزل القلوب عن العقول، وعزل الأرواح عن الأجساد، وفصل المغرب عن المشرق، والحاق الشمال الافريقي بالجنوب الأوروبي ... فان أول من سيطعن في «جدوى الديمقراطية» وسيدعو الى محاربة هذه التجربة في البلاد، أولائك الداعون اليها اليوم، والمتحمسون لها أنفسهم، وسيحاربونها بدعوى «عدم النضج» للتطبيق الديمقراطي في مناخ «الجهل والتعصب، واللاتسامح» على غرار مقولة «الفاعلين» القدامى لترسيخ أقدام الاحتلال الصليبي الفرنسي للجزائر، والمتمثلة في «التنوير» للعقول والكهوف الافريقية، بأضواء باريس «التحضيرية»!!

وانني أتحدى هنا ـ وللتاريخ ـ جميع (نواب الفاعل) من هذه الأحزاب ان تطبق وتحترم كل مواد الدستور الذي أوجدها، ومنحها الاعتراف بالشرعية في الجزائر، وأتحداها ـ أيضا ـ ان تقبل بنتائج الانتخابات العامة في الوطن، وتخضع لارادة اغلبية الشعب، مثل الأحزاب الديمقراطية الوطنية في الجزائر، أو الأحزاب الديمقراطية الحقيقية في فرنسا ذاتها، والتي أذعنت لنتائج استفتاء الشعب الجزائري على تقرير مصيره الأخير سنة 1962 م . و بعبارة أخرى صريحة أتحداها

أن تقتدي بفرنسا في فرنسا في كل شيء (!!) وتكف عن سياسة النعرات العنصرية و«الكوطات» الجهوية «المليحة أو القبيحة» وتتخلى عن المطالبة، وبكل الوسائل «الفرنسية وغير الفرنسية» بتغيير المادة الثانية والثالثة من الدستور الحالي، وذلك هو بيت القصيد (؟!) من وراء كل الممارسات «الديموكتاتورية» (أي المطالبة بالدمقراطية الشعبية، مع الاصرار على رفض نتائجها «الوطنية» في نفس الوقت !!) ففي هذا السياق الرهاني تدخل النزعة (البربرية) كرأس حربة مقروسة «باتقان» في الجناح الغربي من جسم الأمة الإسلامية الناطقة بالعربية. ومن هذا المنطلق كان «تحضير» رموز هذه الحركة، كأفضل «وأسلم» وسيلة لترسيخ وترسيم الفرنكوفونية في البلاد المغربية، عبر الحقل «الديمقراطي» الذي تجري فيه التجربة ويقع عليه الرهان المشروط !!

ولتبين الخيوط البيضاء من الخيوط السوداء «أو الحمراء» في هذه «المسألة ـ القضية» الطافية على السطح، بعد كمون طويل نسبيا أخصص هذا الكتاب الذي فرضته المرحلة بكل أبعادها الحاضرة والمستقبلة، وليكون القارئ الوطني والعربي مدركا وشاهدا، ويكون ولاة الأمور على بينة من أمرهم، أمام التاريخ الذي يستشهد لهم أو عليهم، كماسيشهد لنا ـ على الأقل ـ اننا قد بلغنا، ولم نقصر (بأوسط الإيمن) الذي لا نملك غيره، حامدين الله ـ عزوجل ـ على كل حال، سائلين إياه أسباب العون والتوفيق لما فيه خير هذه الأمة التي كانت قد أخرجت للناس منذ قرون، والتي يجب أن يعمل أبناؤها المخلصون دوما على أن تبقى كذلك الى يوم يبعثون، لأنه اذا كان الزمان غير الزمان، فالانسان ـ دائما ـ هو الانسان، ومثلما يوجد في كل عصر آباء لهبه، ومسيلماته، وكسيلاته، يوجد ـ أيضا ـ في كل عصر آباء بكره، وصلحاء دينه، وأبناء خلدونه، وأبناء باديسه، وأبناء نوفيره، ورجال صومامه، وأبطال جرجرته وأوراسه ... والتاريخ بيننا هو الشاهد الأمين.

الجزائر في : 23 . 03 . 1990 م .

الفصل الأول

شهادة فرنسا على نفسها، قبل أن تبدأ سياسة «فرّق تسُد» إبان الاحتلال

في سنة 1857 احتل الفرنسيون منطقة القبائل، وفي السنة الموالية (1858) جمع المترجم العسكري الفرنسي، (الفونس مايير)، معلومات من أفواه شيوخ المنطقة وقدمائها عن أصل السكان هناك، وقدم هذه المعلومات الى (المجلة الإفريقية)، فنشرتها سنة 1859 (ص 357) تحت عنوان (أصل سكان بلاد القبائل حسب العرف المحلي)، وخلاصة المقالة أن شيوخ بلاد القبائل يعتقدون أن أصلهم من العرب ماعدا قبيلة (نراوسن وايجر وغوبري) التي قالوا إنها فارسية، والمهم في هذا المقال أنه مكتوب قبل أن تبدأ فرنسا سياسة (فرق تسد) في هذه الناحية من الجزائر، وأنه مستقى من أفواه شيوخ وكبار الناحية بناء على التقاليد والاعراف المحلية (أو ما يعرف اليوم بالتاريخ الشفوي).

ومترجم النص هو الأستاذ محمد الشريف واشق، وقد نشر لأول مرة باللغة العربية في جريدة الشعب، [1] ومما تجدر الإشارة إليه قبل استعراض بعض الفقرات منه هو أن الباي محمد الوارد اسمه في النص هو محمد الفريرا، المشهور بالذباح، حاكم ولاية التيطري التي كانت تتبعها بلاد القبائل فترة طويلة، وتولى أيضا قيادة سباو، بعد إنشائها، وكان من القادة الكراغلة البارزين أمثال محمد الكبير، والحاج أحمد، وهو مولود في المنطقة أيضا، ومن خريجي زاوية تيزي راشد المشهورة بالعلم في ذلك الوقت...

(1) البحث منشور كاملا تحت عنوان « قبل أن يبدأ الإستعمار سياسة فرق تسد » بتاريخ 29 - 04 - 1981 .

ومما ورد في هذه الشهادة الفرنسية الناطقة والحية مايلي بالحرف الواحد:« ... يثبت العرف أن سكان جبال القبائل ينحدرون في غالبيتهم من بلدان أخرى، كما سنلاحظ فيما بعد...

ويجب أن نعرف قبل كل شيء أن مدينة الجزائر قبل وصول الأتراك، لم تكن سوى بلدة ليس بها حكومة منتظمة، وبعد أن حل بها الأتراك اختاروا رئيسا من بينهم له السلطة أيضا على سكان مدينة الجزائر.

وامتدت السلطة التركية بالتدرج نحو متيجة، ثم نحو أهالي يسّر ثم الى المدية ومليانة وأخيرا الى المناطق الغربية التي أخضع الأتراك سكانها وأذاقوهم كثيرا من الظلم، وعندما أصبح الباي محمد قائدا نشر جنوده الفساد والفوضى واضطهدوا العرب، وقد هرب هؤلاء الى الجبال بعد أن أصبحوا بدون ملاذ آخر، ولم يجدوا الأمن على الأشخاص سوى في الجبال، وأمام ذلك سار الباي محمد بجيشه لمحاربتهم فهزمهم، وقد خاضوا ضده معارك مشهودة أظهروا خلالها كثيرا من الشجاعة، ولكن بعضهم هربوا أمامه منهزمين، بينما الآخرون منهم ردوه على عقبيه، وتفاوض الباي مع هذا القسم من العرب وتوصل معهم الى صلح، وبناءً على هذا الصلح فانهم لايدفعون اليه شيئا، كما أن لهم الحرية في الذهاب الى أي مكان يرغبون فيه مع ضمان الأمن لهم.

وسنقدم الآن أصل سكان جبال القبائل كما جاء في شهادات قدماء الناحية

أهل فليسة:

ان سكان فليسة من أصل عربي، وقد جاء بعضهم من يسر والآخرون من بني ثور، ومتيجة وبني عائشة، وجاء آخرون من بني جعد وبني سليمان، وكلهم استوطنوا هذه الجبال، وهذا هو أصل كلمة (فليسة) :

إن أول رجل أتى الى هذه الناحية يسمى (فليسة) واستقر في مكان يسمى (تيمليلين) يقع في الجبل المسمى حاليا باسم (فليسة البحر) لأنه يطل على البحر، كان لفليسة خمسة عشر ولدا، وثروة طائلة، وقد التحق كثير من الناس بفليسة مهاجرين وخضعوا اليه وطلبوا منه أن يكون رئيسا عليهم، فقبل ذلك وأعطى اسمه الى الناحية كلها.

وقد سار الباي محمد على رأس جيشه ضد فليسة، وخاض معه معركة، ولما وصل الباي الى جبل يسمى (ياسين) هزمه فليسة، وقتل له عددا كبيرا من الجنود، وطارده، والسيف مصلت وراءه، مسافة حوالي سبعة أميال، ولما وصل الباي الى مدينة الجزائر كتب الى فليسة يخبره بإعفاء قبيلته من السخرة، ومن دفع الضرائب، ولهذا السبب لم تكن فليسة البحر تدفع ماكانت الحكومة في العادة تفرضه.

وبعد هذه الحملة بقليل شن الباي محمد حملة أخرى ضد الذين التجأوا الى الجبل المسمى (فليسة أو مليل) وتوجه الى مكان يسمى (جبل مزغيت) ولما علم فليسة بهذه الحملة أرسل أحد أبنائه ضد الباي على رأس 500 رجل، وحين وصل ابن فليسة الى جبل مزغيت سارع السكان الذين ثاروا ضد الباي منذ وصوله، الى وضع أنفسهم تحت أمرته بحماس، وكان ابن فليسة يعرف الطريقة التي يعامل بها الباي الذي سبق أن حاربه في قبيلة أبيه فليسة، وهكذا وضع سكان جبل مزغيت بينأيدي ابن فليسة، ووعدوه بالطاعة العمياء، وانطلق ابن فليسة ضد الباي وهزمه شر هزيمة وطارده الى يسّر.

وبعد هذه الهزيمة كتب الباي محمد الى ابن فليسة، رغم اعترافه به عدوا له، قائلا ان قبيلته لا تخضع لأية سخرة ولا تدفع أية ضريبة مهما كان نوعها.

وعلى أثر هذه الأعمال التي قام بها ابن فليسة سمي رئيسا للناحية بصفة نهائية. ان عدله وعلمه قد جعلا سكان هذه الناحية يتركون له ادارة شؤونهم، وهكذا استقر بجبل مزغيت تاركا والده واخوانه في تيمليلين.

ومنذ استقراره أصبحت هذه الجهة تسمى (فليسة أو مليل)، (فليسة) مأخوذ من اسم والده و (أو مليل) من تيمليلين، وهو اسم المكان الذي تركه ابن فليسة قبل استقراره في جبل مزغيت...

بني واقنون :

كان الجبل الذي احتل من طرف « بني واقنون » يسمى « جاديس مزرانة » وكان أول من استقر بهذه المنطقة يسمى « تنون » وقد هاجر كثير من الأشخاص

الى هذه المنطقة وتركوا له ادارة شؤونهم، وبصفته رئيسا على المنطقة فقد سمي الجبل باسمه، واتخذ السكان اسم (بني واقنون)، وقد خضع (بني واقنون) الى المخزن، حيث كانوا يدفعون الضرائب للأتراك، وذلك للأسباب التالية :

في البداية كان الباي محمد عندما يتقدم اليهم، يدفعونه، الشيء الذي أرغمه على أن يسلم اليهم رسائل اعفاء تشبه التي ذكرت أعلاه.

وبعد فترة من الزمن جاء عندهم (سيدي عمر بن ابراهيم) الجد الأول للشرفة (الاشراف)، وكان رجلا متضلعا في علوم الفقه وفي الشريعة الإسلامية، حيث استقر في مكان يدعى (ثالة انتملال) ووهب نفسه لتعليم الأطفال..

وذات يوم بينما كان (سيدي عمر) يقوم بالتدريس، ضرب أحد تلاميذه، عقابا له، ولفائدة تحسين تعليم التلاميذ، غير أن الطفل هرب يبكي مسرعا الى أبيه، الذي غضب غضبا شديدا فجمع اخوته ثم ذهبوا الى الشيخ « عمر » وضربوه ضربا شديدا، فشكا الشيخ من آلامه وقال لهم : « يابني واقنون أطلب الله أن يسلط عليكم المخزن، حتى يعذبكم ويضطهدكم كما عذبتموني واضطهدتموني) وبعد مضي حوالي شهرين من دعائه أرسل الباي محمد مرة أخرى جيشه لمحاربة هذه القبيلة، حيث دمر البلد، وأحرق المنازل وقطع بعض الرؤوس وفرض أخيرا العشور، والأشغال الشاقة، وأشياء أخرى كان يفرضها المخزن على السكان...

وبعد أن دخل الباي الى مدينة الجزائر، اجتمع (بني واقنون) حول (سيدي عمر) وطلبوا منه العفو، وهم يذكرونه بدعائه فقال لهم : (ان المخزن لن ينسحب من عندكم،) ولكن لن يلحق بكم أي أذى.

شيد (بني واقنون) عزهم على سمعة السيد عمر، بعد الحوادث الذكورة، وأعلنوا أنهم في خدمة هذا الشريف، وحتى بعد موته استمروا في خدمة ابنه (سيدي سعيد) ثم ابن هذا الأخير (سيدي بوبكر) وبعبارة مختصرة كل أحفاده الى يومنا هذا.

بني جناد :

ان أول رجل جاء ليستقر في هذا البلد، هو عربي يسمى (جناد)، وكان قويا ذا ثروة هائلة، وكان معه اخوته ومجموعة من الفرسان تتكون من ثلاثمائة

فارس، استقر في مكان يدعى الآن « أبيزار » يقال ان « جناد » سمى هذا المكان تخليدا لأحد اخوته الذي كان يسمى « بيزر »، والذي قتل في جولة على يد الباي محمد كما سنرى فيما بعد.

وعند وصول « جناد » الى هذا البلد التحق به كثير من الاشخاص، واعلنوه رئيسا عليهم، وعندما هاجمه الباي محمد هزمه (جناد) وكبده خسائر كبيرة، وكعادة الباي محمد أرسل الى (جناد) رسائل اثبات تقضي بأن لا يدفع أي رسم ولا يقدم أي عمل للمخزن، مهما كانت طبيعته، وبانتصار (بني جناد) على البي استطاعوا التمتع بالإعفاء الكامل الذي بقي يشملهم الى أيامنا هذه، وقد أعطى (جناد) اسمه للقبيلة التي يحكمها، والتي يقال أن أصلها من « يسّر » ومن فرع « بني كعنون » هذا كل ما عرفناه عن هذه القبيلة.

زخفاوة :

ان أول رجل، جاء يحتل هذا الجبل كان يسمى « زريغفة »، وبتبديل حرف « غ » بحرف «خ» الذي نجده صعبا في النطق، يصبح اسمه «زريخفة»، وأخذت القبيلة التي يحكمها اسم « زخفاوة » ويقال ان أصل «زخفاوة » من حمزة (البُويرة).

لم يهاجم الباي محمد هذه القبيلة لأنها انتصرت عليه حين حارب بني جناد، وهو لا يريد العودة الى هذا الجانب، لأنه يعلم بمساعدة الزخفاويين (لبني جناد) في حربه، مما جعل الداي ينظر اليهم كما ينظر الي (بني جناد)، كما أنهم معفون في رسائله التي وجهها لبني جناد، والتي تقضي بإعفائهم من التزامات المخزن، وهكذا نرى لماذا لا يدفع الزخفاويون الضرائب.

بني راثْن :

أول من استقر في هذا الجبل كان يسمى « أورتعين »، وكان رجلا قويا كامل الطاقة ويملك أموالا طائلة.

وقد أتى أناس من مقاطعات مختلفة، ليجتمعوا حوله ويخضعوا لسلطته، وبذلك أخذت هذه القبيلة اسمه الذي تم حذف حرف الواو منه لسبب إعطاء نغمة وأصبح بذلك « بني راثْن ».

وقد سار الباي محمد ضد « بني راتن » حيث حاربهم ودفعهم الى غاية تيزي راشد، حيث كان يسكن الشيخ أعراب، شيخ إحدى المدارس التي كان يعلم فيها الفقه والشريعة الإسلامية، وعندما وصل الجنود بيته، خرج الشيخ ووقف على عتبة الباب، ومد يديه نحو الجنود الذين تم طردهم وملاحقتهم حتى الساقية، وبعد هذا التدخل الذي قام به الشيخ أعراب، والذي حصل بعده على النصر، أصبح « بني راتن » يخضعون كل الخضوع الى هذا القائد والى خلفائه، وعند عودته البائسة، كتب الباي محمد الى « بني راتن » رسالة قائلا لهم : أنه لن يقوم بأي عمل ضدهم، كما أنهم لن يدفعوا أية ضريبة، ماعدا ضريبة تجارية سنوية لاتتعدى (50 ريال الصحاح) (أي 125 فرنك) هذا ماعرفناه عن بني راتن.

بني عيسي :

أول من احتل المنطقة التي يوجد فيها حاليا بني عيسي كان من أصل عربي من قبيلة أولاد سيدي عيسى، وقد تم تلقيبه بالعيساوي نسبة الى قبيلته، كماتم حذف حرف الواو للنغمة، ومنح اسم بني عيسي للقبيلة التي كان يحكمها.

امتدت تسمية بني عيسى على المعاتقة، وبني زمنزار وبني دوالة وبني محمود، ومن بين هذه القبائل، هناك المعاتقة، وبني بوهينون التي كانت تدفع الضرائب، وتخضع لشروط المخزن لوجودهم قرب الساحل، أما بني محمود والسكان القاطنون في الجبال فلم يخضعوا ابدا لقيود الحكومة، ولم يدفعوا أية ضريبة.

بني يني ـ بني بودرار ـ وبني علي أو حرزون :

1) - بني يني :

أول من أقام في هذه القبيلة كان يسمى « تايلي » نسبة الى بلده الأصلي، حيث كان ينسب الى قبيلة عربية « بأولاد نايل » وكان اسمه صعب النطق مما أدى الى حذف اللام الذي استبدل بالنون والباء في مكان حرف النون، وبعد هذا التغير تمت تسمية سكان القبيلة بني يني.

2) ـ بني بودرار :

أول من أقام في هذا الجبل كان يسمى (بودار) وتم إضافة « راء » ثانية الى اسمه الذي أصبح بودرار، وتمت تسمية القبيلة التي كان يحكمها باسمه الخاص، مسبوقة بكلمة بني (أولاد) ويقال أن بودار من عرب (الزاب).

3) ـ بني علي أو حرزون :

أول رجل حكم هذه القبيلة من أصل عرب التيتري وهو الملقب « بعلي أو حرزون » وقد قبل من جاوره الخضوع الى سلطته، كما أخذوا اسم علي أحرزون. لم يتجه الباي محمد الى هذه القبائل الثلاث والسبب يتلخص في الأتي : عندما قام بحملة ضد بني راتن، علم أن فيالق هذه القبائل الثلاث أتت لمحاربته، كما وقفت أيضا مع أعدائه، وبذلك ضمهم الى من كانوا يتمتعون بالإعفاء، مثلما كان الحال بالنسبة لبني راتن، وسجلهم في سجل واحد فكانت هذه القبائل الثلاث معفاة من الضرائب ومن أعمال السخرة الحكومية.

بني يحيى :

أتى شخص يسمى « يحيى » من أصل عرب بني سليمان يقيم في هذا البلد، وأعطى اسمه للقبيلة التي كان يحكمها.

ايلولة :

يرجع أصل هذا الاسم الى أول إنسان أقام في هذا البلد الذي يقيمون فيه حاليا، واسمه « ملول » وقد حذف حرف الميم لتسهيل النطق ووضع مكانه حرف الألف مكسورا، وأصبح بذلك « ايلولة » الذي تحمله القبيلة المذكورة، ولم يوضع اسم (بني) قبله لأنه قد يكون ثقيلا على السمع ويلول من أصل عرب « فرجيوة » الموجودة شرق سطيف. » [1].

ويورد الباحث العديد من الملاحظات في النهاية عن أصل وتسمية بعض القبائل، والتغيير الذي طرأ على نطق أسمائها محليا..

---

(1) جريدة الشعب، نفس المرجع السابق.

ومن هذه الملاحظات قوله عن أصل مايعرف في المنطقة بالمرابطين أو الأشراف فيقول :

« سنتحدث هنا عن مرابطي الزوايا مثل : شرفاء بني واقنون - شرفاء بهلول - شرفاء أو زريق في بني جناد، وكل من يحمل اسم شريف في زوايا القبائل.

يقال أنهم كلهم من أصل غربي (أي من الغرب)، فعندما يصل أحد علمائهم يستقر في القبيلة التي تعجبه، يستقبله سكانها بإعجاب واحترام مطالبين إياه بتأسيس مدرسة يعلم فيها أهل القبيلة الواجبات الدينية ويتولى فض الخلافات التي تنشأ بينهم، وكان الرجل الشريف جد محبوب لدى أفراد القبيلة نظرا لمعرفته الواسعة.

ولايوجد في هذه القبائل معلمون غير الطلبة (العلماء) الذين استقروا حيث استقبلهم السكان بكل عناية وأحاطوهم بكل احترام.

فعندما يستقر طالب (عالم) في قبيلة ما كان أولاده وأحفاده يستقرون فيها نهائيا، مع الاحتفاظ بالمكانة التي كان يحتلها آباؤهم وأجدادهم، فكانوا ولا يزالون معتبرين محترمين من طرف سكان القبيلة حيث يوجدون حاليا ».

ذلك هو الوضع - إذن - في بلاد القبائل الحالية، بشهادة أحد الفرنسيين (المحتلين) أنفسهم، ومهما يكن من أمر في احتمال المبالغة في وصف قساوة الحكم العثماني (التركي) إزاء الأهالي العرب المسلمين لأسباب وأغراض واضحة ومفهومة (...) فإن الحقائق المذكورة حول أسماء بعض القبائل وأصولها العربية أو الفارسية... هي حقيقة من حيث الرواية على الأقل، أي أنها قد رويت للضابط الفرنسي، ولم يكن لفرنسا - حينئذ - أية مصلحة في ذكرها ؟ بل العكس هو الصحيح حيث توجد مضرة بمصالح فرنسا (المحتلة) في ذكرها بالنسبة لتطور أساليب الاحتلال فيما بعد في أحكام قبضته الجهنمية على البلاد والعباد، ومحاولة تذويب الشخصية وتأبيد الاحتلال الكامل للجزائر ترابا وشعبا، بهدف ضمها النهائي الى فرنسا « الأم »كما سيتبين - ذلك - وبوضوح في الفصل اللاحق.

الفصل الثاني

بوادر ظهور النزعة البربرية في عهد الاحتلال الفرنسي

بصرف النظر عن الارهاصات الأولى لهذه النزعة التي تعود الى أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن والتي بدأها المستشرقون والمبشرون ثم تولى أمرها بعض من تأثروا بأفكارهم من الأهالي ذوي الثقافة الفرنسية... الا أن ظهور هذه النزعة كحركة ذات طابع سياسي يعود الى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية (1946 - 1947) حيث اندفعت جماعة من الشبان الطلبة الى الانضمام الى الحركة الوطنية من أجل مقاومة الاحتلال الفرنسي، خاصة بعد احداث 8 ماي 1945 الرهيبة، والقمع الذي أعقبها في كافة انحاء الوطن ومن بينها بلاد القبائل بطبيعة الحال، وقد انضم هؤلاء الشباب بكيفية طبيعية وتلقائية الى حزب الشعب الجزائري و (ح،أ،ح،د) كغيرهم دون أية شبهة أو فكرة مسبقة عنهم... الا أن بعض هؤلاء الشبان المناضلين (ومنهم من كان على مستوى معتبر في سلم القيادة، نظرا لنيلهم حظا من التعليم مقارنة بغيرهم...) قد كانوا يخفون ايديولوجية مغايرة لإيديولوجية ومبادئ الحركة الوطنية في الصميم، حيث كانت هذه النواة (المزروعة) داخل الحزب تطالب بالبربرية للجزائر، مع رفض الانتماء العربي الإسلامي للشعب الجزائري، وهم بذلك لم يكونوا متأثرين بالأفكار والأطروحات الاستعمارية الفرنسية فحسب (والتي لقنوا اياها في المدارس الفرنسية) بل ايضا متأثرين الى حد بعيد بالإيديولوجية الشيوعية التي كانت في أوج عصرها الذهبي في ذلك الوقت، وكان لها تأثير عميق في أوساط الطلبة

الفرنسين (أي غير المتشبعين بالثقافة الوطنية العربية الإسلامية)، ويجدر التذكير هنا بأن الشيوعيين الجزائريين (شأنهم في ذلك شأن زعمائهم الفرنسيين) كانوا يعارضون مفهوم « الأمة الجزائرية » الموجودة والمكونة أصلا قبل أن توجد الأمة الفرنسية ذاتها...

وانما كانوا يدافعون عن شعار « الأمة الجزائرية في طور التكوين » ابتداء من التعايش على نفس الإقليم لمختلف الفئات السكانية، (أو الجاليات): اليهودية، القبائلية، الميزابية، الشاوية، الإيطالية، المالطية، الاسبانية، الفرنسية، العربية... رافضين هكذا الثوابت الأساسية التي أقرتها أحزاب الحركة الوطنية بالإجماع كمبادئ مقدسة جندت من حولها الشعب الجزائري طوال سنوات المقاومة والكفاح ضد المحتل في كافة انحاء الوطن، وهما : العروبة والإسلام.

ولقد كان الحزب الشيوعي (الجزائري) يتسم بالقوة نتيجة المساندة والدعم المباشر الذي كان يتلقاه من ملهمه وولي نعمته ومثله الأعلى ألا وهو:

الحزب الشيوعي الفرنسي « في الوطن الأم ». هذا الحزب الذي كان تعداده آنذاك قد وصل الى مليون منخرط، وأكثر من خمسة ملايين ناخب و166 نائبا في الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان).

ونتيجة لهذا الهيلمان، والسلطان أصبح لمبادئه وأفكاره وأدبياته (التي تمجد انتصار الروس على النازية) رواج في الأوساط الشابة المثقفة بالفرنسية والمنتمية - جغرافيا - الى بلاد القبائل، كما أشرنا، وكشاهد حي على هذا الموضوع برمته نترك القلم للسيد بن يوسف بن خدة* ليخط مانصه : « ... ولهذا ولع الشباب البربري بالماركسية، وكذا بدستور الاتحاد السوفياتي الذي مجد نظام الجمهوريات الإسلامية : أزرابيجان، الأزبكستان، طاجي كستان.. الخ، حيث كانت تؤكد أن كل شعب وكل عرق، كان يتمتع بلغته الخاصة، وثقافته الخاصة ويستفيد من « الاستقلالية » في تسيير شؤونه. وكنا نجد هذه الحجة غالبا عند الأشخاص الذين تحولوا الى أنصار النزعة البربرية.

---

* الرئيس الثاني للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية أثناء الثورة التحريرية (1954 ـ 1962)

طبعا لا يمكننا تجاهل وجود خصوصية قبائلية بالجزائر، حيث كانت منطقة القبائل فقيرة وكان سكانها يواجهون وضعية صعبة تحت ظل الاستعمار، فكانوا يستخرجون من أحجار جبالهم قوتهم، وكانوا يحلون نزاعاتهم بفضل الجماعة (جمعية العقلاء) وكانوا يطبقون قانون الشرف والأخلاق المستوحى من القيم الإسلامية قصد معارضة قانون فرنسا المستعمرة. وقد استغلت بعثات: « الآباء البيض » بؤسهم المادي وقامت بتجارب منظمة للتنصير: استقبال اليتامى، توزيع مجدات عينية (الدقيق، التمر، الزيت، الخ... انشاء مدارس دينية) ورغم ذلك فان النتائج لم تكن في مستوى المجهودات التي بذلت مقارنة مع العدد النادر للقبائل المنصّرين.

ولقد قدر أن منطقة القبائل كانت صالحة لاستقبال الحضارة الأروبية، حيث كان التمدرس متقدما فيها مقارنة مع باقي مناطق البلاد، وهذا قصد تكوين نخبة مفرنسة، وكان هناك اعتقاد أن سلف القبائل روماني وحتى آري، وتاريخيا يعني أنهم أشد قرابة للفرنسيين، والادعاء بأنهم أقل اتساما بميزة الإسلام مثل باقي سكان البلاد.

ونتيجة لتفاقم حدة البطالة، توجه عدد كبير من السكان الى الهجرة الى فرنسا أو الإقامة بمدن الجزائر، لممارسة مختلف المهن الصغيرة (خياطين، تجار، بائعين متجولين، موظفين بالإدارات، عمال، ملاك صغار) يوظفون بصفة عمال فلاحين في مزارع المستوطنين.

ولقد كانت منطقة القبائل حصنا منيعا لأحزاب الحركة الوطنية على غرار بعض المناطق الأخرى مثل: متيجة، الجزائر، سكيكدة، عنابة، قسنطينة، وهران، الأوراس، وقد ساهم معظم ابنائها المهاجرين الى فرنسا بفعالية في بعث نجم الشمال الإفريقي، وكذا حزب الشعب الجزائري... مساهمين بذلك في اشعاع هاتين المنظمتين حتى في فرنسا.

حاول انصار النزعة البربرية بالجزائر التجنيد في الأوساط الطلابية بالجزائر (المدينة) ومنطقة القبائل، وعلى المستوى القاعدي لم يشرعوا في نشر أفكارهم، ولكنهم لم يتخلوا عن القدح في القيادة من أجل هدم سلطتها

والتشكيك في النهج السياسي العربي الإسلامي الخاص بالحزب. وكانت أفكارهم تلقى الرفض أثناء المناقشات من طرف الأغلبية الساحقة لمناضلي الحزب لمذهبهم الذي يؤدي بالحزب والشعب الى التقسيم والتشتيت.

ويبدو ضروريا إدراج عاملين هامين في سياق تكوين نوع من الوعي البربري :

أولا : ان أنصار الحركة البربرية هم من تكوين فرنسي محض، متذرعين بتحدثهم اللهجة القبائلية فقط في الوسط العائلي، وجهلهم شبه الكلي للثقافة العربية- الإسلامية.

ثانيا : خيبة العرب في فلسطين، ودورهم المحزن تجاه الدولة الإسرائيلية المفروضة عليهم، أحدث نوعا من رد الفعل السلبي تجاه العرب لدى بعض شباب منطقة القبائل.

وأول من دق جرس الإنذار هو أحمد بودة عضو اللجنة المركزية اثناء الاجتماع في ديسمبر 1948، الذي بلغ عن النزعة البربرية التي تعدت الأفكار الى الأعمال وحاولت التهيكل داخل الحزب نفسه... » [1].

هذا بالنسبة لخلفيات وجذور النزعة البربرية داخل الحركة الوطنية الجزائرية (أي داخل الوطن) أما عن علاقتها وامتدادها من والى فرنسا (الأم) فيقول ابن خدة عن ذلك ما نصه :

« لقد كانت أرض فرنسا المكان الصالح لأنصارالنزعة البربرية الذين بدأوا نشاطهم هناك، ففي ربيع 1948 التقى بناي ببودة رئيس المنظمة الوطنية لـ (ح. ش. ج. ح. ا. ح. د)، وتحدث معه عن طالب « بصدد البحث عنه » من طرف الشرطة، ويرغب في الالتجاء الى فرنسا قصد متابعة دروسه، وهو بحاجة الى أن يوصى به الى قيادة الفيدرالية. وفي الحقيقة فان هذا الطالب ماهو الا (محند علي يحيا) الذي سوف يكتشف لاحقا، بصفته محرضا للنزعة البربرية بفرنسا.

---

(1) ابن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954 منشورات دحلب الجزائر 1989 ص 169 - 181 (من النسخة الفرنسية) (ترجمة المؤلف) .

وبحسن نية، أعطى السيد بودة موافقة لبناي (وقد كان هذا الأخير مناضلا في الحزب ويخفي نزعته البربرية) وبهذا الشكل التحق محند علي يحيا الملقب «برشيد» بفرنسا، حيث ادرج في المنظمة، والمعروف عليه أنه يتسم بالنشاط والجرأة اذ توصل الى ارتقاء مراتب المسؤولية، حتى أصبح طرفا في اللجنة المديرة لفيدرالية فرنسا لـ (ح. ش. ج – ح. ا. ح. د) وعندما انفجرت أزمة القضية البربرية في ربيع 1949، توصل الى دفع اللجنة المديرة الى انتخاب لائحة تدين، «خرافة الجزائر العربية الإسلامية».

وامام هذه المناورات تمردت القاعدة وأخبرت القيادة بالجزائر للاحتجاج ضد من يصفونهم بالعناصر «الملحدة» التي تحارب الإسلام والعروبة، وفور ذلك أوفدت القيادة السيد شوقي مصطفاي الى باريس وهو، «عضو» في المكتب السياسي في الحزب وصادق سعيدي، شخصية الحزب المعروفة بمنطقة القبائل. وفي عين المكان انضم الموفدان من القيادة بمحمد خيدر، وبلقاسم راجف، فاعترض سبيل الأربعة أشخاص من أنصار الحركة البربرية، الذين يتمتعون بنفوذ كبير داخل المنطقة فمنعوهم من الدخول الى القاعة.

قدرت نسبة وحدات المنظمة المنشطة من طرف «رشيد» بـ 80 ٪، فكانت الصدمة! وفي منطقة باريس كانت بعض فصائل الضاحية، أو المحافظات مثل كولومب، والضاحية الـ 19 والـ 20، يقطنها أساسا مهاجرون من منطقة القبائل الصغرى بالجزائر، كانت تعتبر نقاط ارتكاز للمجموعة الجديدة لإعادة تشكيل المنظمة المفككة، وفي المقاطعة، قاومت منطقة جنوب – شرق، بصفة فعالة ضربات أنصار الحركة البربرية بفضل بشير بومعزة بليون.

ولم يتم التوصل الى هذه النتيجة الا بعد المرور على محافظة تلو محافظة، وضاحية تلو ضاحية، ومدينة ومقاطعة تلو مدينة ومقاطعة، لإعادة جمع اعضاء الحزب، كهيكلة الفصائل والقسمات وإعادة تشكيل فيدرالية فرنسا لـ (ح. ش. ج.– ح. ا. ج. د.) وقد استغرق هذا العمل ثمانية عشر (18) شهرا بدون انقطاع.

وفي هذا الصدد، تجدر الإشارة الى نقطتين :

الأولى : الإسهام الإضافي والنهائي والحاسم لحل الأزمة التي لقيت الموافقة من أعضاء فرع طلبة الحركة الوطنية أثناء السنة الدراسية 1948 – 1949 ومن بينهم نذكر : مصطفى لشرف، عبد المالك بن حبيلس، علي مرداسي، محي الدين حفيز، صغير مصطفاي، محمد بن قطاط وتونسيين هما الطاهر قيقة، ومصطفى لفيف.

وعلاوة على ذلك، كان يشكل هؤلاء الطلبة لجنة الصياغة للنجم الجزائري، لسان حال الفيدرالية.

الثانية: هي طبيعة النهج السياسي الذي يكون تبعا للنتائج المتحصل عليها، وكان يرتكز على مفهومين :

أولا : تفنيد، بدون لبس، للدعامة العرقية للحركة البربرية أو « الآرية » بدون إعادة النظر في المحتوى الثقافي البربري.

ثانيا : النداء الى الضمير الوطني لمعارضة هذا المذهب الهدام بتحقيق الانسجام والالتزام بدون غموض أو هوادة بالوحدة الوطنية.

ذلك أنه بظهور نزاع مثل الذي عشناه، فان الحركة البربرية تؤدي الى احداث شقاق في الحركة الوطنية للتحرير، والمستفيد الوحيد منها هو المستعمر الفرنسي.

ونتيجة لما سبق حكمت قيادة الحزب بطرد محند علي يحيا وكل الذين شاركوا في العمل الانعزالي، وتضامنوا معه، وقررت الغاء جريدة النجم الجزائري.

وبعد إعادة التحكم في فيدرالية فرنسا، تأكدت قوة ومقدرة التنظيم لهذه الأخيرة في أول ماي 1950 بباريس عند تنظيم تظاهرة جماهيرية اكتسحت الكونفيدرالية العامة للعمال وأعطت الفرصة للجزائريين للقيام بعرض بعلمهم تحت قيادة (ح.ش.ج – ح.أ. ج.د) وفي الجزائر اعتبر الشيوعيون ذلك العرض مبكرا ويمكن أن يصل (ح.ش.ج – ح.أ.ج.د) الى الانفجار.

لقد كانت القيادة على علم بالأفكار التي نشرها أنصار الحركة البربرية، ولم تقدم بعد على اتخاذ أي قرار، حتى حصلت على دليل مادي للمؤامرة التي حيكت، بفضل الحصول على رسالة مرسلة من السجن المدني بالجزائر من عمر أوصديق الى بناي، والتي سقطت في ايدي القيادة، وبذلك اكتشفت وجود «حزب الشعب القبائلي» (ح.ش.ق) الذي تهيكل داخل (ح. ش. ج – ح. ا. ح. د) وقد كشف التحقيق منشطي هذا العمل التقسيمي و هم : والى بناي، عمر أوصديق، عمار ولد حمودة، صادق هجرس، فعوقبوا ليس على أفكارهم المسموح لها الي حد ما، ولكن على مؤامرتهم التجزيئية. وقد التحق معظم المطرودين بالحزب الشيوعي الجزائري منهم صادق هجرس الذي أصبح أحد قادته... (وما يزال الى اليوم قائده !).

لم ينل نشاط انصار الحركة البربرية موافقة الجماهير . ففي القبائل، من بين اثنتي عشرة قسمة أصبحت واحدة فقط، وهي عين الحمام (بلدية أيت أحمد) منطقة نفوذ لولد حمودة، وبقي الوضع على حاله لمدة سنة أو أقل.

والمعروف أن الثقافة والتحدث بالقبائلية كان مسموحا بهما داخل الحزب...

والدليل على ذلك أن خطباء نجم الشمال الإفريقي، حزب الشعب الجزائري، أو حركة انتصار الحريات الديمقراطية كانوا يستعملون القبائلية في خطبهم، أو حتى في الأغاني والأناشيد الوطنية التي تثير الحماسة والنشاط داخل اجتماعات المناضلين أو تجمعات الجماهير.

وكانت تسود روح أخوية جميع المناضلين، بغض النظر عن الأصل، أو الجهة وحتى الذين لا يتكلمون القبائلية رغبوا في تكلمها، بدون أية عقدة أو نيات غير بريئة.

وكان القبول بالثقافة أو الكلام بالبربرية، بشرط عدم إعادة النظر في المبدأ (العربي – الإسلامي)، الدعامة الإيديولوجية للحزب، فالنشيد الوطني لحزب الشعب الجزائري : فداء الجزائر، الذي كان ينشده كل المناضلين، كتب من طرف جزائري ميزابي (من بني ميزاب) المرحوم مفدي زكريا. وهذا لم يمنع

من التأكيد على أن القصدية أو مسعى الكفاح الوطني هو الاعتراف باللغة العربية في الجزائر المحررة.

وفيما يتعلق بعبارتي « الجزائر العربية »، و« الجزائر الفرنسية » فضل انصار الحركة البربرية عبارة « الجزائر الجزائرية » التي لا يعني محتواها أي شيء. فهل يدعو الفرنسيون الى « فرنسا الفرنسية » أو الألمان الى « المانيا الألمانية » ؟ فشعار « الجزائر الجزائرية » لا يمكن فهمه الا أنه محاولة لازالة الشخصية العربية - الإسلامية للجزائر.

ان رد فعل قيادة الحزب بمعاقبة محرضي انصار النزعة البربرية، كان سريعا وقويا ومبررا، لأنه لا تسمح اية قيادة لنفسها بوجود مجموعة منظمة داخل حزبها تختلف ايديولوجيتها مع المذهب الرسمي !؟

وكان يهدف المكتب السياسي من وراء اتخاذ تلك الإجراءات الى تفادي التقسيم، الذي كان الاستعمار يغذيه باستمرار، في الوقت الذي كان الحزب بأكمله مجندا لتطبيق قرارات زَدّي* : تدعيم المنظمة السرية من حيث التعداد والأسلحة، الاتصال بالقادة التونسيين والمغاربة والقادة العرب بالقاهرة، من أجل مساعدة ملموسة للمقاومة المسلحة (ماليا وماديا).

فكيف كان موقف حسين آيت أحمد الذي اشتُبه به لكونه العقل المدبر لأنصار الحركة البربرية ؟ ومن أجل اختبار نواياه، أوفدت له القيادة شخصين من أعضاء الحزب هما : أحمد بودة وحاج محمد شرشالي اللذين جمعهما وأياه لقاء. فردّ آيت أحمد بالعبارات التالية : « هذه مناورة من طرف القيادة ضد مسؤولي القبائل ». فكان أمام موقف حرج لمساندة أو اعتراض انصار الحركة البربرية. فطلب مدة للتفكير للتحقيق في القضية، وتوجه على أثرها الى منطقة القبائل، وأثناء عودته صرح لنفس المندوبين « ما أكدتماه لي صحيح، ولذا سأنفصل عن هذه العناصر (أي أنصار الحركة البربرية).

★ اسم قرية تقع في ولاية عين الدفلى بغرب الجزائر(تبعد بحوالي 150 كلم عن العاصمة) انعقد بها المؤتمر (حزب الشعب، حركة الانتصار سنة 1947)

ورغم هذا الانكار، بقيت الشبهات تلاحقه، وكان آنذاك المسؤول الوطني للمنظمة السرية والمكتب السياسي وكان لابد من عدم الإبقاء عليه في منصب حساس، ولكونه كان من العناصر التي تبحث عنهم الشرطة الفرنسية، وحفاظا على أمنه بالجزائر، فارسلته القيادة الى القاهرة حيث انضم الى مندوبي الحزب: الشاذلي مكي ومحمد خيدر » ويضيف المؤلف مؤكدا [1] بقوله : « ولقد أكدت أحداث ما بعد الاستقلال بوضوح فكرة رأيه في سلامة وحكمة موقف القيادة من أبعاد السيد آيت أحمد، وشبهات القيادة تجاهه وذلك من خلال كتابه «مذكرات مكافح » (صدر بفرنسا سنة 1983) حيث كتب يقول : (والكلام هذا للسيد آيت أحمد منقول بنصه في كتاب ابن خدة).

« الى الشباب المبتدئ في المطالبة باللغوية البربرية الذين يلوموننا على عدم تمكننا وعدم معرفة طرح المشكل اللغوي بهذا المؤتمر (مؤتمر حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية) لفيفري 1947. ولقد أوضحت بأننا لم نتهاون في القيام بذلك. لكن البربرية نعيشها. ولو كان للحزب سلطة ملموسة لطلبنا بحق كتابة وتدريس اللغة البربرية...

ولو وجد مجال لمناقشة هذا المشكل داخل الحزب في ذلك العهد لأدى الأمر الى رد فعل عنيف من طرف الأغلبية المعربة المتطرفة... » [2].

ويؤكد هذه الحقائق المؤرخ الجزائري الدكتور ناصر الدين سعيدوني في بحث مطول له بعنوان « جذور المد الشعوبي في الجزائر » جاء فيه ما نصه:

« كانت الخطة الفرنسية تهدف الى إيجاد تيار جزائري في مظهره وأصوله، فرنسي في قناعته وتوجهاته، فهو يرفض مقولة الجزائر فرنسية بحكم الواقع ولكون المعمرين لا يسمحون بذلك حتى لا ينافسهم جزائريون في امتيازاتهم التي كانوا يحظون بها، كما أن هذا التيار أيضا لا يسلم بفكرة الجزائر العربية الاسلامية، باعتبارها لا تعبر عن طموحهم ولا تتماشى مع انتماءاتهم وقناعتهم، وقد استطاع هذا التيار الذي ظهر ناطقون باسمه في الجزائر، أن يستقطب في منطقة بلاد القبائل بالخصوص جماعات من الشبيب نشأت في احضان المدارس الفرنسية، ذات التوجهات اللائكية، وترعرعت بتوجيه من القائمين على الادارة

(1) و (2) يوسف بن خدة. نفس المرجع السابق.

الفرنسية ! وقد استطاع بعض الأفراد من هذه الجماعات أن يتسرب الى الساحة الجزائرية وأن تخترق الجناح الاستقلالي للحركة الوطنية التي كان يمثلها آنذاك حزب الشعب الجزائري، وقد تسبب ذلك فيما يعرف بالأزمة البربرية لحزب الشعب سنة 1949 ، هذا، وكما هو معروف أن هذه الأزمة التي تعكس توجهات السياسة الفرنسية في المجال السياسي، بدأت في شكل تململ وثورة على موقف حزب الشعب من مجازر 08/ماي /1945 وما أصدرته قيادته من قرارات وتوجيهات متضاربة، ثم تحول القلق الى بحث في الذات والهوية بفعل الواقع الثقافي الذي أوجده الاستعمار، ومع نشاط مجموعة من المنتسبين الى اللجنة الفيدرالية لحزب الشعب، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية في فرنسا (1946 - 1948) وعلى رأسهم أحد الطلاب الجامعين وهو محند علي يحي (المدعو رشيد) أصبحت الحركة ذات توجهات عنصرية، وقناعات جهوية وميولات شيوعية معادية لمبادئ الحزب ومتنافية ووحدة الشعب ومدمرة لتماسك العمال الجزائريين في المهجر، وقد استطاعت قيادة حزب الشعب آنذاك أن تضع حدا لهذا التوجه الخطير الذي كان يتنافى ومبادئ وقرارات الحزب، وذلك بطرد الداعين له، والتشهير بهم، رغم أن العمل كلل بالنجاح، ووضع حد لهذه الأزمة الا أن خلايا الحزب فقدت العديد من انصارها النشطين وتسببت في تصدع كاد أن يذهب بوحدة الحزب، وقد وصف التقرير العام للجنة المركزية في المؤتمر الوطني الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية المنعقد في الجزائر 1953/6/4، هذه القضية بما نصه « أن الحزب اصطدم بمعضلة داخلية خطيرة وهي النزعة البربرية التي هي انحراف تعصبي ملون بالصبغة العنصرية والنزعة الشيوعية، وعمل طائفي يرمي للتخريب والتمرد المكشوف على الحزب.. والبربرية يمكن أن تبقى سلاحا في يد الاستعمار مادام الاستعمار قائما ».

هذا وقد اضطر انصار هذه الفكرة بعد طردهم من صفوف الحزب وفشلهم في تكوين تنظيم خاص بهم عرف (بحزب الشعب القبائلي) أن يبتعدوا عن الساحة الوطنية، وأن يندمجوا في الحزب الشيوعي الجزائري، بينما واصلت الحركة الوطنية مسيرتها بمنطقة القبائل، وباقي أقاليم الجزائر لتنتهي باعلان الثورة

التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954 لاسترجاع المقومات العربية الإسلامية للشعب الجزائري، وقد كان للبطل المجاهد عميروش مواقف وأعمال خالدة في محو بقايا هذه الترسبات في المنطقة بأكملها » [1].

وعن هذا الموضوع أيضا يقول أحد الباحثين الجزائريين المهتمين بالموضوع، والمعاصرين للأحداث، وهو الدكتور عثمان سعدي في دراسة له:..« لقد تعلم أتباع النزعة البربرية... على أيدي فرنسيين، وعلى أيدي الآباء البيض، فغرسوا في نفوسهم كرههم لكل ما هو عربي وعلموهم بالفرنسية (أن العرب غزاة وأن العربية لغة غازية وأن البربر جرمان هاجروا من أوروبا) ليبرروا (فرنسة الجزائر وفرنسيتها) قبل 1962، وقد بلغت هذه الحملة المسمومة أوجها سنة 1948 عندما اكتشف الوالي الفرنسي الاسبق بالجزائر (شاتينيون) أن قوة حزب الشعب الجزائري خطر على فرنسة الجزائر، فقرر تدميره من الداخل، وذلك ببث النزعة البربرية في صفوفه بواسطة عملائه وبرز بالفعل تنظيم داخل الشعب تحت سم (حزب الشعب البربري)

لكن قادة الحزب من القبائل قاموا بتصفية العملاء جسديا خلال أشهر قليلة وكنا مناضلين في صفوف حزب الشعب فصدرت لنا التوجيهات بمحاربة هذه الفكرة الشريرة...

وأحس كل جزائري بخطورة هذه النزعة المدمرة التي ابتكرها (شاتينيون) فتصدوا لها حتى من خارج حزب الشعب، فكتب الشيخ البشير الإبراهيمي مقاله الرائع (عروبة الشمال الإفريقي) الذي نشرته صحيفة البصائر سنة 1951 ومما قال فيه : « من أباطيل الاستعمار أنه يسمى السوداني المتجنس بالجنسية الفرنسية ليومه أو لساعته فرنسيا، ويلحقه بنسبه ثم ينكر على البربري، - مثلا - أن يكون عربيا، بعدما مرت عليه في الاستعراب ثلاثة عشر قرنا وزيادة، وبعد أن درج أكثر من ثلاثين جيلا من أجداده على الاستعراب، لايعرفون الا العربية لغة يتكلمون بها ويتأدبون ويتعبدون، فليت شعري أيهما أقرب الى الواقع: البربري المستعرب أم السوداني المتفرنس ؟ وأيهما أنفذ ؟ احكم الله، ام حكم الاستعمار[2] (ونلاحظ أن الشيخ البشير الإبراهيمي يسمى البربري عربيا..).

---

(1) جريدة الشعب ليوم 1990/2/19 .

(2) جريدة : الشعب ليوم 1989/5/8 .

ويستشهد الباحث بالمواقف الوطنية الرائدة لأقطاب وادي ميزاب البربر الأحرار الذين عربهم الإسلام فيقول : « كما نشر أحد شعراء الحركة الإسلامية بوادي ميزاب وهو (عيسى حمو النوري) قصيدة نشرها في نفس السنة بالبصائر جاء فيها:

للشرق أي من جمال خالد ... تعنو لها في العالم الأقطاب

من رائعات الشرق يبوض الذي ... نسل الشمال وانجبت ميزاب

والعبقرية من فضائل نبتة ... ان رجعت لأصولها الأعشاب

ودم العروبة في العروق مراجل ... تغلي وتومض تحتها الأنساب

أكذب بما قال المعمر ضلة ... إن المعمر ساحر كذاب »[1]

واذا كانت البلاد المغربية اليوم مقسمة الى أقطار بحدود سياسية.. فإن استعمارها كان واحدا، ونظرا لأن هذه (الشعوب) اليوم هي شعب واحد في الحقيقة، فقد انتهج معها الاستعمار الفرنسي نفس الطريقة والأسلوب تقريبا، وعن ذلك يقول الأستاذ المهدي بنونة (من المغرب الأقصى) في بحث له بعنوان : « الظهير البربري بوابة للتنصير » مانصه بالكامل كشاهد حي لما وقع في الجزائر حيث قال: « كان صدور الظهير البربري عام 1930 إيذانا ببدء تصدع المد التحرري في المغرب وتأطير الحركة الوطنية المغربية. لقد أرادت سلطات الحماية أن يكون صدور الظهير البربري مدخلا لتقسيم المغرب الى عرب يقيمون في المدن وبربر يقطنون الأرياف والبوادي، على أن يتم في مرحلة لاحقة الغاء الشريعة الإسلامية بالنسبة للتقاضي بين أفراد القبائل البربرية، ومن ثم الغاء المحاكم الشرعية وانشاء محاكم مدنية تطبق الأعراف البربرية القديمة.

وبذل الفرنسيون جهدا مضنيا في البحث عن هذه الأعراف في الكتب التاريخية القديمة وأعادوا صياغتها تمهيدا لتطبيقها، لتحل محل القوانين التي تعتمد على الدين الإسلامي، وفي خطوة لاحقة وطبقا للمخطط الذي وضعه الفرنسيون بمنع تعليم القرآن لأبناء البربر وذلك يعني تلقائيا تعلم اللغة العربية.. ثم تتوج العملية بتنصير أطفال البربر.. ما أمكن ذلك.

---

(1) نفس المرجع السابق ذكره .

وبالفعل شرع الفرنسيون في فتح مدارس تابعة للكنيسة في البوادي والقرى والمداشر وقد شيدوا عشرات الكنائس، وكان ذلك الاتجاه يعوزه المنطق إذ لا يعقل في بلد مسلم كالمغرب لا توجد به الا نسبة قليلة من الأجانب أن تشيد كل تلك الكنائس وان تنتشر هذه الكنائس في القرى والمدن والمداشر النائية والى جانبها المدارس التبشيرية وأديرة الرهبان والراهبات، وفطن المغاربة لهذا المخطط الذي يهدد في الواقع كيانهم الإسلامي العربي.

كان المخطط يرمي الى إشعال نار الفتنة بين العرب والبربر والسؤال الذي يطرح نفسه : لماذا ؟ الإجابة بسيطة وسهلة : كانت فرنسا تسعى لإدماج المغرب في فرنسا وهي كذلك حاولت بالنسبة للجزائر، ولم يكن ذلك متاحا الا بالقضاء على العروبة والإسلام في هذين القطرين.. وكان الفرنسيون على اقتناع أنه لا يمكن أن يكون هناك « فرنسي مسلم » ولاتنسى أن فرنسا هي أحد مراكز المذهب الكاثوليكي في أوروبا.

جاء رد المغاربة على صدور الظهير البربري قويا وعنيفا، ومن مؤشرات اخفاق اللعبة الاستعمارية أن القبائل البربرية كانت أول من انتفض ضد ذلك الظهير المشؤوم، فقد حدثت ثورات تناهض الظهير البربري في آيت حمو وفي إقليم وجدة وإقليم تافيلالت الذي يعرف الآن بإقليم الراشدية، وفي الأطلس المتوسط والأطلس الكبير والرحمانة ومراكش وناحية أيت شغروشن وخنيفرة وخريبكة وعلى طول وادي أم الربيع وجاء رد الفعل قويا جدا في فاس.

الآن سنرى أن فرنسا انزعجت كثيرا من ردة الفعل ضد الظهير البربري واظطر رئيس فرنسا آنذاك « دومبرغ » الى زيارة المغرب ليقف بنفسه على تطور الأوضاع.أعدت سلطات الحماية الفرنسية استقبالات ضخمة للرئيس الفرنسي لتغطي بها ما حدث، إلا أن الشعب عبر خلال الزيارة عن حقيقة مايجري، وكتب أهل مدينة فاس رسالة لدومبرغ وقعها مئات المواطنين يعبرون فيها عن سخطهم على مؤامرات سلطات الحماية، وصلتنا في المشرق العربي نسخة من تلك الرسالة فقمنا بنشرها على أوسع نطاق، كما وصلت نسخة منها لرفاقنا في باريس وترجمت الى الفرنسية، لم تتراجع ولم تتخذ قرارا بالغاء الظهير البربري،

والمفارقة أن هذا الظهير لم يلغ وبقي على الورق حتى بعد حصول المغرب على استقلاله، وهناك قوانين كثيرة صدرت في عهد الحماية ولم تلغ الى حد الان، رغم أن العمل بها لم يعد جاريا، صدر الظهير البربري في 16 ماي 1930 وكان يوم 16 ماي يوم حزن في المغرب في كل عام، وكان كذلك يوما يضرب فيه الناس عن العمل ويعتصمون بالمساجد بعد صلاة العصر ويقرأون « اللطيف » وهو دعاء معروف بالمغرب يقول : « اللهم يالطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادر، فلا تفرق بيننا وبن اخواننا البرابر ثم تكرر كلمة يالطيف آلاف المرات.

اعتبر الفرنسيون هذا الدعاء بمثابة تعبئة سياسية ضدهم، لذلك منع الناس من ترديد دعاء اللطيف خاصة يوم 16 ماي » [1].

(1) منير التاريخ، جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1990/2/26

الفصل الثالث

الخلفيات... والأهداف القريبة والبعيدة للحركة البربرية

لقد ظهرت الحركة البربرية الى الوجود بفعل خطة فرنسية بعيدة المدى شرع في وضعها بإتقان على غرار بروتوكولات « حكماء صهيون » ليسير نشاطها بالتوازي مع محاولة الجزائر لتحقيق التعريب، وآسترجاع السيادة الوطنية بعد الاستقلال، فهي تظهر في الواقع وتختفي بكيفية طردية مع محاولة الدولة الجزائرية لتحقيق التعريب في البلاد على طول امتداد سنوات (الكفاح التحريري) من أجل الاستقلال التام (...)

والمتتبع لهذه الحركة منذ نشأتها سنة 1949 واستئصال جذورها من جسم الحركة الوطنية في ذلك الوقت...* ثم تجديد بعثها بقوة، بتأسيس الأكاديمية البربرية في باريس سنة 1967 بمباركة وتمويل وتخطيط فرنسي وتنفيذ محلي (جزائري) تحت أقنعة متنوعة، وبوسائل متعددة تهدف جميعها الى تحقيق مخطط واحد ذي مراحل متلاحقة ومترابطة كحلقات في سلسلة واحدة، بدايتها في باريس ونهايتها خافية على الكثير من الأذهان، مما يستوجب كشف أهم الأهداف الاستراتيجية (الفرنسية) المستترة وراء الشعار الثقافي لهذه الحركة، والتي يمكن حصرها فيما يلي :

* أنظر الملاحق.

أولا : القضاء على الأساس الأول للهوية الوطنية المتمثل في سيادة اللغة العربية التي تمثل الفيصل الوحيد بين الجزائر العربية المسلمة والجزائر « الفرنسية المسلمة » أو « الجزائر الجزائرية » وهي الطبعة الجديدة « للجزائر الفرنسية » والتي أبطلها المفاوض الوطني في اتفاقيات إفيان (سنة 1962) بالنص الصريح على « الشعب الجزائري العربي المسلم » الموحد، ولا وجود للشعب العربي الموحد، بدون لغة عربية وحيدة وسيدة... على غرار اللغة الفرنسية الوحيدة والسيدة في المجتمع الفرنسي، اللائكي، والمفروضة على الجزائريين (الفرنسيين) هناك.

ثانيا : القضاء على أهم عنصر في تحقيق الانسجام الثقافي الذي يكون نسيج الشخصية الوطنية لأية أمة في العالم.. ألا وهو عنصر اللغة، لما له من علاقة عضوية بالفكر والشعور والثقافة بكل جوانبها المادية والفكرية والروحية، والسلوكية و العلمية.

ثالثا : القضاء على الوحدة الوطنية للمجتمع الجزائري العربي المسلم، باصطناع «لغة ثانية » ذات سيادة كلية أو جزئية على التراب الوطني، منافسة للغة الوطنية والرسمية الوحيدة في الدستور، وهو يعلم، أن لا وحدة وطنية بدون وحدة لغوية، في أي قطر من اقطار العالم على الإطلاق، والدليل على ذلك رفضه المطلق (حتى الآن) الاعتراف باللغة البروطانية (في مقاطعة بروطانيا الفرنسية) كلغة رسمية، الي جانب الفرنسية في فرنسا الأم، مع العلم أنه سيعترف في السنوات القليلة القادمة باللغة البروطانية كلغة رسمية في المقاطعة، أو في فرنسا كلها، ليس حبا في تمزيق فرنسا، ولكن كرها في استقلال الجزائر ووحدتها الوطنية (؟ !) والدليل على ذلك هو أن فرنسا قد أعترفت للغة « البروطان » بالتدريس في المدارس المحلية سنة 1981 (أي بعد أحداث تيزي وزو 1980).

رابعا : العمل على إرغام الدولة الجزائرية على التخلي عن مخططاتها التعريبية... لاسترجاع سيادتها اللغوية (الدستورية) بإشعارها"بتهديد" الوحدة الوطنية، من قبل المناوئين لوحدة السيادة اللغوية الوطنية، والإيحاء للدولة بالحل الجاهز.. وهو الإبقاء علي سيادة اللغة الفرنسية، في القطاعات الاستراتيجية

الهامة (الإدارية والاقتصادية والعلمية والإعلامية والعسكرية...) على غرار ماهو واقع لدى بعض الشعوب (في إفريقيا) التي لم تكن عندها لغة وطنية مكتوبة قبل أن تعرف الحروف اللاتينية، عن طريق الاستعمار اللاتيني، بخلاف (الأمة) الجزائرية الموحدة اللغة والدين قبل أن توجد فرنسا واللغة الفرنسية ذاتها!

خامسا : الضغط على الدولة الجزائرية لإرغامها (بواسطة اللوبي المصنوع لهذا الغرض في الجزائر المستقلة) على الإقرار بالنتيجة الحتمية لهذا الاختلاف (اللغوي - العرقي) المصطنع، بين الفصحى، واللهجات العامية (العربية والبربرية) والإبقاء على سيادة اللغة الفرنسية (جزئيا أو كليا) لتأبيدها في البلاد، كمنقذ أو كعامل توحيد (محايد)، على غرار ماهو واقع في البلاد الإفريقية... أو على الأقل خلق وضع ازدواجي خطير داخل الوطن، على غرار ماهو قائم منذ مايقرب من قرنين في بلجيكا، وكندا، وسويسرا، حيث تتقاسم اللغة الفرنسية السيادة الوطنية مع لغات أخرى داخل المجتمع الواحد، مما جعل هذه البلدان تعيش في صراع قومي مدمر أفقدها صفة الأمة الواحدة، وجعلها عبارة عن دول مشتتة الولاء بين قوميات متناحرة الى الأبد، ولا بديل للتناحر سوى الإنقسام، إن آجلا أو عاجلا [1] ! ؟

سادسا : النتيجة الحتمية الأولى للدعوة الى ترسيم إحدى اللهجات البربرية، دون غيرها إن تحقق.. هي تدمير الروح الوطنية، وتشويش الولاء لوحدة الأمة المحمدية الواحدة، وذلك بمضاعفة عوامل الكره والاختلاف بين الناطقين باللهجات البربرية الأخرى داخل الوطن من جهة، ومن جهة أخرى سينجر عن هذا الانزلاق الأولي الخطير الحقّ في مطالبة كل جهة من جهات الوطن بترسيم لهجتها هي على الساحة الوطنية، أو على الأقل في رقعتها الجغرافية، ويتحقق حلم فرنسا في تفتيت وحدة الوطن وتشكيل دولة الولايات الجزائرية غير المتحدة !

---

(1) أنظر كتابنا : التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي لماذا وكيف؟، منشورات دحلب (الجزائر).

سابعا : النتيجة الحتمية الثانية لترسم إحدى اللهجات، أو كل اللهجات البربرية المنتشرة داخل الوطن... وعددها أكثر من 10 لهجات، هو وضع الحاجز النفسي الرهيب بين الناطقين باللهجات البربرية، فيما بينهم، كل على حدة، ثم بينهم مجتمعين، وبين الناطقين باللهجات العامية العربية، في كافة أنحاء التراب الوطني، كقوميتين متناقضتين على غرار واقع الأكراد المسلمين، والعرب المسلمين في العراق (العلمانية..) وفي هذه الحالة لا يقبل الطرفان المتصارعان لغويا إلا البديل المحايد، أو «الصديق المشترك» المتمثل في اللغة لفرنسية، عوض العدو المشترك (المتمثل في العربية الفصحى) التي تنفي سيادتها على التراب الوطني (في اعتقادهم) صفة (الجزائر الجزائرية) وحينئذ يتحقق الهدف الحتمي الثالث...

ثامنا : الهدف الثالث حينئذ سيكون، الدعوة (المنطقية) المشروعة الى ترسيم اللهجات الجزائرية المنحدرة من العربية وكتابتها بالحروف اللاتينية، على غرار ما وقع للغة الفرنسية ذاتها في القرن (16 م) حيث انفصلت (كلهجة) عن اللاتينية لتصبح لغة علم وتكنولوجيا وسيادة داخل التراب الفرنسي الموحد، وخارجه من الأقطار المستعمرة، وبذلك يتزاح أكبر عامل للوحدة الوطنية في الجزائر، وأكبر عائق أمام سيادة اللغة الفرنسية في هذا البلد وهي اللغة العربية الفصحى لغة الحضارة ولغة الدين والدنيا ولغة المجتمع الجزائري منذ عرف الإسلام، ولم يرض عنها بديلا - رغم فرض اللغة الفرنسية عليه بكل الوسائل في أحلك أيام الاحتلال وما يزال - حتى الآن!.

تاسعا : تحقيق أكبر انتقام من شهداء وحدة الأمة بتمزيق شخصيتها ثقافيا، وتحطيم وحدتها سياسيا، والانتقام من جوهرها روحيا وعقائديا بالقضاء على لغة الإسلام الوحيدة والموحدة، وتعويضها بترسيم اللهجات الوطنية العامية لتظل الى الأبد أشباحا باهتة اللون والطعم والرائحة أمام جبروت اللغة الفرنسية، التي أريد لها (بعد الإستقلال) أن تظل جزءا من شريان الحياة اليومية للمواطن الجزائري، باستثناء مايتعلق بممارسة الشعائر الدينية في دور العبادة، وهو مالم تقض عليه فرنسا ذاتها طوال وجودها المادي في البلاد ؛ مع العلم أن اختلاف

الطوائف الدينية في الأمة الواحدة (رغم خطورته) يمكن تجاوزه سياسيا بتطبيق مبدأ العلمانية، كما هو الشأن في فرنسا ذاتها... لكن الاختلاف اللغوي المتجذر بين أفراد الأمة الواحدة لا حل له سوى تشتت الولاء وتقسيم الأمة الواحدة الى عدد من الأمم والقوميات، بتعدد اللغات الرسمية المستعملة، لأنه لا علمانية ولا تعايش أخوي، ولا تقاسم للسيادة على نفس الأفراد، في اللغات المكتوبة والمرسمة، على الإطلاق !.

عاشرا : الانتقام الفرنسي من الانهزام الساحق أمام المفاوض الوطني في اتفاقيات إيفيان، فيما يتعلق بفرض وحدة الشعب الجزائري العربي المسلم، ورفض البقاء للكولون (المعمرين الفرنسيين) في الجزائر، مع المحافظة على حقوقهم الفرنسية (الدينية واللغوية) وذلك مخافة صنع (بركان لبناني دائم الفوران)[1]... ولكن مالم تحققه فرنسا من نافذة إيفيان تحاول اليوم أن تحققه بصنع لبنان آخر (لغويا ودينيا) بواسطة (الكولون الجدد) من ذوي الأصل الجزائري (الجغرافي) والجنسية الجزائرية (الورقية)، وإذا كان لبنان اللغوي قد بدأ يأتي ثماره المرة المتمثلة في محاربة اللغة العربية لحساب الفرنسية في بعض مناطق الوطن ومؤسسات الدولة... فإن السنوات القادمة ستشهد ظهور لبنان المسيحي أيضا، لتكتمل الدائرة التي لا مخرج منها، حيث سيدخل بعض المواطنين (نتيجة عوامل كثيرة) في المسيحية، ليس حبا في المسيح واقتناعا به، وإنما كرها في دين محمد العربي المسلم ! ! وهكذا نرى أن الحركة البربرية في الجزائر الى جانب كونها حركة استعمارية، مرتبطة مباشرة بفرنسا والحركة الصهيونية الهدامة لوحدة الشعوب، تتخذ استراتيجية شبيهة باستراتيجية (الفلامـاند » في بلجيكا سنة 1830 فيما يتعلق بالأساليب المتبعة [2] في نشر اللهجة البربرية كلغة كتابة وقراءة.. وتتبع أسلوب جماعة « الباسك » في إسبانيا، من ناحية محاولة استعمال العنف، وتعميق الهوة مع السلطة ممثلة الأغلبية، وافتعال الأسباب الواهية لتهويل الوضع... مستغلة كل منفذ للتسلل، الى بث الفوضى القصوى في البلاد [3]!.

---

(1) انظر : إبي يوسف بن خدة، مفاوضات إيفيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1987 .

(2 3) انظر، كتابنا التعصب والصراع الديني والعرقي واللغوي لماذا وكيف!!، مرجع سبق ذكره.

كما أن لأعضاء الحركة حججا شبيهة بحجج الأكراد في العراق وإيران وتركيا لكونهم مسلمين، لكنهم يختلفون في نظرهم - عن العراقيين والإيرانيين والأتراك بصفات (لا دينية) يبررون بها مطالبتهم بالحكم الذاتي الذي يعتبر مرحلة أولى للاستقلال التام عن الدولة الأم ! (أنظر تصريحات زعيم حزب جبهة القوى الاشتراكية في التلفزة الجزائرية في يناير 1990 عما يسميه بالجهوية المليحة...)).

مع الإشارة الى أن العديد من الفرنسين (الشيوعيين والعلمانيين عموما، حتى من غير العارفين للبربرية) متعاطفون الى حد بعيد مع الحركة البربرية، ويمثلون العمق (الاستراتيجي) لها لكونها تستهدف على المدى القريب : القضاء على المساعي الجادة لتحقيق التعريب في البلاد، وقد أثبتت لنا الأحداث الراهنة أن في الجزائر (لوبي) فرنسيا متناميا مع الزمن، تعمد إليه فرنسا (الأم) كلما رأت أن إحدى (مقدساتها) مهددة في البلاد، وهذا (اللوبي) مكون من عناصر الحركة البربرية كنواة، ومدعم من طرف كل الرافضين للتعريب من المتفرنسين، حتى ولو كانوا من مناطق أخرى من الوطن. فالهدف الآني للجميع هو (محاربة التعريب !!) بدليل أن الشعار المرفوع الآن هو إحياء الثقافة الشعبية وتعني (في مفهوم زعماء الحركة..) كل ماليس بإسلامي ولا عربي، وعلى رأسه اللغة البربرية المندثرة كصفة تراث مكتوب منذ ماقبل الفتح الإسلامي، فهم يطالبون باحياء هذه اللغة، وترسيمها في المدارس، وجعلها لغة إعلام وإدارة، وهذا المطلب عند التساهل فيه وتحقيقه، معناه القضاء على الوحدة الوطنية، وإرجاع الاستعمار الفرنسي (مع سبق الإصرار). ومما يؤكد تحالف غلاة المتفرنسين في كل أرجاء البلاد مع الحركة البربرية (لكون الجميع يستهدفون التعريب والإسلام...) هو المطالبة بنشر اللغة الشعبية، أي ترسيم اللهجة الدارجة الجزائرية بحروف قد تكون لاتينية (.؟.) لتحل محل الفصحى، وهذه فكرة غلاة المستشرقين منذ أواخر القرن الماضي، ولها دعاتها في الجزائر، من بين الأحزاب الوليدة، وهدفها الوحيد هو فصل الجزائر عن أمتها العربية والإسلامية، بإزالة لغة القرآن، وبالتالي ابقاء الاستعمار الفرنسي، على حاله في الجزائر (...) على اعتبار أن الدارجة التي

ستترسم، لا يمكنها أن تنافس اللغة الفرنسية في البلاد اطلاقًا بل ستحتاج اليها، ولاتستغني عنها في أي شيء، خلافا للغة العربية الفصحى، إن آنتشرت، ولا يمكن للفصحى أن تنتشر بدون تحقيق التعريب الحقيقي والشامل في البلاد على غرار كل الدول ذات السيادة في العالم. وللحركة طرق وأساليب وأهداف تتمثل في النقاط التالية :

1 - تكثيف المعارضة لإرغام الدولة على التراجع عن قرارات التعريب، أو على الأقل العمل على عرقلة تطبيق هذه القرارات، وذلك تطبيقا لاستراتيجية فرنسية خطيرة تهدف الى مايلي :

أ - كسب أرضية من الشبان الجزائريين المتعلمين باللغة الفرنسية، على اعتبار أن التعليم المزدوج الحالي، هو كله في خدمة نشر اللغة الفرنسية في البلاد (كما أثبتت تجربة مابعد الاستقلال في هذا المجال و خاصة بعد تنفيذ مؤامرة القضاء على التعليم الأصلي سنة 1976) .

ب- كسب الوقت لنشر بعض لهجات اللغة البربرية بحروفها المصطنعة في باريس، وتقديمها كبديل للغة الرسمية (في دستور البلاد) لأن نقطة الضعف الحالية في الحركة هي أن اللغة البربرية المكتوبة بحروفها اللاتينية (المصطنعة)، ليست متداولة إلا عند الخواص جدا من غلاة الحركة، ومن ثمة فليست منتشرة بالقدر الذي يبرر عمليا المطالبة باستعمالها كلغة رسمية موازية للعربية في التعليم والإدارة والمحيط الاجتماعي، مثلما هو الحال في بلجيكا، في الوقت الحاضر، بالنسبة الى الفلاماندية المستعملة في الشمال، والتي لم تكن شيئا مذكورا سنة 1830 عند استقلال بلجيكا عن هولندا [1].

جـ- كسب الوقت للتمكن من غرس الأفكار الانقسامية وتعميق الشعور بالهوة (العرقية) لدى الطلاب في الثانويات، ثم إعدادهم للجامعات حيث يصبحون دعاة للحركة (وليسوا متعاطفين معها فحسب !!) كما نلاحظ ذلك، في هذه الأيام وستزداد هذه الظاهرة حدة في المستقبل ! .

---

(1) انظر: كتابنا. التعصب والصراع الديني والعرقي واللغوي.. لماذ وكيف؟!، مرجع سبق ذكره.

د - كسب تأييد باريس المطلق، طالما أن هدف الحركة الوحيد في الوقت الحاضر هو محاربة اللغة العربية لصالح اللغة الفرنسيه، علما بأن اللغة البربرية، حاليا أو مستقبلا، لا يمكن أن تستغني عن لغة حية، وبطبيعة الحال ستكون هي اللغة الفرنسية، وهذا ما يريده الفرنسيون حيث يحاولون أن يبقوا على اللغة الفرنسية، في كافة أنحاء الوطن، وإلا ففي منطقة بعينها يعتبرونها قلعة للغة الفرنسية (مثلما هو حاصل في الوقت الحاضر، وعلى غرار وضع مقاطعة الكبك في كندا بالذات) [1].

هـ - الحلم الاستعماري الفرنسي الكبير الذي يهدفون الى تحقيقه على المدى البعيد، هو أن يضطروا الدولة (بعد تهديد الوحدة الوطنية كما يرغبون) الى التراجع عن التعريب في البلاد، واللجوء الى استبقاء اللغة الفرنسية، التي يريدون أن يوحوا الى الدولة، بأنها اللغة (الوطنية)[2] الوحيدة بعد الاستقلال، في الوقت الذي عملوا على إظهار اللغة العربية (بواسطة الحركة البربرية) بأنها غير قادرة على جمع الجزائريين كلغة مشتركة (...) وتصبح الجزائر مثل البلدان الإفريقية الناطقة بالفرنسية كالسينغال والنيجر، والتشاد، وأشباه الشعوب المماثلة في العالم!

و - ربح الوقت أيضا لضرب الروح الإسلامية لدى الشباب المنحل (وهو العامل الجوهري في الحفاظ على الوحدة الوطنية قديما وحديثا) الى جانب العمل على نشر المسيحية، في بعض المناطق بفضل نشاط الآباء البيض، والمتعاونين الفرنسيين، وقد يشهد المستقبل العديد من الشبان الذين سيدخلون في الدين المسيحي نكاية في الإسلام كما سبقت الإشارة!! وخلقا لوضع أقليات (دينية مسيحية) الى جانب مايعتقدونه - حاليا - بأنهم أقلية عرقية ولغوية لتنتقل الجزائر الموحدة حاليا (لغة ودينا) الى (القَلْمَنَة) ثم (اللبننة)، ثم (السَّوْدَنَة)، ثم

(1) راجع نفس المرجع السابق ذكره.

(2) راجع تصريح السيد مولود حمروش (رئيس الحكومة الجزائرية) في جريدة «لوموند» الفرنسية ليوم 1990/2/23، والذي أقر فيه بأن لغتهم تعتبر اللغة الوطنية الثانية في الجزائر!.

(البلقنة)، في آخر المطاف، إذا لم يتحقق التعريب الحقيقي لاسترجاع سيادة الشخصية والجنسية معا ! بحكم الدستور الحالي قبل أن يعمدوا إلى تغيير مادتيه الثانية والثالثة ان تمكنوا من ذلك في المستقبل !.

2 – محاولة الإيحاء للدولة (من طرف بعض الناصحين منهم) بأن المستقبل كفيل بتحقيق التعريب، دون استعمال العنف مع المناوئين (لأسباب مصلحية وظيفية). وهذا شرك منصوب بذكاء، وقعت فيه لبلاد من قبل، والحكيم لا يلدغ من جحر مرة واحدة، فكيف يعقل أن يلدغ من نفس الجحر مرتين !؟.

3 – إن ضرب التعريب وبالتالي ضرب الوحدة الوطنية في البلاد، بهذه الطريقة المخططة منذ سنوات، هي آخر ورقة ستلعبها فرنسا بواسطة أعوانها في الجزائر، لذلك يجب وضع أسوأ الاحتمالات في الحسبان، الى درجة أن هناك من يطالب بعودة فرنسا، لأن الفكرة البربرية، بلغت درجة الإيحاء للشباب المزدوج اللغة (عربية – فرنسية) في بعض المناطق، بأن كل ماله علاقة بالتعريب هو استعمار يجب محاربته !!

4 – في الوقت الحاضر تضغط الحركة البربرية بكل وسائلها المتاحة على الدولة، لارغامها على التراجع عن مشروع التعريب (مثلما وقع بطرق غير مباشرة في السنوات الماضية) وفي حالة رفض الدولة لتنفيذ هذا المخطط المدمر – حتما – للوحدة الوطنية، ستظهر بعض أعمال العنف والضغط بكل الوسائل على الصعيد المحلي والجهوي، بمباركة الإعلام الفرنسي... وإذا عرفنا أن غلاة المتفرنسين كلهم مؤيدون ومتعاطفون مع الحركة البربرية لضرب التعريب، أدركنا العنف (التخريبي المنسق) الذي سيظهر من طرف هذه الجماعة، التي تعتقد أنها تمثل مركز القوة لكون دواليب التسيير في الدولة بين أيديها. وفي حالة تراجع الدولة عن مشروع التعريب (بقطع النظر عن كونه يمثل كارثة للاستقلال والوحدة الوطنية) فسينتج عنه رد فعل عنيف، من طرف الطلبة المعربين، ومعهم الفئات العريضة من ملايين أفراد الشعب على الصعيد الوطني الذي لم ولن يرضوا عن العربية بديلا على الإطلاق !! دون أن ننسى دور الأحزاب السياسية الوطنية التي اعترف بشرعيتها في المدة الأخيرة والتي لها دور فعال في هذا الخصوص (...).

5 - إن الاستقلال الوطني يمر في الأيام القادمة بأصعب امتحان عرفه منذ 1962، بدليل أن الوحدة الوطنية لم تهدد أبدا قبل الشروع بجد في تحقيق الاستقلال الثقافي (أي التعريب بكل مايمثله من أبعاد) لاسترجاع الشخصية الوطنية الحقيقية والكاملة.

6 - لوحظ انتشار أسماء كل من (الكاهنة - بوغورطا - طاكفاريناس- ماسينيسا) في بعض المناطق، وكذلك لدى بعض الأهالي التابعين الى هذه المناطق، حتى ممن يقطنون خارجها (؟!)

وهذه الأسماء ترمز بكل وضوح الى العودة الى ماقبل الإسلام، وماقبل التعريب الأول (الذي حصل في القرن السابع الميلادي) وهذه الظاهرة ستزداد انتشارا في المستقبل، وهي داخلة في المخطط الاستعماري الفرنسي البعيد المدى، مع انتشار الديانة المسيحية لدى بعض الفئات في بعض الجهات في المستقبل كما أشرنا...

فهل لوكان هولاء الأفراد مسلمين، أو عندهم وعي إسلامي، يفضلون أسماء يهودية ووثنية (مثل الكاهنة وكسيلة) على محمد (أو محند، كما هو محرف أحيانا) أو علي أو عمر... ؟ لو لم يكن وراء الأمر خطة ذكية، ينفذها أناس تحت شعارات ثقافية مختلفة خطيرة المدى... أقل مايقال عنها أنها أشبه ماتكون بعملية الإبادة الثقافية للمسلمين البلغار، في الوقت الحاضر، بكيفية معكوسة، ومخططة (في غفلة أو تغافل من الدولة !) أو بتواطؤ من بعض أعضائها، وأجهزتها، ورموزها منذ سنوات !!

ومفاد هذه الخطة أو الأطروحة الهادفة - أساسا - الى تدمير الوحدة الوطنية للمجتمع الجزائري (أو إعاقة صيرورتها الفعالة على الأقل) هو أن هذا المجتمع ليس متجانس الأصل العرقي وأنه خليط من البشر، من بينهم عنصران غالبان هما العنصر البربري، والعنصر العربي... (الى آخر المعزوفة المعروفة والمعجوجة...).

ولم يجد هؤلاء المنظرون أية حجة لاثبات هذا التمايز العرقي والاختلاف بين أفراد المجتمع الواحد في الجزائر، غير حجة الاختلاف في بعض اللهجات البربرية

(المتداولة) ليتسللوا منه (كمنفذ حساس) للبرهنة على وجود الاختلاف العرقي في المجتمع بين العرب (الوافدين من الجزيرة العربية) والبربر (الأصليين). وراحوا ينفخون بكل ما في وسائلهم من قوة لتضخيم هذا الاتجاه مغالطين أحيانا، ورابطين أحيانا أخرى - جهلا أو تجاهلا - بين العرق واللغة، أي العرق البربري واللغة البربرية من جهة، وبين العرق العربي واللغة العربية من جهة أخرى، معتبرين أو مستدلين في ذلك على أن السكان الذين مايزالون يتخاطبون في حياتهم اليومية (في بعض المناطق الجغرافية المنعزلة والمتفرقة) بإحدى لهجات اللغة البربرية المندثرة منذ قرون... هم ذوو العرق البربري، وبالتالي هم السكان الأصليون للبلاد، ويستدلون - في المقابل - على أن البقية من السكان الذين يتحدثون بالعربية في كافة أنحاء الوطن، هم ذوو العرق العربي... وبالتالي فهم الدخلاء على البلاد، ويجب إبعادهم أو إخضاعهم بكل الوسائل لمنطق الأقلية (الأصلية) باعتبارهم دخلاء !! هذه هي الإديولوجية الخفية للحركة «البربرية -الفرنسية» في الجزائر ! أو الحركة « البَرْبَرْنْسِيَة » كما تستحق أن تسمى، لأنها عبارة عن حركة ذات جوهر استعماري فرنسي مغلف - للتمويه - بغطاء الثقافة البربرية، وهي ليست من أخلاق الأمازيغ (الأحرار) الذين عربهم الإسلام، أمثال طارق، وابن باديس، وعميروش،. وبعيدة كل البعد عنها، كما سنبين ذلك في فصل لاحق، عند مناقشة أطروحات الحركة البربرية .

وفيما يلي مواقف ومطالب أول حزب رسمي للحركة البربرية في الجزائر من خلال ما أدلى به ناطقه الرسمي للصحافة الوطنية، وقد نشر بجريدة الشعب يوم 1989/3/19.

الشعب: قبل تأسيس التجمع كانت مسيرة وحركة ونشاط، اكتسى طابع السرية، فماذا عن هذه المسيرة، وخلفياتها ؟

الجواب: تاريخ الحركة أوجزه باختصار في أن هناك قضية وطنية طرحت بكيفية خاطئة هي قضية الثقافة الأمازيغية، فمنذ أوائل القرن الحالي طرحت هذه القضية على أساس جهوي تتعلق بفئة معينة من الشعب الجزائري، وهذا الطرح الخاطىء أدى الى أزمة 1949، حيث قالت الأحزاب آنذاك بأن مسألة الثقافة

واللغـة سـتطرح في وقت لاحق، وأن المشكل الآن هو تحـرير الجـزائر من الوجـود الاستعماري، بعد ذلك جاءت ثورة نوفمبر 1954، وأجل مـرة ثانيـة النظر في القضية، وأعطيت الأولوية للحرية والاستقلال.

وفي سنة 1962، طرحت القضية من جديد بعد الاسـتقلال مباشرة إلا أن المسؤولين آنذاك قدموا نفس التبريرات والجواب، وقالوا بأننا الآن بصدد تشييد دولة وإعادة بناء ما خربه الاستعمار خلال حرب التحرير، وهكذا اعتبرنا بأن قضية بمثل هذه الأهمية قد أجلت عدة مرات الى أجل غير مسمى، ولهذا أخذ بعض الشباب على عاتقهم في أواخر الستينات إحياء التراث الثقافي الأمازيغي وإعطاء أهمية للغة الأمازيغية. ويعلم الجميع أن كل هذا قد تبلور وتفجر خلال ما يسمى ربيع 1980، حيث المطالب صارت واضحة وهي :

المطالبة بالثقافة الأمازيغية كثقافة وطنية وباللغة الأمازيغية كلغة وطنية الى جانب العربية، وكذلك المطالبة بالديمقراطية. ومن سنة 1980 حتى حوادث أكتوبر الماضي، لم يتوقف منشطو الحركة عن المطالبة بهذه الحقوق والتي اعتبرناها ونعتبرها دائما حقوقا وطنية تهم الجميع.

في سنة 1985 تم إنشاء رابطة لحقوق الإنسان وبعض الجمعيات لأبناء الشهداء، وفي ذلك الوقت ألقي القبض على مجموعة من منشطي الحركة الثقافية وأبناء الشهداء وأعضاء من الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان، وانطلاقا من هنا، فـقد اغتنمنا وجودنا أمام محكمة أمن الدولة لنطالب من جديد بالثـقـافـة والديمقراطية واحترام الحقوق، وبعد الإفراج عن كل المعتقلين، بدأنا في الاتصال بجميع المهتمين بالثقافة واللغة الأمازيغية إلى أن جاءت حوادث أكتوبر الأليمة، فلم ننتظر مشروع الدستور، ولكن قلنا بما أن الإصلاح حسب ماورد في وسائل الإعلام سيتم في إطار الجبهة، وهذا ما تأكد بعد المؤتمر، فضلنا العمل خارج الجبهة وحتى يكون لنا تنظيم من شأنه أن ينظم وينشط حركة الثقافة لأمازيغية، ولا يترك الفرصة لأحد ان ينشط خارجها، لأنه كان بإمكان كل واحد أن يحرر منشورا ويوزعه باسم الحركة الثقافية. ومن هنا وجه أربعة منشطين من الحركة الثقافية نداء من أجل ملتقى وطني للحركة الثقافية الأمازيغية وتم هذا الملتقى بالفعل في دار الثقافة بتيزي وزو يومي 9 و 10 فيفري الماضي، وهنا تم الإعلان عن ميلاد التجمع.

ـ الحركة الثقافية البربرية مجهولة لدينا

الشعب : حسب علمنا هناك تيارات واتجاهات بربرية. لماذا هذه التعددية؟ وهل المسألة تعني تصدع الحركة الأمازيغية وعلاقة حزبكم بغيركم من دعاة الثقافة البربرية؟

الجواب : حقيقة قبل 5 أكتوبر، كان كل من ينشط خارج الحزب والنظام يعتبر غير قانوني وغير شرعي، فإذا نشطنا في إطار غير قانوني فنحن نقر بأننا نشطنا في قالب مشروع لأن القانون قد يغتصب حقا أو أكثر، أما عن علاقتنا بالتيارات البربرية (الأمازيغية الأخرى) فلقد كانت لبعض منشطي الحركة الثقافية علاقات بجبهة القوى الاشتراكية حيث انظموا اليها سنة 1978. عندما كان لهذا الحزب برنامج خاص بالثقافة الأمازيغية لكن بعد ربيع 1980 أتضح لهؤلاء ضرورة الانسحاب من هذا الحزب والأحزاب الأخرى وهذا ماتم بالفعل سنتي 1981 و 1982.

أما ما يسمى بالحركة الثقافية البربرية، فإن أحداث 1985 التي أودت باعتقال أعضاء من الحركة وجمعيات أبناء الشهداء، والرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان، وانتهت بمحاكمة المدية دفعت بالبعض الي التفكير بالانسحاب من الحركة، غير أن هذا الانسحاب كان بحرج هؤلاء. وفي صيف 1986 ، وبعد خروجي من السجن، دخلت في اتصالات مع الجماعة التي تدعي أنها من الحركة الثقافية البربرية، وكان لابد علينا أن نطلع الرأي العام بظروف الاعتقال لأن تلك الظروف كانت سيئة جدا، ونبقى على مطالبنا وهي ضرورة الإفراج عن باقي المعتقلين والتمسك بمبادىء الحركة الثقافية، غير أن هؤلاء فضلوا سياسة الانتظار الى مابعد الإفراج عن الجميع قبل أي اجتماع أو قرار يتخذ، غير أننا رفضنا ذلك وطالبنا بضرورة الإفراج عن باقي المعتقلين، وبعد الإفراج هذا كانت هناك مشاكل مع جماعة الحركة الثقافية البربرية، وعليه لا نقول بأن هناك انفصالا وإنما كل ما في الأمر أن البعض قد أنطلق في حتهم القطار وتركهم. ومن جهتنا، وبعد حوادث أكتوبر نادينا بملتقى وطني، لكن هذه الجماعة أحتجت على عدم الأخذ برأيها في الموضوع، وقالت ما قالت، وأتهمتنا بالتحضير لإنشاء حزب سياسي،

ومن هنا بدأت المناشير في الصدور مملوءة بالشتائم والاتهامات في حق البعض، لكننا قررنا أن لا ننزل الى هذا المستوى، بل بادرنا بملتقى وطني للثقافة الأمازيغية، أنبثقت عنه خمس لجان، وما يصدر عن كل لجنة يعرض على الجلسة العامة للمصادقة، وعليه اقترحت لجنة التنظيم إنشاء التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، والجمعية العامة صادقت على المشروع، وعليه فنحن لانرى أي مشكل بين ميلاد هذا التجمع وبين أية حركة أخرى، وكل ما في الأمر أن هناك مناشير توقع باسم الحركة الثقافية البربرية وأصحابها مجهولو الهوية.

ـ حزبنا مفتوح لكل الديمقراطيين

الشعب : معرفتنا لحزبكم تقتصر على التسمية، وحبذا لو توافونا ببرنامج هذا الحزب وهيكله التنظيمي ؟

الجواب : إن التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية هو إطار سياسي مفتوح لكل الديمقراطيين الجزائريين المؤمنين بأن الثقافة الأمازيغية جزء لا يتجزأ من الهوية الوطنية وبالحريات وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية وكل الواقفين وسط الخريطة السياسية.

من حيث التنظيم الهيكلي لحزبنا، فإن الملتقى الوطني الذي انعقد يومي 9 و 10 فيفري الماضي قد انتخب مجلسا وطنيا يتكون من 105 أعضاء وبدوره انتخب المجلس لجنة تنفيذية تضم 11 عضوا، وانتخب هؤلاء الأمين العام و 10 أمناء وطنيين. وفضل الحزب هذا النوع من التنظيم وهو يختلف جذريا عن التنظيمات التقليدية للأحزاب السياسية. أما برنامج الحزب، فهي نظرته لكل القضايا التي ستطرح على الشعب ليقول كلمته فيه. وألخص برنامج الحزب في النقاط التالية حسب أولويتها :

أولا : الهوية الوطنية، حيث سنعمل من أجل جعل الثقافة الأمازيغية جزءا لا يتجزأ من الهوية الوطنية، وبخصوص اللغة نقر بأن في هذا البلد توجد لغتان وطنيتان وهما الأمازيغية والعربية مع الإقرار بأن اللغة العربية هي الرسمية في البلاد.

ثانيا: المساواة حيث أن حزبنا يعمل من أجل المساواة خاصة بين الرجل والمرأة وهذا تجسيدا لما ورد في المادتين 28 و 30 من الدستور الجديد، لكن نقر بأن المساواة كوضع دستوري لا تكفي ما دامت هناك قوانين مجحفة في حق المرأة ونعني بذلك قانون الأسرة، حيث يجعل هذا القانون من المرأة شبه مواطنة، أي ليست مواطنة كاملة الحقوق، أي إمرأة قاصرة الحياة، لذلك فنحن نعمل من أجل المساواة الفعلية في الحياة اليومية بين الرجل والمرأة.

ـ نرفض قانون الأسرة المستمد من الشريعة الإسلامية

الشعب : هل برنامج الحزب يرفض قانون الأسرة ؟

الجواب : نعم في الملتقى نادينا بإلغاء قانون الأسرة الحالي نظرا للأسباب السالفة الذكر.

الشعب : حزبكم يرفض قانون الأسرة وهذا الأخير مستمد من الشريعة الإسلامية، هل معنى هذا أنكم ترفضون الإسلام، أم أن لديكم نظرة أخرى بشأنه؟

الجواب : بدون ديماغوجية أعترف بأن الإسلام دين الأغلبية الساحقة من المواطنين الجزائريين وعندما نقول بأننا مسلمون ليس هذا بديماغوجية أو إرضاء البعض، فنحن مسلمون ونحس بذلك، لكن حزبنا ينادي بفصل الدين عن الدولة، ومن شأن الفصل أن يزيد في خدمة الإسلام أكثر مما هو عليه.

ـ قبلنا الدستور وسنعمل على تغيير ما لا يتفق ومبادىء حزبنا

الشعب : كيف ذلك ؟

الجواب : إن فصل الدين عن الدولة من شأنه أن يمنح حرية تامة للعبادة وممارسة الشعائر الدينية، وحماية الأماكن المقدسة وما الى ذلك. بينما جعل الإسلام دين الدولة كمبدأ من المبادىء سيحدث تناقضا بين الشريعة وبين الدولة التي تتصرف تصرفات مدنية، وكمثال على ذلك منذ أكثر من 10 سنوات كان وما زال الإسلام دين الدولة فكان من نتيجة هذا أن السلطة التنفيذية تسلم الخطب لأئمة المساجد وتكون جيشا من المواطنين ليخطبوا على المسلمين أيام الجمعة وفي الأعياد الدينية.

- هدفنا إقامة دولة لائكية:

الشعب: عبر المسيرة الطويلة للفتوحات الإسلامية تأسست الدولة الإسلامية، وأرست دعائم دولة قوية ممتدة من الجزيرة العربية الى غرب إفريقيا، وتفرعت جذورها الى كافة القارات، فهل هذه الشريعة التي حررت البلاد والعباد هي قاصرة اليوم على إرساء دعائم دولة قوية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وأكثر من هذا وذاك حضاريا ؟

الجواب : أنا لا أقول بأن الشريعة الإسلامية قاصرة على بناء دولة، أقر فقط بأن فلسفة حزبنا مبنية على مبدأ الفصل بين الدين والدولة، فما هو البرنامج المقترح من طرف دعاة الشريعة الإسلامية في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، في كل مرة يقول هؤلاء نحن نعود الى القرآن والسنة، هذا صحيح لكن عمليا والى حد الآن لم أعرف حزبا استمد برنامجه السياسي وفلسفته من الإسلام واقترح برنامجا متكاملا وشاملا لحياة الأمة ! وعليه نحن نطالب بضرورة فصل الدين عن الدولة، وهذا لا يعني بأننا ننادي بالإلحاد، وإنما ندعو الى اللائكية، أي حرية العبادة، يكفي الإسلام أنه أسمى وأعلى من أن يكون دينا للدولة أو برنامجا سياسيا لفئة معينة.

- حزبنا يقوم على فلسفة الفصل بين الدين والدولة

- الإسلام لا يمكن أن يكون برنامجا سياسيا ! ؟

الشعب : ماهو موقف حزبكم من الجبهة الإسلامية للإنقاذ التي أعلن عن ميلادها في الأيام القليلة الماضية بالعاصمة ؟

الجواب : نعتقد بأن الإسلام لا يمكنه أن يكون برنامجا سياسيا لفئة معينة، لكن لا نرى أي مانع لأية فئة أن تكون لنفسها حزبا سياسيا وتقترح برنامجا للأمة بشرط أن تتجنب استخدام العنف أو المناداة باستخدامه، ومن هنا على كل الفئات والأحزاب أن تحترم لعبة الديمقراطية وتترك الشعب يختار، لأنه لا يمكن لأي حزب أن يكون وصيا على هذا الشعب أو أدرى من غيره بمصالحه، وكل ما

يحق بهذه الأحزاب بما فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ أن تقترح برامجها للنقاش وتترك حرية الاختيار للشعب، وإذا ما اختار هذا الأخير بكل ديمقراطية برنامج الجبهة الإسلامية فما علينا إلا احترام هذا الاختيار، وإذا ما اختار برنامج حزب آخر وليكن حزبنا ولم لا، على الآخرين احترام إرادة الشعب.

الشعب : وفي ماذا تتلخص محاور برنامج الحزب في الميدان الاقتصادي والاجتماعي ؟

الجواب : إذا ادعى حزب من الأحزاب أنه يملك حلولا لكل القضايا المطروحة منذ الاستقلال حتى اليوم فأقول لا. فالصراحة تجعلنا نقول بأن ملتقى تيزي وزو قد أكتفي بالخطوط العريضة لبرنامج سنعلن عنه مستقبلا ليعرض على الشعب في مختلف الانتخابات البلدية والولائية والمجلس الوطني وأكتفي بالقول أن الخطوط العريضة قد ركزت على محاور اقتصادية واجتماعية هامة، أساسها في الميدان الاقتصادي ابقاء كل ماهو إستراتيجي ضمن القطاع العام، ومادون ذلك يمكن أن يكون بيد القطاع الخاص، لكن ليس القطاع الخاص الذي عرفناه والذي لا يهمه سوى الربح السريع. لكن المطلوب قطاع وطني خاص يساهم بفعالية في مجهود التنمية الوطنية، وإذا كان هذا القطاع يفرض نوعا معينا من التنظيم والتسيير الاشتراكي للمؤسسات الى الاستقلالية لهذه المؤسسات نعتبرها حلولا مرحلية وعليه فنحن نقترح التنظيم النقابي الحر للعمال من شأنه الذي يعطي ضمانات أوسع لهم ويحميهم من ظلم أرباب العمل والممارسات التعسفية في القطاعين العام والخاص على سواء. زيادة على ذلك لا بد من تشريعات جديدة في ميدان العمل تناقش بصفة ديمقراطية ويساهم في إعدادها كل من العمال ونقاباتهم قبل عرضها على الهيئات التشريعية.

وفي ميدان التعليم نحن لا نريد أن نقف كمنتقدين، بل نقترح البديل والحلول وفي اعتقادنا أن رفع المستوى يتوقف على التدريس بلغة الأم أي العربية والأمازيغية معا وفي جميع مستويات التعليم، وتبقى ديمقراطية التعليم مكسبا وليست سببا في انخفاض المستوى، لأن ديمقراطية التعليم منتهجة في معظم بلدان العالم ورغم ذلك فالمستوى بها مرتفع جدا عكس ماهو حاصل في بلادنا.

ـ ديباجة الدستور مرفوضة جملة وتفصيلا ! ؟

الشعب : في نهاية فيفري الماضي، اختارت الأغلبية من الشعب الدستور الجديد، كيف تنظرون الى هذا الاختيار، وما هو موقفكم من هذا الدستور والثوابت التي جاء بها ؟

الجواب : بالنسبة للدستور، والديباجة التي جاء بها والتي تجعل من الجزائر أرضا إسلامية وجزءا لا يتجزأ من المغرب العربي الكبير وأرضا عربية، فنحن لا نوافق على هذه الديباجة وسنعمل في إطار حزبنا من أجل تغيير ما لايتفق مع مبادىء التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية.

فالجزائر جزائرية والإسلام دين الشعب وليس دين الدولة، واللغة الأمازيغية لغة وطنية الى جانب اللغة العربية، أما ماعدا ذلك من الثوابت كوحدة التراب الوطني، والنظام الجمهوري فهي من البديهيات المسلم بها، وحزبنا يعمل من أجل تكريسها، لكن المسائل التي تضر ولاتنفع هي القول بأن الجزائر أرض عربية بينما هي جزائرية.

الشعب : حكم كثير من الناس على حزبكم بأنه حزب جهوي، يدعو الى الانفصال والجهوية والعرقية والارتباط بجهات خارجية كانت عدوة لنا بالأمس القريب، فماذا عن موقفكم وردكم على هذا الحكم والتصور ؟

الجواب : نحن نسلم بأن حزبنا حزب وطني ولا يمكنه أن يكون جهويا، يتبنى كل القضايا الوطنية وفي مقدمتها الثقافة واللغة الأمازيغية. أما الأقاويل فقد قالوا أكثر من ذلك، قالوا بأنه بعد ميلاد التجمع احتفلنا بالخمور ولحم الخنازير وبالنساء وحضور رجال الكنيسة وما الى ذلك، فهذه إشاعات وأقاويل نفندها جملة وتفصيلا، فحزبنا يعمل من أجل قضايا تهم كل الجزائريين سواء كانوا ناطقين بالأمازيغية أو العربية ووجود أكثر من لغة في دولة واحدة حقيقة تاريخية. إن الخطورة على الوحدة تكمن في إهمال اللغة والثقافة الأمازيغية، والقول بأن في الجزائر لا توجد إلا ثقافة واحدة قول خاطىء.

- تريد مكانتنا في التلفزة وسائر وسائل الإعلام الأخرى

الشعب : لكل برنامج أو مشروع لا بد من إمكانيات، خاصة إذا تعلق الأمر بعمل دعائي لحزب أو جمعية تريد احتواء أكبر عدد ممكن من المناضلين والمنخرطين. وبالنسبة لحزبكم والأحزاب التي ظهرت حديثا لا نعتقد بأن سكان المناطق النائية في شرق البلاد وغربها وجنوبها على دراية بها وببرامجها وأهدافها. فماذا عن إمكانياتكم المادية وأعني بها بالخصوص الإعلامية للتعريف بحزبكم؟

الجواب : حقيقة حزبنا حديث النشأة والإمكانيات الوحيدة التي نملكها الآن هي الإرادة بالدرجة الأولى. إن الوسائل المستعملة الآن هي الوسائل التابعة للدولة، وهذه الأخيرة ينبغي أن تكون دولة الجميع وليس دولة حزب معين، فالتلفزة الوطنية ليست لحزب من الأحزاب، وعليه يجب أن تكون الإستفادة الإعلامية منها للجميع وعلى قدم المساواة، لكن هذا لم يحصل، فقد لاحظنا بُعَيْد ميلاد حزبنا أن التلفزة نظمت موائد مستديرة، ودعت إليها شخصيات عبرت عن آراء وتيارات سياسية مختلفة، غير أن تيارنا لم يستدع للمشاركة في تلك الموائد المستديرة، هذه الصحف التي أجحف البعض منها في حقنا لما أعلنا عن ميلاد حزبنا، ولم يكن نفس الإجحاف في حق الأحزاب التي أنشئت أخيرا وكانت التغطية الإعلامية لها واسعة. أما في إطار المستقبل القريب، فإن الديمقراطية والتعددية الحزبية تقتضي التعددية الإعلامية، أي أن تكون هناك صحف ومجلات للأحزاب السياسية غير الصحف الموجودة اليوم. وبالنسبة إلينا يبقى السؤال المطروح، بأية لغة سنخاطب الناس، باللغات الثلاث : الفرنسية والعربية والأمازيغية، وبناء على الطلب على هذه الصحف واللغة التي يميل اليها القراء سنحدد الكميات التي ستسحبها.

- الفرنسية لغة علم واتصال لا بد منها!

الشعب : حزبكم لا يعترف إلا بلغتين الأمازيغية والعربية. لماذا الفرنسية إذن؟ وماهو موقفكم من هذه اللغة؟

الجواب : نحن لا نعترف إلا بلغتين وطنيتين في الجزائر وهما الأمازيغية والعربيــة. زيادة على كون هذه الأخيرة لغـة رسميـة. غيـر أنه يجب أن نكون منطقيين وهو أن للغة الفرنسيـة مكانتهـا ولكن ليس على حساب الأمازيغية والعربية، وباعتبار الفرنسية لغة اتصال وعلم وتكنولوجيا فنحن نختلف مع الذين يقولون بأن هذه اللغة ليس لها مكانتها في الظروف الراهنة وحتى في المستقبل القريب. لكن نحن نعمل جاهدين من أجل أن تصبح الأمازيغية والعربية لغتي علم وتكنولوجيا وإدارة صالحتين للحياة العملية. إذن الجميع يفكر نفس التفكير، غير أننا نختلف عن غيرنا في كوننا نطرح أفكارنا علانية وأمام الجميع، والبعض يفكر لكن يغطي نواياه.

الشعب : يبـدو من خـلال تطور نشـاط الحركـة البربرية، أن الفضل في تأسيس حزبكم هي جماعة المثقفين وحاملي الشهادات الجامعية حبذا لو تعرفوننا بالتركيبة الحالية لهذا الحزب وما مدى الاستجابة في الانخراط؟

الجواب : إن حزبنا ليس حزب نخبة، فبإستثناء محامي واحد وبعض الأطباء والصحافيين فإن باقي الأعضاء ليسوا بالضرورة من حاملي الشهادات العليا وللتأكيد على هذا فإننا وجهنا نداء وطلبنا من كل جهات الوطن المهتمة بقضيـــة الأمازيغيـــة كقضيـــة وطنيـــة إرسال منـــدوبين عـــنها الى الملتقى مهما اختلـفت مستـــوياتها الفكــرية أو الثقــافية والتعليمــية، إن عــنصر الاختيار لا يكمن في الشهـادة بقـدر مـا يكمن في الإيمان بالقضيـة التي يتبناها حزبنا والواردة في برنامجه.

الشعب : بعد إنعقاد المؤتمر السادس لحزب جبهة التحرير الوطني تحول هذا الأخــير الى جبهـــة بضـــمه لكافة الحساسيات والتيارات حبذا لو تحددوا لنا طبيعـــة علاقـــتكم بالجبهة وهل يوجد هناك مناضلون سابقون في الجبهة منخرطين اليوم في حزبكم؟

الجواب : إذا كان الأمر يعني عناصر من جبهة وجيش التحرير الوطني قبل 62 أقول نعم هناك انضمام لبعض المناضلين وإذا كان الأمر يعني عناصر كانت في

صفوف حزب جبهة التحرير الوطني ثم جبهة التحرير الوطني حاليا فإلى حد الآن لا يوجد أي التحاق بصفوف حزبنا، غير أن هناك اتصالات بعض من كانت لهم سابقا مناصب سامية في الدولة قدموا لنا طلبات الانضمام، إلا أن تلبية هذا الطلب سيتحدد في وقت لاحق، غير أن الفصل في الموضوع يبقى للمجلس الإداري الذي هو السلطة العليا بين المؤتمرين، لكن الذي يجب أن يدركه الجميع هو أن لحزبنا قاعدة نضالية واسعة لمسنا هذا قبل ميلاد الحزب وتأكدنا منه بعد الإعلان عن تأسيس التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية حيث وردت إلينا عشرات الآلاف من طلبات الانخراط ومن جميع مناطق البلاد.

الشعب : في إجابة سابقة عن سؤال قلتم بأن لحزبكم قاعدة نضالية واسعة قبل الإعلان عن ميلاده وبعدها وسؤالي الأخير هو كالآتي : هل أسستم حزبا من أجل الثقافة أم من أجل السلطة؟

الجواب : إن أي حزب يتأسس لا يطمح في السلطة ليس بحزب، نحن كانت لنا مطالب قبل أكتوبر غير أن مطالبنا هذه قد تبلورت في برنامج عمل لحزب سيعرض على الشعب لكن نحن لا نعمل وفق القاعدة التي تقول الغاية تبرر الوسيلة، إن وصولنا الى السلطة إن كتب له النجاح سيتم ضمن إنتخابات حرة وديمقراطية يقرر فيها الشعب وتعطى له السيادة كل السيادة في ذلك، أما الآن فلا ينبغي أن نقول من هو في السلطة ومن هو في المعارضة لأننا في مرحلة انتقالية وعلى ضوئها سيعمل حزبنا وبالوسائل السلمية وعن طريق الإنتخابات من أجل الوصول الى السلطة أو المشاركة فيها لأننا الحزب الوحيد في تاريخ الجزائر المنبثق من القاعدة ولم يظهر من القمة.

إنتهى نص التصريح الذي تعمدنا نشره كما ورد في جريدة الشعب ليوم 1989/3/19.

إذا كانت الأفكار والمطالب والأطروحات الواردة في هذا التصريح لا تحتاج الى شرح من حيث وضوحها وأهدافها القريبة والبعيدة.. فإن ما لاينبغي أن يترك دون التنبيه الى مكامن المغالطة أو الخطإ فيه،رفعا لكل لبس واستجلاء للحقيقة

أمام جيل الاستقلال الذين لا يعرفون، أو لم يدركوا - بحكم السن - أخوة، ووحدة صف الأبطال المجاهدين في بلاد جرجرة والصومام... هو قوله في مستهل التصريح « فمنذ أوائل القرن الحالي طرحت هذه القضية على أساس جهوي، تتعلق بفئة معينة من الشعب الجزائري، وهذا الطرح الخاطىء أدى الى أزمة 1949 م، حيث قالت الأحزاب آنذاك بأن مسألة الثقافة واللغة ستطرح في وقت لاحق، وأن المشكل الآن هو تحرير الجزائر من الوجود الإستعماري... بعد ذلك جاءت ثورة نوفمبر 1954م، وأجل مرة ثانية النظر في القضية وأعطيت الأولوية للحرية والاستقلال... » فزيادة على ما أوردناه من حقائق دامغة وتفاصيل دقيقة فيما سبق.. نقول، تعليقا على هذا الكلام المغالط :

أولا : مادام زعيم الحزب يعترف - صراحة - بأن الحركة البربرية طرحت على أساس جهوي خاطىء... وأدت الى أزمة 1949 م... فلماذا يعاد تكرار نفس الخطأ اليوم بطرحها جهويا وعرقيا، بل وإعادة بعثها من قبل نفس الشاكلة من الأشخاص الذين أوقعوا الفتنة في صفوف الحركة الوطنية سنة 1949م... وقضي عليهم بسلاح الوطنيين من أبناء المنطقة أنفسهم قبل اندلاع الثورة المسلحة*

ثانيا : هل قضى الثوار على رموز أزمة 1949 م لكونها جرثومة فتاكة في صفوف وحدة الشعب الجزائري، للحيلولة دون رص صفوف أبنائه، لخوض غمار المعركة الفاصلة المنتظرة، من أجل الاستقلال التام (أي إستقلال الجنسية والشخصية والسيادة) عن قيود ورموز ومخلفات الاحتلال الفرنسي... أم أن اتفاقا قد أبرم بين قادة الحركة الوطنية الجزائرية و«رموز» الحركة البربرية، من أجل تأجيل طرح القضية الى «مابعد الاستقلال» على حد تعبير السيد الناطق الرسمي للحزب، في تصريحه بالحرف الواحد ؟ ! وسؤالنا التكميلي الملح هو كالتالي:

- إذا كان الجواب على الشطر الأول من السؤال بالإيجاب (وهذا هو الصحيح حسب شهادة جميع الأحياء، وكما هو مبين في الفصل السابق) فلماذا

* راجع ملاحق الكتاب (1) و (2).

يعاد طرح نفس القضية، وبنفس الكيفية - تقريبا - للقضاء على هذا الاستقلال في بداية خطواته الأولى نحو الاكتمال، وتفتيت الوحدة الوطنية للشعب والتي تعتبر الضمانة الوحيدة وصمام الأمان الأساسي لهذا الاستقلال، حاضرا ومستقبلا، مثلما كانت بحق الشرط الأول - بعد الله - لتحقيقه في الماضي القريب...وافتكاكه من مخالب العدو الغاصب.. ! ؟

وإذا كان الجواب بالنفي عن الشطر الأول، وبالإيجاب عن الشطر الثاني، كما يريد أن يوحي إلينا الناطق الرسمي للحزب بقوله : « حيث قالت الأحزاب آنذاك (!) بأن مسألة الثقافة واللغة ستطرح في وقت لاحق، وأن المشكل الآن هو تحرير الجزائر من الوجود الاستعماري... » فإنني هنا أتحداه أن يحدد للقارئين «بالإسم » هذه الأحزاب الوطنية « التي قالت!؟ » اللهم إلا إذا كان يقصد «حزب الشعب القبائلي» صاحب الفتنة المشار إليها من قبل الناطق الرسمي بنفسه !! وأتحداه - أيضا - أن يأتي بأية وثيقة مكتوبة (بأية لغة كانت) أو أية شهادة حية ناطقة أدلى، أو يدلي بها أي قائد من قادة الثورة الأحياء، سواء من مفجري الثورة (22) أو من قادتها الستة، أو من أي واحد من أبطال وقادة الثورة في مؤتمر الصومام، وما بعده، من الذين حاربوا الاحتلال تحت لواء الجهاد في الداخل، على امتداد السنوات السبع الملتهبة بالحديد (الأبيض والأحمر)، وفي كل شبر من أرض الجزائر، بدون استثناء، لأية جهة، أو منطقة أو ولاية...

ونكتفي بهذا، كتعليق على بعض المغالطات الواردة في التصريح (البرنامج)، ونترك القلم للأحرار من أبناء الجزائر عموما، ومن قلب جرجرة والصومام والأوراس على وجه الخصوص، ليعبروا عن مواقفهم وآرائهم إزاء الطروحات الواردة في أدبيات ومبادىء هذا الحزب « الجديد » !

فتحت عنوان : « من هم الأمازيغ » ورد مقال مطول بقلم محمد الصغير زمالي (من الأوراس) والمنشور بجريدة الشعب بتاريخ 1989/4/5 جاء فيه :

« أنا هنا لست بصدد إعطاء درس في التاريخ، وإنما فقط أردت أن أوضح بعض النقاط التي أهملها السيد « أمقران آيت العربي » في حديثه الذي أدلى به لجريدة « الشعب » اليومية بتاريخ 1989/3/19 باسم « التجمع من أجل

الثقافة والديمقراطية » والنقاط التي أهملت أو غض الطرف عنها قصدا، هي التالية : وإذا كان هناك لبس أو تحريف في توضيحي هذا فليثبت السيد أمقران آيت العربي عكسه للقارىء الكريم :

♦ الأمازيغ:

هم جميع سكان شمال إفريقيا ابتداء من الشلح بالمغرب الأقصى الى الجرابة بالمغرب الأدنى وفي المغرب الأوسط (الجزائر حاليا) هم من بني عبد الوادي بتلمسان بأقصى الغرب الجزائري الى النمامشة بتبسة بأقصى الشرق الجزائري، واللبس هنا هو أن السيد آيت العربي، يعطي للتجمع صفة العموم ويطرحها كقضية وطنية تهم كل الوطن، ونحن لحد الساعة لم نسمع بأن بني عبد الوادي أو التوارق أو الشاوية أو النمامشة وبني ميزاب علما بأن بني ميزاب هم من أصل فارسي، قد شاركوا في هذا التجمع بصفة رسمية، من هنا تتضح المراوغة في الطرح من قضية جهوية محلية ضيقة، الى قضية وطنية، وإذا كان العكس فليزودنا لسيد أمقران آيت العربي، ونحن المخطئون ونعتذر للملأ، وإذا لم يثبته بالدليل فليسحب صفة الشمول، وهو مشكور.

♦ اللغة:

اللهجة الأمازيغية هي شتات من لهجات محلية لم تكن لها قواعد ولا ضوابط تحكمها المرة، والدليل على ذلك عدم حصولنا لحد الساعة على ديوان حضاري لها، بالإضافة الى استعمال الأبجدية العربية في كتابتها عند الشاوية، والأبجدية الفرنسية في كتابتها عند قبائل جرجرة. وقد اكتشف أخيرا أن لها بعض الرموز المنحوتة في أدغال الطاسيلي حسب قولهم، ورغم مابذله الكاتب الجزائري المرحوم «مولود معمري» ليجعل منها لغة، إلا أنه لم يوفق بسبب الغموض الذي ساد هذه الرموز، هل ترجع أصلا الى حضارة الطاسيلي التي تشترك فيها حتى قبائل الزنوج، أم الى البربر - كل شمال إفريقيا - وقد اعتمدت هذه الرموز كحروف للقبائلية في مجلة « أمازيغن » التي كانت تصدر عن الأكاديمية البربرية بباريس. و« مولود معمري » هو صاحب الاكتشاف المثير بعد تخصصه في علم السلالات، بأن البربر ينحدرون أصلا من شعوب «الجرمن!!» وهو نفسه صاحب فكرة ربط اللغة العربية باللهجة القبائلية

وكونهما لغتين ميتتين، وليستا لغتي علم وحضارة، ومصير هذه مربوط بتلك، أو الإبقاء نهائيا على اللغة الفرنسية لغة رسمية، والعامية الجزائرية لغة وطنية، وهذه الأخيرة خليط من مختلف اللهجات الأمازيغية، ولغات المستعمرين من الفينيقيين الى الفرنسيين..

◆ **الأمازيغية :**

يقول السيد آيت العربي : «... وفي ميدان التعليم نحن لا نريد أن نقف كمنتقدين بل نقترح البديل والحلول وفي اعتقادنا أن رفع المستوى يتوقف على التدريس بلغة الأم أي العربية والأمازيغية معا وفي جميع مستويات التعليم...».

أية أمازيغية يعنيها ونحن مُسَلّمون (بفتح السين وتشديد اللام) بأن الأمازيغية هي شتات من لهجات جزائرية محلية تختلف من جهة الى أخرى، اللهم إلا إذا كان يتوهم بأن الأمازيغية هي اللهجة القبائلية المعتمدة في القناة الثانية من الإذاعة الوطنية، وهي من عهد الاستعمار وهذا التوهم ليس بصحيح، لأن اللهجة القبائلية ليست هي الأمازيغية لأن الأمازيغية هي الكل والقبائلية هي الجزء، وإلا كيف نفسر الفروق الصارخة في الكلمات والمعاني بين لهجة الشاوية بالأوراس وبين القبائلية في جرجرة وبين لهجة البجاويين ببجاية وبين لهجة النمامشة بتبسة وبين لهجة التوارق بتامنغست ولهجة السيزاريين بتيبازة ولهجة بني ميزاب بغرداية ولهجة الندارمة بتلمسان ولهجة الحراكتة بأم البواقي.. و.. وبين هذه وتلك فأي اللهجات تنتمي أصلا الى الأمازيغية لنعتمدها لغة وطنية. إذا قبل أن يتم الاتفاق نرجو من السيد مقران آيت العربي سحب صفة الوطنية عن القبائلية وهو مشكور.

◆ **الانتساب :**

ينكر « التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية » على لسان ممثله السيد آيت العربي إنتسابه حتى للمغرب العربي الكبير، وفي نفس الوقت يدافع عن الأمازيغية التي كانت ممتدة من موريتانيا (يوبا II) الى خليج سيرت وطبرق بليبيا، فمملكة نوميديا وعاصمتها (سيرتا) قسنطينة الحالية، حيث يقول السيد

أمقران آيت العربي: «... بالنسبة للدستور والديباجة التي جاء بها والتي تجعل من الجزائر أرضا إسلامية وجزءا لا يتجزأ من المغرب العربي الكبير وأرضا عربية، فنحن لا نوافق على هذه الديباجة، وسنعمل في إطار حزبنا من أجل تغيير مالا يتفق مع مبادىء التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية..»

وهو بهذا لا يعترف بما سنه وأقره العلماء الجزائريون المنحدرون أصلا من الأمازيغ وهم العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي والعربي تبسي وغيرهم من سلالة مسينيسا وميسيبسا ويوغرطة وتكفاريناس والكاهنة وكسيلة لحما ودما راجع التاريخ وهم الذين رفعوا شعار «الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا» وهم الذين أقروا انتساب الشعب الجزائري للعروبة «شعب الجزائر مسلم، والى العروبة ينتسب، من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب» وهو كذلك ما يؤكده الدكتور عثمان سعدي وهو بربري حر رضع لبن الكاهنة، راجع كتابه «عروبة الجزائر عبر التاريخ» ولعلمك فالكتاب مكتوب بالعربية للأسف !!؟ وبعد عرض برنامجكم السياسي سيكون لقاء آخر بحول الله، من أوراس النمامشة...»

وتحت عنوان: «تلهيج» اللغات و «تلغية» اللهجات كتب الدكتور حسين رايس (باحث بجامعة السوربون): ليس المراد هنا تناول اللهجات ومشاكلها ولا كيف ينبغي اعتبارها، انما المراد ان ننبه القارئ إلى أحد مصادر تغذية الشعور بتوجب استعمال اللهجات والدارجات بدل اللغة العربية بالشمال الإفريقي التي يتكلمها الجميع ويستعملها في جميع الميادين منذ 14 قرنا بكفاءة وامعان بالغين وحب واعتزاز ما بعده اعتزاز، وهي لغة القرآن ولغة الأصل، وهكذا يعتبرها الجميع المصادر التي توجه الناس وترسم لهم خطط المستقبل، وتعلمهم كيف ينتزعون أنفسهم من الأصالة ويخلعون عليها صفة الاستلاب، ونقصد بها «معهد الدراسات الشرقية» بباريس الذي يجعلنا نخرج بانطباع ان كل الجهود التي بذلت والتي لا زالت تبذل على يد اساتذة متخصصين في حقول عدة من المعرفة سيما المعرفة التي تتعلق بالبلدان النامية، من لغة وعقيدة واجتماع واقتصاد وغيره من فروع واختصاص، أما لهجاتنا «البربرية» فقد بدأ تدريسها

بهذا المعهد سنة 1913 بصورة رسمية، وقد دشن درس هذه اللهجات من طرف الأستاذ « ادمون ديستان » (Edmond Destaung) الذي استمر يدرس هذه المادة الى سنة تقاعده 1940 [1]. فخلفه غيره من الأساتذة الاستشراقيين مثل اندريه باسي (A. Basset) ابن رونيه باسي (Rene Basset) المعروف، الذي قام بنشاط حثيث طوال وجوده بالمغرب العربي مدرسا وباحثا في سبيل احياء فكرة لغة أو لغات « بربرية » بجانب اللغة الفرنسية تمكنها وتدعمها من دور إضعاف اللغة العربية في وطنها وبين ذويها. وقد بدأت مناهج الدراسات والإرساليات العلمية المتعددة تملأ الفراغ متواحدة ومتنامية بتواحد وتنامي السلطة الفرنسية بهذه البلاد. وقد أشرنا لذلك اثناء حديثنا عن التبشير في تونس وعملية انشاء متوسطة آزرو بمراكش التي تحولت إلى معتقل للتعريب والمقاومة الوطنية [2]، بعد أن شعر السكان المحليون بخطر داهم من قبل توسع امبريالي فيما بعد. قدمت هذه الدراسات الموجهة لإحياء النعرات البربرية ضد « غيرهم » من السكان بشمالنا الإفريقي، وكانت في شكلها ومضمونها محدودة لدرجة انه امكن عد القائمين بها من مختصين ومدعمين لهم وقتها على رؤوس الأصابع. إلا أنه بدأت تتوسع في العقود الأخيرة في شكلها ومضمونها واصبحت تنال حصة الأسد فيما يدرس ويقدم من مواضيع تحصصية إلى الطلاب والباحثين من طرف أساتذة متمرسين مطلعين على شؤون الوطن العربي، وعلى أيديهم تطورت هذه الدراسات بوتيرة مدهشة في العقود الأخيرة، بلغت قمتها القصوى مع استقلال هاته الشعوب المغربية من ربقة الاستعمار وهي الآن في عز شبابها من حيث الكم والكيف، وتعددت المراكز وانشئت لها توابع مثل «اكس اون بروفانس»(Aix-En-Provence) ذات المراجع الواسعة عن السكان المغاربة، تدخل حلبة الصراع من أجل تطوير الدراسات البربرية والبحث عن ايجاد لغة قادرة على القيام بمهام الحياة العلمية والأدبية لمنافسة العربية، وهذه اكاديمية بربرية يعلن عن قيامها وتدشينها 1967 من طرف أحدهم لا علاقة

(1) أنظر: Lionel Galand;langue et litterature berbére(C.N.R.S1979),p.44;

(2)أنظر: Ageron;op;cit.pp, 124 – 26;

له بالعلم، لا من بعيد ولا من قريب [1]، وهذه فروع تزداد شهرة وتعددا في باريس وضواحيها ولعل في أماكن أخرى، يشرف على توجيهها علميا وأدبيا خبراء في فن التزييف الذين أشرنا اليهم سابقا..! وهم يعرفون الكثير عن الشعوب المغربية بحكم المدة التي عاش أكثرهم فيها بهذه البلدان، وبحكم الامكانيات المادية والمعنوية التي كانوا يتوفرون عليها اثناء وجودهم بالمغرب كحكام ومسؤولين، فتوغلوا في المجتمع واصطنعوا الوسائل الفعالة، وجهزوا انفسهم بما في ذلك تعلمهم اللهجات البربرية، يأتي على رأس القائمة الأستاذ جلان (Galand) وخليفته المساعد له لوجي [2] وهما يعملان بدون كلل رغم تقاعدهما رسميا راغبين في الوصول في أعمالهما المتواصلة إلى وضع نظرية على المدى البعيد تكون أساسا للغة والحضارة اللتين «ستزيحان » اللغة والحضارة العربية الإسلامية بالشمال الإفريقي. اما جامعة فانسان (Vincenne) الموجودة بشمال باريس بضاحية سان دوني (Saint-Denis) فانها في وضعها الدراسي التلفيقي لم تنج من تبني سياسة « فرق تسد » في دراستها وبرامجها التي تقوم عليها ثلة من أساتذة الاستشراق و« الساميات » بالمفهوم الايديولوجي لا العلمي[3] الذين يخضعون ويسيرون وفق اراء ماكسيم رودنسون (Maxime Rodinson) ودافيد كوهين (David Cohen) ومن سبقهم امثال مارسيل كوهين الذي يعتبر « ابا الساميات» قبل هذين الرجلين.

ان ارضية العمل الجغرافية لتدريس اللهجات البربرية تمتد حسب تعريف هؤلاء المستشرقين المتخصصين في أوضاعنا، من واحة سيوة بمصر إلى المحيط الأطلسي يضاف في بعض الأحيان من الوجهة اللغوية جزر كناري مرورا بمنطقة زوارة بشمال ليبيا وجبل نفوسة في نفس القطر، وجزيرة جربة ومنطقة مطماطة

(1) أعلن إنشا «(تدشين)» أكادمية بربرية ممن طرف عبد القادر رحماني 1967 ، أنظر: Galand,op;cit.p 44

(2) يقوم هذان الرجلان سيما مدير «الدراسات البربرية» السيد جلان منذ مايزيد على 20 سنة بالاهتمام بهذا الموضوع بمعهد «الدراسات العليا» بالسوربون، وهما يشرفان على توجيه مجموعة من الطلبة سيما من الجزائر ومراكش في تحضير شهادات في اللهجات البربرية.

(3) كلمة سامية حديثة العهد لاعلاقة بالحضارة التي استعملت من أجله، وقد اطلقت كلمة السامية من طرف العالم النمساوي شلوزر shlozer (1781) لتقوم مقام مفهوم العروبة، لزيادة في التفاصيل أنظر العرب واليهود في التاريخ (دمشق،دار العربي للإعلان والنشر.1973).ص:128-129.

وتطاوين بتونس وبعض أجزاء ونواحي من الجزائر كمنطقة الشاوية وبلاد القبائل ومزاب وأرض الطوارق الخ.. وبلاد مراكش وما يتخللها من مناطق لهجوية كمنطقة الريف وجبال الأطلس المتوسط ومنطقة سوس.. الخ ومجموعة من السكان بالسنيغال (زناكة) وبعض الاجزاء من مالي والنيجر (الطوارق). هذه الخريطة بصورة مبسطة هي المقصودة بهذه الدراسات على أساس اعتبارها خريطة اللهجات البربرية متقاربة فيما بينها بنى عليها مهندسو الأمس ومنظرو اليوم آمالا عراضا، لا يتوانى أحد منهم في العمل الجاد على وضع كل ما من شأنه ان يجعل هؤلاء السكان يشعرون بالاختلاف عن غيرهم من بني قومهم الآخرين الذين لا يتقنون لهجات بربرية. وبرغم أنهم هم الذين وضعوا قائمة اللهجات وسعة الخريطة التي تدور على أرضيتها المواصفات والدراسات، فانهم لا يجدون ثقلا في ألسنتهم وهم يعددون هذه اللهجات التي تتجاوز 4 آلاف لهجة [1] مثل آلاف اللهجات الإفريقية الأخرى، وبالرغم من استحالة وضع قالب لغوي لشعوب عديدة لها لغة أو بعض اللغات المحلية تليق بها وتعبر عن مختلجات وجدانها ومتطلبات العلم والادب في حياتها الاتصالية والتجارية الخ.. كاللغة العربية التي يتكلمها ما يزيد عن 100 مليون نسمة بصورة مباشرة، واكثر من هذا بقليل بصورة غير مباشرة من الشعوب وهما الهوصا والسواحلية اللتين تستعملان لدى بعض هذه الشعوب وهما لغتان جديرتان بتعويض اللغات الأوروبية كالفرنسية والانكليزية في المناطق الجغرافية الناطقة بهما في وقتنا الراهن. واذا دحضت امام هؤلاء العلماء « الاجلاء » مسألة العرق بحجج موضوعية وانه لا وجود له وحتى اذا انوجد فان اغلب الاراء والدراسات تثبت عروبة هؤلاء السكان منذ القدم، وان لغتهم العربية المستعملة في جميع اغراضهم اليومية والفكرية ولهجاتهم المتنوعة تعود إلى أصول « سامية » (عربية قديمة) تثبت هذا الانتماء [2]. وان التركيب اللغوي للهجات البربرية معنى ونحوا وتصريفا يقترب من اللغة العربية وانه يخضع لنفس نظام اللهجات العربية التي ما هي الا تشويه للفصحى تحت ضغط عوامل تاريخية وجغرافية كالعزلة وطول الامد. اذا قلت لهم هذا وقفوا لك

1-) André Basset; Article de diactologie berbére (PARIS: KLINCKSIEK) 1599 p.1.
(2) د.عثمان : السعدي، ، مرجع سابق.

بالمرصاد واستحسنوا علنا أو خفية غروبك عنهم، وتخليك عن دروسهم، وتقليلك من مناقشتهم لئلا تعكر عنهم صفو افكارهم ورسم تصميماتهم التي لا زالت تجد بعض الاذان المغلقة الجاهلة صاغية لما يقولون وأعينا متفتحة على ما يعرضون وقلوبا شغوفة لما يقدمون، ولكي نسمي الأشياء باسمائها فلا محيد لنا عن عقد شبه مقارنة بسيطة بين ما يحدث في فرنسا من سياسة وطنية، وبين مايحدث عندنا من سياسة ترك الحبل على الغارب.. فاللهجات الفرنسية التي تنيف عن عشر هي في طريق الاختفاء والضمور، وان كانت هناك برامج ثانوية لا أهمية لها يقدمها رجال الثقافة في فرنسا كذر الرماد في العيون متظاهرين بانها لغات ذات أهمية اقليمية تحت أسماء متنقلة متغيرة حسب الملابسات والظروف المحيطة بالظاهرة أو المفكر (المشروع التربوي والثقافي والسياسي الخ) من لغات اقليمية إلى لهجات أو دارجات (Langues regionales patois parlées). وان هؤلاء امام الأمر الواقع المرئي له بحيث لا يستطيعون أن يقولوا ان لغة باريس قد طغت على جميع اللغات الأخرى وان هذه الأخيرة تتصارع مع اللغات الاجنبية التي بدأت تغزو المجتمع وميادين العلم والتجارة والدعاية سيما من طرف اللغة الانكليزية والالمانية، في حين يفعل هنا في تخطيط دقيق يراد للهجات البربرية أن تصبح لغة محل اللغة العربية التي لم تزاحم اللهجات البربرية يوما من الأيام على الإطلاق، انما هي لغة العلم والادب والعقيدة، وما محاولة استرجاعها لسيادتها الا على حساب تراجع اللغة الفرنسية التي غزت اللغة العربية في عقر دارها وانها قدمت إلى شمال افريقيا في آخر موجة على ايدي حملة العقيدة الإسلامية فاستقبلها السكان المغاربة كأداة للإسلام فتمكنوا من ناصيتها واستعملوها بدقة، وعبروا بها عن مختلف حاجاتهم، وان الثقافة العربية الإسلامية تعني كل شيء يمكن التحدث عنه ان لم يكن عربيا فهو إسلامي والشعوب المغربية في مختلف ملامحها واصولها عربية إسلامية، وليس هناك تناقض مع الانتساب الامازيغي أو الثقافة الشعبية التي هي ثقافة إسلامية المعتقد بما لها من خصائص محلية ككل ثقافة أخرى.[1]

---

1) عن بحث منشور في العدد الثالث من مجلة دراسات عربية باريس 1983.

ومن استجواب مع السيد عبد السلام بلعيد * نقتطف منه الفقرات التالية:

الشعب : هناك مسألة تسبب طرحها في تفجير حركة انتصار الحريات الديمقراطية تطرح اليوم من جديد وبحدة وهي مسألة البربرية، فما رأيكم فيها ؟

عبد السلام بلعيد : أنا معروف في هذه الأوساط أنني مناهض للحركة البربرية بالشكل الذي تطرح به، لقد عشت الظاهرة في الأربعينات في الأوساط الطلابية كمناضل في حزب الشعب، والفكرة التي ظهرت انذاك هي أن الجزائر ليست عربية، مثلما هي ليست فرنسية فهي جزائرية.

كان الصراع بين مجموعتين حول ماهية الشخصية الوطنية، ولكنه أخذ أبعادا أخرى، فقد ظهر جيل من المناضلين المثقفين ثقافة فرنسية تبنوا فكرة الجزائر – جزائرية وأخذت المسألة نوعا ماصبغة (عرقية – ثقافية – لغوية). الآن يقولون أن في الجزائر مجموعة من السكان ليسوا عربا فرضت عليهم العربية كما فرضت الفرنسية، ويعتبرون اللغة والثقافة العربية دخيلة أو مستوردة، وهذا خطأ أو تزييف تاريخي، لأن المسلمين والفاتحين الاوائل الذين جاءوا بالرسالة المحمدية كان عددهم قليلا، ولذلك فانهم حتى وان أداروا شؤون البلاد، فانهم بقوا دائما أصحاب السلطة.

لقد تولى ادارة شؤون الشعب والبلاد جزائريون بربر، فباستثناء عهد الاغالبة فان جميع الدول التي قامت في المنطقة كانت قيادتها محلية، بل ان هذه القيادات المحلية وصلت حتى الى الشرق، ذلك أن القاهرة بناها البربر في عهد الفاطميين، ولم يتنكروا للغة العربية، فقد تبنوها وجعلوها لغة العمل والكتابة.

والمثقفون في الجزائر قبل الفتح الإسلامي كانوا يستعملون اللاتينية، ولم تفرض عليهم العربية بعد الفتح، وانما تبناها الشعب، ونسي جزء هام منه حتى لهجته، ولم تبق اليوم سوى فئات قليلة في منطقة القبائل والاوراس وواد ميزاب تستعمل لهجاتها المحلية.

* وزير سابق، وهو مجاهد، من منطقة القبائل ومن أقطاب الحركة الوطنية .

ومشاركة سكان الشمال الإفريقي في الحضارة العربية - الإسلامية معروفة ولا تقل أهمية عن مشاركة غيرهم، وهذه الحضارة ليست ملكا خاصا لعرب المشرق.

ان الذين يقولون اليوم ان العربية فرضت عليهم مخطئون، فقبل الاحتلال الفرنسي، كان سكان منطقة القبائل مثلا يتحدثون بلهجتهم لكنهم في التعليم والكتابة يستعملون اللغة العربية، فمن فرض عليهم ذلك؟ لقد كانوا يعتبرون العربية لغتهم، وكل مثقفيهم مثقفون ثقافة عربية، لهذا عندما نقول ان اللغة العربية هي اللغة الوطنية فليس هذا أمرا مزيف ولا مفروضا على أحد، وأجدادنا جميعا شاركوا في ازدهار وانتشار اللغة والثقافة العربية.

لقد حاول الفرنسيون في بعض مناطق البلاد خاصة في القبائل أن يوهموا السكان أنهم يعيشون تحت السيطرة من الرومان مرورا بالعرب والاتراك، وأن العرب حلقة في سلسلة السيطرة وعليهم اليوم أن يتمسكوا بشخصيتهم، وأول شيء عمل الفرنسيون على ترسيخه في أذهان هؤلاء أنهم ليسوا عربا.

اذا كانت الثقافة هي تراث موروث فان التراث عربي، ولكن البعض يحاول أن يمحو كل هذا ويخرج بلغة جديدة وأظن أن هناك التباسا، فعندما يعملون على كره الناس للعربية فليس بالامازيغية نواجه المشاكل اليومية سواء في التعليم أو غيره... والواقع أنه اذا فقدنا العربية فليس هناك من بديل آخر الا الفرنسية.

بعض الأوساط الفرنسية لم ولن ترضى على استقلال الجزائر وعلى وجود أمة جزائرية موحدة، لقد كنت نيتهم عندما تأكدوا أن بقاءهم في الجزائر غير ممكن. تفتيت البلاد إلى دويلات صغيرة متكونة من مجموعات اثنولوجية، أي دويلة في الأوراس، وأخرى في منطقة القبائل، وأخرى في الصحراء، ودويلة فرنسية في احدى مناطق الشمال، ولكن الثورة أبطلت مفعول كل هذا، وعمقت روح الوحدة الوطنية التي أفشلت جميع مخططات الاستعمار، لكن لا يمكن القول ان هذا التفكير، وهذا المنطق قد انتهى بخروج فرنسا، لقد عملوا ويعملون اليوم

على ابراز أقلية، وتعميق الاحساس لديها أنها مظطهدة تحتاج إلى حماية خارجية، أي خلق مشكل في الجزائر مثل مشكل المارونيين في لبنان، هذا هو هدف فرنسا، وهذا هو الخطر الموجود، ولابد أن نعالجه بكيفية علمية، يجب أن لا نجرح الناس.

هناك اليوم تيار بربري يقول ان الثقافة البربرية مضطهدة، ولذلك لا أرى مانعا من أن تدرس اللهجات البربرية كلها، مثلما لا أرى مانعا في وجود فروع جامعية، لكن مسألة اللغة العربية مفصول فيها، فهي لغة كل الجزائريين أيا كانت المنطقة التي يعيشون فيها، وهي اللغة التي استعملوها عبر القرون.

يجب اطفاء هذه الحساسية، ولا ينبغي ترك الأمر يصل إلى حد الفتنة بين مختلف المناطق، لا ينبغي ترك الأمر يتطور ويتشنج بين ما يسمى عرب وبربر، وهذا الأمر يحتاج إلى معالجة علمية مدروسة.

هناك أطراف خارجية تزرع بذور الفرقة والشقاق خاصة بعض الأوساط الفرنسية وهدفها الحقيقي ليس الدفاع عن اللغة البربرية بل محاربة العربية لغة وثقافة.

وهناك طرف آخر وراء هذا الأمر لا ينتبه إليه الكثير من الناس؛ ان محاولة ابراز الاقليات في العالم العربي الإسلامي وراءها الصهيونية العالمية التي تحرك المسألة بطرق علمية بما فيها البربرية.

لنأخذ العناصر الفرنسية مثلا وراء الحركة البربرية فاننا نجد أغلبيتهم من اليهود بحجة الدفاع عن حقوق الإنسان، والاقليات المضطهدة، ولكن الهدف الحقيقي لليهود، والصهيونية هو تفجير البلدان التي تقف ضدهم وخلق عدم الاستقرار فيها.

يجب ان نفهم النس، وان نركز على تنمية الروح الوطنية عند جميع الجزائريين، وأن نجعل النقاش علميا، مبتعدا عن الحساسية والنظرة الضيقة، وأن يتشبع الشباب بالثقافة العربية الإسلامية، ويدركوا أنها شيئٌ ليس غريبا عنهم، بل هي تاريخهم وأساس تكوين شخصيتهم.

ان ما يسمى تراثا عربيا هو تراثنا، ساهمنا فيه بقسط هام، أما التراث الفرنسي فهو خاص بالفرنسيين، واعجابنا « بفيكتور هيجو » أو « لامارتين »

لا يمكننا من القول من أنه جزء من عبقريتنا، أما عندما نتحدث عن ابن خلدون أو غيره من فلاسفتنا ومفكرينا فهذا جزء من ثقافتنا وحضارتنا هو لنا، وكما تقول الحكمة الشعبية « المكسي بتاع الناس عريان ».

ولهذا فان المسألة تتطلب معالجة علمية موضوعية هادئة، وهنا يظهر بصورة جلية جانب من جوانب الضعف في الحركة الوطنية، وجبهة التحرير الوطني، صحيح أن حرب التحرير انتهت لكن الثورة مستمرة بعد استرجاع السيادة الوطنية [1].

وتحت عنوان : « تهويمات الأستاذ حسين آيت أحمد » كتب الدكتور أبوالقاسم سعد الله مقالا إثر تصريح هذا الأخير ببعض الأطروحات، أثناء حديث متلفز في الشاشة الوطنية عبر برنامج (لقاء الصحافة) ليوم 1990/2/15. وقد جاء في المقال المنشور بجريدة الشعب يوم 1990/2/19 مايلي :

« وعلى ذكر البربرية تقول انك غامرت بإجابة لا نعرف هل هي لعالم باللسانيات، وتاريخ اللغات والثقافات، أو هي لسياسي يقوم «بالدعاية» لحزبه ومذهبه ؟ فأنت تقول - إذا فهمتك جيدا - أن البربرية أقدم «لغة» حية في البحر الأبيض المتوسط، فهل تقصد « بالحياة » هنا حياة النصوص أو حياة المشافهة ؟ والمعروف أنه ليس للبربرية نصوص قديمة، لأن أهلها آستعملوا في الكتابة لغات أخرى، كالفينيقية واللاتينية والعربية. وأما المشافهة فاليونانيون والعبرانيون اليوم يتكلمون لغاتهم «أصواتهم» القديمة، ودون أن ندخل في الاختصاص المحض - وأنا بصراحة لا أعد نفسي عالما بالصوتيات واللهجات - نقول ان البربر القدماء كالعرب القدماء، كانوا قبائل عديدة وقد ذكر منهم النسابة كابن خلدون أصولا وفروعا، وكلمة «مازيغ» لا تطلق إلا على من انتسب منهم الى مازيغ بن كنعان، فإطلاق كلمة «الأمازيغ» على كل البربر فيه نظر، وكذلك إطلاق الأمازيغية على كل لهجات البربر...

---

(1) جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1989/10/8).

ولولا القرآن الكريم لكان مصير اللهجات العربية القديمة كاللهجات البربرية أيضا، ليس لها رابطة، فمن قال ان اللهجة لشاوية مثلا هي اللهجة السوسية وهي اللهجة النفوسية... الخ، هل لها قرآن يجمع بينها، أو حتى نصوص مرجعية ؟ أما «التافيناغ» التي ذكرتها فأهل الاختصاص يقولون أنها تعني - بعد حذف حرف التاء - «الفينيقي» أي اللون لأرجواني.

أخيرا، لقد كنت أتمنى لو أنك تحدثت عن تصورك للمشروع الثقافي للجزائر ودعوت الى إنشاء (أكاديمية جزائرية) تبحث في ترقية اللغة العربية والصلة بينها وبين البربرية عبر التاريخ وإحياء الثقافة الشعبية من أمثال وحكم وأشعار، ولست أدري ما الذي جعل تلاميذك يعتبرونك قادما من « بلاد أخرى » فلم يطرحوا عليك تصورك لمستقبل اللغة العربية في الجزائر، والنظام التربوي فيها، ورأيك في انتمائها المغاربي والعربي، والإسلامي. فهل كل ماجاء به حزبك في المشروع الثقافي هو الأمازيغية ثم الأمازيغية ؟ وهل كل تصورك لدولة الإسلام هو أنها « دولة الآخرة »[1].

---

(1) أنظر المقال بكامله بجريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1990/2/19).

الفصل الرابع

علاقة الحركة البربرية بالفرنكوفونية

ومما تقدم فإن الحركة البربرية هي صنيع الفرنكوفونية في الجزائر، بدون منازع، بدليل أن رأس الحربة لهذه الحركة يقع في الجزائر في الوقت الحاضر، وليس في غيرها من بلاد المغرب العربي الأخرى... وما كان لهذه الحركة في الجزائر أن تستفحل وتستأثر بهذه الأضواء والأبواق الغربية، وتؤسس لخدمتها أكثر من خمسة أحزاب سياسية (الى حد الآن) في الجزائر على شكل تنين ذي رؤوس متعددة.. ما كان لهذه الحركة أن تأخذ هذا الحجم في المغرب الأوسط لولا العزم والحزم الملاحظ في مجال التعريب (للتعليم) في هذا البلد، بكيفية لو تواصلت على نفس الوتيرة (دون اصطناع عراقيل مماثلة من الداخل) لتحقق الاستقلال اللغوي عن اللغة الفرنسية في جميع مراحل التعليم وتخصصاته، ولأصابت العدوى الإيجابية بقية البلاد المغربية الأخرى، التي ماتزال فيها الفرنسية سيدة المدارس والجامعات... والدليل الثاني لعلاقة الحركة البربرية بالفرنكوفونية... أن كل دعاتها في الجزائر من الكُتّاب (بالفرنسية) أو على الأقل من المتعلمين في المدارس الفرنسية (التبشيرية المسيحية) والذين لا يجهلون اللغة الوطنية فحسب، بل يناصبونها عداء صليبيا، لايعادله إلا حقد (جون ماري لوبان) على المهاجرين العرب في فرنسا! والدليل الثالث على علاقة الحركة

البربرية بالفرنكوفونية، هوأن جل زعمائها السابقين والحاليين لم يكن لأي منهم موقف وطني مشرف أثناء ثورة التحرير المجيدة فيما نعلم باستثناء القليل جدا ومنهم السيد آيت أحمد*.

والدليل الرابع على أن الحركة البربرية صنيع الفرنكوفونية، وعميلة لها بدون منازع، هو هذا التصريح الرسمي لأحد زعماء حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية (وهو حزب ذو طابع شعوبي) والذي يقول فيه بالحرف الواحد «وباعتبار الفرنسية لغة اتصال وعلم وتكنولوجيا، فنحن نختلف مع الذين يقولون بأن هذه اللغة ليس لها مكانتها في الظروف الراهنة وحتى في المستقبل... »** وحتى يموه على الذين يسارعون باتهام الحزب بالعمالة المباشرة لتأبيد احتلال الشخصية الوطنية (العربية الإسلامية) للجزائر، يضيف قائلا : « لكن نحن نعمل جاهدين من أجل أن تصبح الأمازيغية والعربية لغتي علم وتكنولوجيا وإدارة وصالحتين للحياة العملية » وهذا الكلام فيه إقرار صارخ بأن العربية لغة ميتة مثل البربرية، وهي ليست صالحة للحياة ! وبوضعها في كفة واحدة مع الأمازيغية (أي البربرية) معناه اللاتعريب في الجزائر الى الأبد، لأن البربرية لا يمكن أن تصل الى مستوى منافسة الفرنسية والعربية في الظروف الحالية على الإطلاق، وحتى لا يفسح المجال بالتعريب الحقيقي للعربية، كي تنافس بجدارة اللغة الفرنسية في جميع مجالات الحياة يعمد الى اصطناع الضرة لعرقلة العربية ومنافستها، بل مقاسمتها السيادة في التعليم والإدارة لكي يخلو الجو – حتما – للفرنسية وحدها، كي تمد الجذور في الواقع الاجتماعي الى أجل غير مسمى، وهذا ليس إلا هدفا فرنكوفونيا بعينه ! والدليل التمويهي الثاني الذي يثبت تنفيذ الخطة الفرنكوفونية بإحكام، هو قول الزعيم الحزبي في مكان آخر : « ... وفي ميدان التعليم نحن لا نريد أن نقف كمنتقدين بل نقترح البديل والحلول، وفي اعتقادنا أن رفع المستوى يتوقف على التدريس بلغة الأم أي العربية والأمازيغية معا... ».

---

* راجع الفصل الثاني.
** راجع الفصل الثالث.

وإذا عرفنا أن في الجزائر أكثر من عشر لهجات متداولة في مختلف مناطق البلاد، وهي متفرعة في الأصل عن اللغة البربرية القديمة المندثرة منذ ماقبل الفتح الإسلامي (كما سنرى بعد حين). والسؤال المطروح هو أيٌّ منْ هذه اللهجات المتفرقة عبر الوطن سيصبح لغة رسمية ولغة أمٍّ ولغة وطنية؟ والنتيجة الحتمية –حينئذ– هي سيادة اللغة الفرنسية وحدها في الميدان، كبديل جاهز في كل حين لتفاهم الناطقين باللغات الجديدة (الوليدة) في غياب العربية الوحيدة !.

والدليل الخامس على علاقة الحركة البربرية بالفرنكوفونية والاستعمار الجديد هو أنه على الرغم من تسمية حزبهم « بالتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» إلا أننا لا نجد نشاطهم منصبا على غير اللغة، واللغة وحدها؛ فهل الثقافة والديمقراطية عند دعاة الحركة البربرية لا تشمل إلا اللغة ؟.

وحتى لو جارينا دعاة الحركة في هذا الاتجاه (اللغوي) أليس من المفروض أن يحدثونا عن هذه اللغة (التي وضعت بين عشية وضحاها أمام استرجاع العربية مكانتها التي أفقدها اياها الاستعمار الفرنكوفوني)؟ فهل البربرية كانت حقا لغة موحدة قبل الفتح الإسلامي (المتهم بالقضاء عليها) والتاريخ يثبت لنا أن هذه اللغة (البربرية) المدعاة، لم تعرفها البلاد إلا في شكل لهجات تنقسم في مجموعها الى ثلاثة أقسام وهي : اللهجة الزناتية المنتشرة في ليبيا وتونس والجزائر، (ماعدا منطقة القبائل بالجزائر)، واللهجة المصمودية، وهي موجودة عند شلغ المغرب الأقصى بجبال الأطلس وبلاد السوس، واللهجة الصنهاجية المنتشرة في بلاد القبائل بالجزائر، والتوارق بالصحراء. فما هي أصول هذه اللغة وبأية حروف كانت تكتب في الزمن الغابر؟ ومنذ متى أصبحت هذه اللهجات لغات مستقلة عن بعضها؟ وما هي حدودها الآن في بلاد المغرب؟، أي ماهي حدود هذه اللهجة بالنسبة للهجة الأخرى أو ما هي حدود هذه اللغة المتطورة عن لهجة، وعلاقتها باللهجات أو اللغات الأخرى المنتشرة في المنطقة !؟ وهذا كله قبل الشروع (الهستيري) في المطالبة بتدريسها وجعلها لغة وطنية كما سبقت الإشارة المأخوذة من تصريحاتهم الرسمية المكتوبة. فكيف يمكن أن تتخذ لغة رسمية

ووطنية و 90٪ من سكان الأقطار المغاربية لا يعرفون حروفها ولا قواعدها التي يجري العمل حثيثا في المخابر الفرنسية (كما سبقت الإشارة) لاصطناعها اصطناعا وبعثها من العدم حية تسعى؟!

وحتى لو سايرنا هؤلاء الدعاة وأعترفنا بلغة بربرية مكتوبة وحية وموحدة وموجودة في هذه الديار المغاربية منذ القديم... فإن السؤال الحتمي الذي سيفرض نفسه فرضا، هو لماذا لم تكن هذه اللغة لغة وطنية في عهد ماسينيسا أو خلفائه، بل أنهم كانوا مغرمين باللغة اللاتينية واليونانية، فمثلا ربى ماسينيسا أولاده تربية إغريقية، حيث تعلم ابنه ماصيبسا ثلاث لغات هي : الإغريقية والرومانية والبونيقية، وهذه الأخيرة هي اللغة الفينيقية القديمة، التي دخلت الى المنطقة، مع ظهور الدولة القرطاجية، ولقد ظلت هذه اللغة (أي البونيقية) سيدة الموقف الى غاية دخول الاستعمار الروماني. والسؤال الآخر الذي يطرح نفسه على دعاة الأصالة ومحاربة (الاستعمار العربي الإسلامي للبلاد المغربية) هو لماذا لم يستعمل أدباء ومفكرو هذه المنطقة في كتاباتهم اللغة البربرية هذه ؟ وهم كثيرون ونذكر على سبيل المثال المفكر والفيلسوف المسيحي (أوغوسطين) صاحب كتاب «مدينة الله» وكذلك (أبوليوس) الذي يقول عنه (أوغوسطين) ذاته « أن أبوليوس هو الرجل الإفريقي الوحيد الذي يتمتع بالحظوة الواسعة لدينا نحن الأفارقة » [1] وغيرهم، إذن، فاللغة اللاتينية كانت هي سيدة الموقف في هذه المنطقة، منذ أن دخلها الرومان، مع أوائل القرن الثاني قبل الميلاد... فلماذا -إذن- يصب جام غضب دعاة الحركة البربرية على اللغة العربية البريئة التي انقذت البلاد والعباد من الاحتلال الروماني المسيحي؟ فلماذا تتهم العربية (زورا وبهتانا) بأنها هي التي حطمت البربرية، في حين أن الحقيقة التاريخية الساطعة تثبت عكس ذلك تماما!؟ وأن العربية لم تمس البربرية بسوء منذ وجدت في البلاد، ولعل بقاء اللهجات البربرية أقوى برهان على ذلك.

---

(1) انظر بحثا في هذا الموضوع للأستاذ ابراهيم لونيس (جامعة الجزائر) ، منشور في جريدة «المساء» الجزائرية 1989/7/4

ولقد كان من الأجدر أن توجه هذه التهمة الى اللغة اللاتينية (أمّ اللغة الفرنسية) التي قتلت البربرية، قبل أن توجه الى اللغة العربية. فالعربية عندما دخلت مع الفتح الإسلامي الى هذه المنطقة وجدت اللغة اللاتينية هي السيدة الوحيدة، كلغة حضارة وإدارة وعلوم بدون منازع... فما كان من اللغة العربية (كلغة عقيدة جديدة ولغة علوم وحضارة راقية) ★، إلا أن ازاحتها إزاحة طبيعية وعفوية وتلقائية من الألسن، والواقع الاجتماعي، لتصبح الوضعية اللغوية في البلاد على الحالة المتجانسة التي وجدها عليها المحتلون الفرنسيون في القرن الماضي، والتي أحدثت الوضعية اللغوية الراهنة . فهكذا نرى أن اللغة العربية بريئة من تحطيم البربرية براءة تامة، ولم يعرف أبدا في التاريخ أن اللغة العربية عملت في يوم ما (وهذا من أسباب قوتها المسنود بالعقيدة الربانية الحامية) على القضاء على لغة أصلية وجدتها عند شعب من شعوب الدنيا التي آنتشر فيها الإسلام، ولعل أسطع دليل على ذلك هو اللغة الفارسية التي ظلت موجودة في هذه الدولة الفارسية المسلمة، وما تزال هي اللغة الرسمية والوطنية بعد أربعة عشر قرنا من الزمان في حظيرة الخلافة الإسلامية، ونفس المثال ينسحب على اللغة التركية وكذلك اللغة الأردية في شبه القارة الهندية. فهذه اللغة ظلت السيدة في منطقتها الى أن اجتاحها الاحتلال الأنجليزي الذي أحدث فيها ما أحدثه الاحتلال الاستيطاني المسيحي الفرنسي لبلاد المغرب عموما، والجزائر على وجه الخصوص ! وفي سياق هذا التحليل حول شتى التّعلاّت والشعارات التي تدور جميعها في النهاية حول نقطة واحدة، وترمي الى هدف واحد، وهو إزالة العربية من طريق الفرنسية في الجزائر، نورد هذه الرسالة التي أرسلها قارىء الى جريدة « الشعب » الناطقة بالعربية بتاريخ 1989/7/19 وهو دكتور في الطب حيث يقول : « كثر الكلام وتوالت النقاشات حول صلاحية اللغة العربية في بلادنا وخاصة عن مدى صلاحيتها في الميادين العلمية والتطبيقية، هنا يطرح السؤال : هل أن جميع اللغات الرسمية لدى كثير من البلدان كاليابان والصين، وإسرائيل مثلا، كانت بالضرورة لغة علم وأبحاث منذ نشأتها، أم أن هذه اللغة

★ راجع كتابنا كيف صارت الجزائر مسلمة عربية ؟ مطبعة البعث قسنطينة 1981 .

التي تريدها تسترجع مكانتها الحقيقية بهذه البلاد العربية الإسلامية غير مؤهلة لمتابعة الركب الحضاري ؟ الجواب بسيط. إما أن نكون، أي نسترجع شخصيتنا المشوية بيراثن الاستعمار أو لانكون فنكثر من التلاعب بالمبادىء ونترك الباب مفتوحا أمام أصحاب الديمقراطية المدسوسة بأفكار رجعية وطائفية تحت ستار (التنويع الثقافي)، وهنا نلاحظ الإشارة الواضحة من القارىء الى حزب (التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية) المشار اليه سابقا ».

وتعليقا على هذا الحزب بعد انعقاد مؤتمره الأول في جريدة الشعب ليوم : 1989/12/18 جاء مانصه : « ... التقليعة الجديدة التي خرج بها التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية في مؤتمره الأول الذي عكس نظرة قيادته الى المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها البلاد حاليا في أنها ثانوية ولا تستحق آهتماما كبيرا، وآقتصارها على الجانب الثقافي والهوية الوطنية والتي لاتزال مطروحة للنقاش في الساحة الوطنية في نظرهم بعد الفصل والحسم في مسألتها على أنها بمثابة مفتاح اللغز لهذه الأزمات والمشاكل، وبالتالي بالإمكان اللجوء الى طبع الأوراق النقدية وتسديد الديون وملء جيوب الشعب بها... وهذه ترهات لا أساس لها من المنطق.

كما أن الثقافة المحصورة في الأمازيغية في نظر « التجمع » يجب أن تعتمد وسائل وإمكانيات مستوردة من وراء البحر، وترويجها بالفرنسية لخدمة الفرنكوفونية والعكس صحيح، واتضح ذلك جليا من أشغال هذا المؤتمر السائد بلغة (فرنسا) التي كانت تصيح بها قاعة المؤتمرات لمدة يومين، ويتخيل المرء وكأنه في مؤتمر الدول الفرنكوفونية، حتى الأمازيغية (البربرية) والعربية كان حظهما ضعيفا، إلا من التحية الأولى للحاضرين عند الدخول في التقرير، أو التدخل في البداية، والتي آستغنى عنها المتدخلون فيما بعد، لأنهم أمازيغيون (أي بربر) جسما وانتماء، وفرنسيون عقائديا وتفكيرا، ثم بعد هذا كله هل طلقت الأمازيغية (البربرية) أختها العربية، التي عاشت معها تحت سقف واحد لمدة 15 قرنا، لتتزوج بالفرنسية التي دخلت عليها بالأمس بشق النفس، والتي لم تدخل جبال القبائل إلا بعد 12 سنة من احتلال الجزائر، وكانت استماتة رجالها ونسائها من أروع الأمثال، ودخلت على أشلاء لالة فاطمة نسومر، وغيرها من المجاهدين،

الى ثورة نوفمبر التحريرية، وفي مقدمتهم كريم بلقاسم وديدوش، وعميروش؟! ماذا حدث للتاريخ، هل زور في قاموس التجمع؟ جميل التفتح على الثقافات الأخرى، وشبابنا لحسن الحظ لايعاني أي عقدة في ذلك، وبدون تميز لهذه الثقافات، لكن أن يكون هذا التفتح في اتجاه واحد ومغاير لمضمونه وأهدافه الحقيقية، وزيادة على ذلك على حساب الشخصية الوطنية... ذلك لا يقبله أي عقل أو منطق وطني سليم ».

ويؤكد هذه المعاني كلها قلم وطني ناصع البياض في هذه المسألة حيث يقول صاحبه الأستاذ محمد الصغير زمالي من الأوراس: ما نصه في مقال له منشور في جريدة الشعب بتاريخ 1990/4/3 :

« ...ومن أجل وحدة الوطن ووحدة الشعب، هذا الشعب الذي قدم ملايين الأحرار قربانا على مذبح الحرية والوحدة، هذه الوحدة التي ناضل من أجلها ماسينيسا لا للجزائر وحدها بل لكافة إفريقيا، وآستشهد من أجلها العقيد عميروش والحواس جنبا الى جنب، في ميدان الشرف، نقول لدعاة إثارة النعرات الجهوية والعصبية القبلية أننا نعرف جيدا نواياهم الهادفة الى ترسيخ الفرنكوفونية تحت غطاء الأمازيغية، بعدما تأكدوا أن جيل المدرسة الأساسية يقضي عليها لا محالة، فنهاية الفرنكوفونية آقتربت، تيقنوا من ذلك، وأن الأمازيغية لها حماتها الأحرار كتراث أصيل لهذا الشعب البطل، يبقى فقط، للتاريخ، وإذا كنتم فعلا تنتسبون للرجال الأحرار، وتسري في عروقكم قطرة دم منهم، أن الذين تدافعون عن لغتهم هم الذين نكلوا بلالة فاطمة نسومر يوم قادوها سبية رغم شجاعتها وجراءتها، إنهم هم الذين أهانوا اللبوءة الأمازيغية الحرة التي لا تهان، إن الذين تدافعون عن لغتهم هم الذين نخروا جسد أسد جرجرة عميروش البطل، على الأقل خذوا موقفا منهم «تفننانت» كما قالت الكاهنة! »

نماذج لمجموعة من ردود أفعال الصحافة والشارع الوطني تجاه الأهداف الفرنكوفونية للحركة البربرية

فتحت عنوان : « الأمازيغية بالفرنسية » ورد في مقال منشور بجريدة المساء في عددها الصادر بتاريخ 1989/12/18 بإمضاء عمر أورتيلان (صحفي) جاء فيه :

« ... لسنا ندري ألعقم أم لعاهة فيها بدت في آخر لحظة حالت دون اقتحام الأمازيغية قصر المؤتمرات بنادي الصنوبر لتتبوأ مكانتها التي من أجل استرجاعها واستعادة سيادتها عقد دعاتها وحماتها ومتبنوها مؤتمرهم منذ يومين، هذا المؤتمر الذي يخيل لمن تتبع أشغاله أنه مؤتمر فئة أو شريحة اجتماعية فرنسية متحزبة - لا يهم هنا توجهها - ولكنها فرنسية ومعتزة بفرنسيتها وانتمائها الغربي..

لقد آثر هؤلاء وفضلوا استعمال اللغة الفرنسية التي كانت بدون منازع سيدة الموقف والقرار في مؤتمر (الأر. سي. دي) أي التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، وإضافة الى هذا أيضا الوعاء الذي صبوا فيه أفكارهم، ومواقفهم من جملة من القضايا والمسائل التي تناقلتها منشوراتهم، إذ لم تحظ الأمازيغية سوى بالجزء القليل من مساحتها..

قد يرجع هذا الى عدة معطيات مرجعية، منها أن الأمازيغية لم ترق بعد الى مستوى الخطاب الثقافي والسياسي، ومنها عدم تمكن كل المشاركين من السيطرة عليها، فاستعمالها بطلاقة في تدخلاتهم ومناقشاتهم،، قد يكون هذا وقد يكون ذاك.. غير أن الغريب في أمر هؤلاء دفاعهم المستميت عن اللغة الفرنسية التي طالبوا بإعادة الاعتبار لها وكأنها فعلا تعرضت لإهانة في وقت ما.. وليت ذلك حدث فعلا، لأنه شرف لنا ومفخرة.

لقد أهينت الأمازيغية في مؤتمرها، وتلك حقيقة وواقع عاشته لمدة يومين كاملين، فهل مرد ذلك أن حماتها تآمروا عليها، أم أنهم متحمسون فقط عليها، وبالتالي فهم محسوبون على الأمازيغية وليسوا بأمازيغ أحرار..؟

إن واقع مؤتمر (الأر. سي. دي) يؤكد هذه الفرضية إن لم نقل المُسَلَّمة، والحجة قائمة وتظل الى أن يثبت العكس.. ! ».

وورد تحت عنوان : « اللغة بين حقد الأمس.. ومكر اليوم..؟!» مقال منشور بجريدة الشعب الصادر بتاريخ 1989/12/13، بإمضاء ب. ع مهندس فلاحي ببوقرة (ولاية البليدة) جاء فيه :

« ... في الأيام الخوالي، أيام كان الاستعمار - تسلط الفرنسيين - جاثما على صدورنا رابضا على أنوفنا ومغتصبا لكل موضع أَنَفَة فينا.. كان حصان طروادة هو التمكين قهرا للغة « فولتير وموليير».

كانت « الغو » اللغة الرسمية رغم أنف البلاد والعباد.. تطبق على أصحاب الشعر الأشقر والعيون الزرق، كما تفرض على « الأنديجان » على مستوى الإدارة، وفي كل المعاملات الرسمية..

كانت الضرة الفرنسية - كما هو معلوم - بطاقة اجتياز لم يفز بتعلمها إلا النزر القليل من أبناء الأهالي.. وكما هو معلوم علم اليقين، كان الحظ في ذلك من نصيب أبناء البشاغات والقياد..

وفي خط مواز اجتهد وكد جلاوزة الفرنسيين، من أجل التشجيع في نفس الآن، على اللغات الشعبية..!!؟ الغاية المرجوة والهدف المنشود من ذلك.

تحقيق من جهة الذيوع والشيوع للغته ونشر فكرته وحضارته وزرع دبيب الخلاف، وبث الانقسامات في الأهالي - فرق تسد - وجعلهم كيانات وكانتونات لغوية لا يربط بينهما رابط، لكن هذه الحيلة لم تنطل في تلك الأيام الحالكات، لأن الوطنيين من أبناء هذا الوطن الغالي فوتوا الفرصة على فرنسا، وتفطنوا لمآربها وهي أولا وأخيرا هلهلت صفوفهم.. السناريو يعاد من جديد - في عهد الاستقلال - ولكن بواسطة ممثلين في بني جلدتنا لأداء نفس الأدوار..

والأدهى في كل ذلك أن المهمة أوكلت لأكثر من حزب سياسي اكتسب الشرعية؟!

وراح الأقزام من هؤلاء يتغنون بنفس الدعاوى.. بل دأبوا في الآونة الأخيرة على رفع صوتهم دون خجل على المطالبة والدعوة بكل ما أوتوا على ضرورة وأهمية تشجيع اللهجات المحلية على اختلاف مناطقها؟!..

القاسم المشترك بين دعاة تشجيع اللهجات المحلية بالأمس واليوم هو النية المبيتة بخبث بغية النخر في جسد هذه الأمة، حتى تصير مجموعة أشلاء مجهرية، ومن ثم تكون لقمة سائغة تتداعى عليها الأكلة من كل حدب وصوب.. بعد 27 سنة من عودة السيادة والكرامة لشعبنا..!

أقول لك أخي القارئ، صدقت فراستك وما يثلج الصدر أنك لست بالخب، ولا تنطلي عليك الحيل إنما أريد أن أهمس في أذنك لأقول لك فقط بأنهم « أبناء فرنسا..؟ »

وتحت عنوان : « مؤتمر أمازيغي بالفرنسية » ورد مقال صحفي بجريدة المساء الصادرة بتاريخ 1989/12/17 جاء فيه :

« مؤتمر مولع بنفسه الى حد النرجسية، لم يعيه التصفيق بين الحين والحين، من العاشرة صباحا حتى منتصف الليل، لا يستثني من ذلك إلا أوقات الغذاء والعشاء...

والذي ينبه القاعة الى التصفيق قياما أو لتصفيق قعودا، أو عدم التصفيق، كلمات – مفاتيح – تفعل في المؤتمرين فعل السحر... اللائكية تبعث على التصفيق و« اللائكية حماية للدين » تبعث على التصفيق قياما، و«اللائكية هي الضمان الوحيد لشرف المرأة» تزيد من كثافة التصفيق وتضيف اليه زغاريد النساء، وهكذا تستطيع أن تقيس على ذلك «التطرف واللاتسامح» و«غلق كتاتيب تعليم القرآن ».

وعندما تفلت عبارة تدعو الى تطوير أساليب التربية الدينية وتحفيظ القرآن الكريم، تسري في القاعة برودة قاتلة !!

ولاتفرق القاعة في التصفيق بين من يتدخل باسم هذه الجمعية أو تلك، ولا باسم هذا الحزب أو ذاك... ولا بين من يقرأ تقريرا جهويا، أو بين متدخل في المناقشة العامة... فكل القاعة تصفق لكل القاعة في نهاية التحليل... وليس

شيء أكبر من ذلك في الدلالة على إجماع القاعة مكتبا ورئيسا ومندوبين... بل وصل الإجماع الى أن القاعة تذهب في الاستدلال الى مصادرات المكتب وخطبة الرئيس، بعيدا في التمثيل وضرب الأمثلة، وبعيدا في التطرف والجرأة.

فقد قال الأمين العام للحزب مثلا:« أنا أتكلم الفرنسية بلا عقدة، ولا مشاكل... » وذهبت القاعة الي «ضرورة رد الاعتبار للغة الفرنسية... » والي « أن الفرنسية إرث عظيم»، بل وذهب المؤتمر كله الي أن الفرنسية هي الأصل في النقاش، ولم تستعمل العربية والأمازيغية إلا مرات قليلة جدا في المناقشة العامة، وقراءة التعاليق... أما الوثائق فلا أمازيغية فيها ولاعربية ولاهم يحزنون... فنحن أمازيغ بحكم الأصل ويجب أن نعمق علمنا بأصلنا ولكن بأستعمال الفرنسية من البدء الى المنتهى.

وأتعجب لأحدهم حين قال : «أنا أمازيغي منذ أربعة عشر قرنا، ولكنني لا أحسن الأمازيغية... » وكان تدخله بالفرنسية... ولم يضرب لنا المؤتمر المثل مرة واحدة في أنه أمازيغي قلبا وقالبا من ناحية استعمال اللغة الأمازيغية، فلم يشأ رئيسه أن يكلم الصحفي السوري بغير الفرنسية ليقول له « أن لاشيء يربطنا بالعالم العربي» ولو كان كلمه بالأمازيغية، لكان أبعث للسوري ولنا على تقديره ».

وتحت عنوان : « حصان طروادة أمازيغي » جاء في مقال صحفي منشور بجريدة المساء بتاريخ 1989/12/17 مايلي:

« المقومات المكونة للشخصية الجزائرية هي عناصر : الأمازيغية والإسلامية والعربية والإفريقية والمتوسطية.

هذا باختصار هو المشروع الثقافي المرجعي للمجتمع الديمقراطي الجزائري الذي طرحه حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية الذي يعقد مؤتمره الأول بقصر الأمم.

فاللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية، واللغة الأمازيغية هي أيضا لغة وطنية على قدم المساواة، ولا بد أن تأخذ مكانتها في التعليم والإعلام والتعامل اليومي.

من كان قد عرف هذا وهو يتجه الي مؤتمر الـ « الأر. سي. دي » لاشك أنه يرتاح، فهو علي الأقل لن يجد صعوبة كبيرة أو عناء في فهم ومتابعة الأشغال إن لم يكن قد أسعفه حظه في التفتح على لغة أجنبية، فهو على الأقل يفهم العربية والأمازيغية، أو إحداهما فيستعين بمن يكون جالسا بجواره على عكس مؤتمر الاجتماعيين الديمقراطيين، الذي صالت وجالت فيه لغة فولتير، إلا فيما ندر، غير أن الداخل الى قبة القصر سرعان مايتملكه الذهول وهو يقرأ شعارات المؤتمر المكتوبة بالعربية والفرنسية والأمازيغية ولكنها أمازيغية لاتينية اختارت الضفة الشمالية للمتوسط وفضلت حرفها على حروفها التاريخية، أو على الأقل حروف أختها العربية، ويتبدد هذا الذهول عندما يتحدث رئيس مكتب المؤتمر بعربية طليقة، ويحي الحاضرين بأمازيغية أصيلة ليذكرنا بأنه إذا لم يكن ممكنا قبل اليوم التحدث في قاعة قصر الأمم بالعربية، والأمازيغية والفرنسية، بدون إرهاب وبدون مركب فإن الفضل لأخواننا الذين ضحوا في أكتوبر!!

وتقدم الأمين العام للحزب الدكتور سعدي سعيد ليتلو تقريره فبدأ كلامه بعربية بسيطة، بعد أن حيته القاعة تصفيقا ووقوفا وزغردة، أنطلق فصيح اللسان بفرنسية جيدة متقنة وقد تخطى الأمازيغية !!

وتوالت تدخلات الضيوف التي استهلها ممثل فلسطين بالعربية، ليعقبه ممثل الحزب الاشتراكي الفرنسي، فتعود الفرنسية تدندن في القاعة، مما أغرى كل الضيوف ان يحذوا حذوه إلا قلة اعتمدت العربية، ومن هؤلاء ممثل حزب الباكس، ورئيس الاجتماعيين الديمقراطيين، وممثل اتحاد القوى الديمقراطية.. أما الآخرون فلم يزيدوا على أن يفرشوا لتدخلاتهم بالعربية أو الأمازيغية لتكون الوجبة بالفرنسية وهو الفراش المقدمة الذي رأى أغلب المتدخلين ضرورة الاستغناء عنه خاصة الجمعيات النسوية!!

ويأتي الصحافيون الي ندوة الدكتور سعدي علهم يظفرون لديه على إجابات عن قضايا طالما اكتنفها الغموض في توجه هذا الحزب، وطالما أن مؤتمره يرفع شعار خطاب الصراحة. فقد كان الدكتور وفيا له حتى العظم، وهكذا فهو يرى الوحدة المغاربية ضرورة تفرضها الظروف الاقتصادية وموقع المنطقة. أما

الوحدة العربية فهو ليس مستعدا للتعامل مع أنظمة تعتبر التعذيب قانونيا.. علاوة على أنه ليست هناك أمة عربية حتى تتحد !!

وال « الأر. سي. دي» يساند الشعب الفلسطيني، لا لكونه عربيا، أو لأن إسرائيل تضطهده ولكن لأنه شعب يبحث عن مكان له تحت الشمس، ومن ذلك فهو يساند الشعب الشيلي!!

وعندما يتساءل صحافي جبهوي عن جدوى البعد المتوسطي، فجواب الدكتور صارم وصريح، إذ أنه يتمثل في الثقافة المتوسطية أي الفرنسية بدون عقدة، وهو مرتاح ومنسجم مع نفسه ولا تكفيه أمازيغيته وعربيته وإسلاميته، ولابد له من المتوسطية، لأنه متقبل على الألفية الثالثة، والتفتح على الثقافة الإنسانية يأتي قبل الهوية الوطنية! والدكتور ما دام تكوينه فرنسيا فهو لا يتعب نفسه في تعلم العربية التي يقر لها بالوطنية الجزائرية، والرسمية للاستعمال الديبلوماسي ويكفيه من العربية أن يبيع بها ويشتري، ولذلك لا يتحرج من أن يجيب صحافيا عربيا بالفرنسية ويطلب منه البحث عن مترجم!!

ويبدو أن الـ « الأر. سي. دي » لن يتبين البعدين العربي والإسلامي إلا مجاراة للدستور الناقص – الظالم للأمازيغية – أو ليكون جواز مروره الاجتماعي والشرعي، بل وحتى الأمازيغية ليست إلا حصان طروادة لتكريس الفرانكوفونية، أو سفينة نوح لإنقاذ الفرنسية باعتبارها إرثا ثمينا تركه لنا الاستعمار الفرنسي ! وفرنسا هي الأقرب الى الجزائري الأمازيغي حتى الذي يعتذر عن عدم معرفته الأمازيغية، رغم أنه أمازيغي منذ 23 قرنا، فالتقارب لا تذيبه أملاح البحر لأن في فرنسا أسماء جبال وأنهار لها أمثالها في الجزائر !!

وحتى الذي يقول أن جدته المسكينة لا تفهم نشرة الثامنة لم يخبرها إن كانت هذه الجدة تفهم برامج القناة الثالثة، وتقرأ المجاهد اليومي والجزائر الأحداث، ورسالة التجمع في نسختها الفرنسية أو حتى الأمازيغية المفرنسة ! !

واللغة الفرنسية لغة وطنية في مفهوم الدكتور الذي يعتبر كذلك كل لغة مستعملة في الواقع الاجتماعي، إذن لا يحق لنا أن ندين الذين رفعوا السلاح

لمنع فرنسا من تبليغنا رسالتها الحضارية التمدنية، ليعيدوا شدنا الى عجلة التخلف الزاحف من الشرق؟!».

- وتحت عنوان : « هل هي دعوة الى فرنسة الجزائر ؟ » ورد مقال بإمضاء فتيح محمد (الجزائر) منشور بجريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1990/1/31 جاء فيه:

« في تصريح مستفز لأحد أعضاء الحركة الثقافية البربرية أثناء التجمع الذي آنتظم يوم الخميس الماضي أمام مقر المجلس الشعبي الوطني قال فيه: «لقد حاولنا تعلم اللغة العربية ونطلب من كل الذين لا يعرفون اللغة الأمازيغية أن يتعلموها، ولست أدري هل هذا المتحدث يعي مايقول، أو يتجاهل عن قصد الأبعاد الحقيقية لهذه المطالب التعجيزية ؟!

ومهما يكن من أمر فإن القضية واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار. إن الذين وراء هذه المطالب ولا أقول المطالبين يعرفون جيدا الأهداف الحقيقية التي يصبون اليها. وببساطة يريدون ترسيخ اللغة الفرنسية لكي تصبح أكثر من أي وقت مضى، والى الأبد لغة الإدارة والمدرسة والمحيط... والأدلة على ذلك كثيرة منها:

إن هذه الحركة التي تدعي الاستقلالية عن أي حزب توهمنا بمغالطة كبرى ذلك أن أعضاء قياديين في حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية كانوا من العناصر التي لعبت دورا كبيرا، بل رياديا في إضراب 1980، وهذا ما بين أن هذه الحركة تابعة الى هذا الحزب وحركت من طرفه ! !

إن إضراب 1980 جاء مباشرة بعد الإضراب الذي شنه أنصار اللغة العربية والذي أتى بنتائج لا بأس بها، وهذا ما أدى بعناصر من خارج الوطن الي تحريك هذه الحركة للضغط على النظام لكي يضع حدا لتغلغل اللغة العربية في الإدارة والتعليم وخاصة التعليم التقني والطبي والتكنولوجي، لأنهم لا يستطيعون مباشرة المطالبة بإلغاء اللغة العربية لأنها دستورية.

فقد بدأت مطالبهم في بداية هذا الإضراب بإعطاء أهمية لما أسموه «باللغات الشعبية» ثم تحولت بعدها مباشرة الى المطالبة بالثقافة الأمازيغية وحرية التعبير، ثم في الأخير بعدما تم تجنيد أكبر عدد ممكن تحولت الى الإعلان

مباشرة عن عدائهم للغة العربية، وضرورة محاربتها وشتم الإسلام، وأبطال الثورة التحريرية وجمعية العلماء المسلمين والعرب بصفة عامة؟!

وقد نجحوا الى حد بعيد في مخططهم الذي هو في الحقيقة مخطط استعماري خارجي للإبقاء على العربية منذ ذلك التاريخ قبيل أحداث أكتوبر في وضعية محتشمة يسودها الغموض والتردد، الى أن جاءت أحداث أكتوبر حيث وجدت الفرصة سانحة لضرب التعريب نهائيا في الإدارة، وتقهقر بشكل فضيع الى يومنا هذا، ومن المفارقات والعجائب الألف أنه قبل سنوات كانت هذه العناصر تتهم اللغة العربية بالعجز والعقم، وعدم قدرتها على مسايرة مختلف العلوم والتكنولوجيا العصرية، ظهرت هذه الفئة القليلة واستطاعت بدافع الحمية والعنصرية الى تجنيد أعداد كبيرة من المواطنين الأبرياء لتطالب باعتماد مايسمى « باللغة » الأمازيغية في التعليم والإعلام... والى جانب اللغة العربية التي لها آلاف السنين لغة القرآن الكريم وأهل الجنة.

والسؤال المطروح على أولي الألباب : هل نستطيع أن نقول ان الأمازيغية التي تتحدثها عدة قبائل بالجزائر وفيها اختلافات عديدة، ناهيك عن مئات الألفاظ باللغة الفرنسية واللغة العربية تعد في مصاف اللغات بالمفهوم الأكاديمي والعلمي من نحو وصرف وحروف حقيقية، وليست الحروف التي اصطنعها المرحوم مولود معمري وكاتب يسين، بتدعيم ومساعدة الأكاديمية البربرية التي أنشأتها فرنسا خصيصا، لاستعمالها كورقة ضغط في الشمال الإفريقي، وخاصة الجزائر لحماية لغتها وبالتالي مصالحها في هذه الرقعة !!

لماذا لم تطالب هذه الحركة وجميع الأحزاب السياسية التي بدأت هذا التجمع ومن قبل ما يسمى « باللغة » الأمازيغية، بطرد اللغة الفرنسية، لغة المستعمر البغيض ؟!

ولماذا لم تطالب هذه الحركة والأحزاب السياسية « الباكس والأر. سي. دي، وحزب الإنسان رأس المال، وحزب القوى الاشتراكية، وحزب العمال «التروتسكيين» من الدولة إعطاء مكانة للغة العربية في جميع المجالات ؟!

ولـماذا هذه المطالبــة جاءت من منطقــة القبائل دون غيرها من المناطق كبني ميزاب والشاوية؟

إن القضية أخي القارىء تكمن في شيء واحد، وهو ضرب اللغة العربية ، وترسيخ لغة المستعمر بالأمس القريب لاغير، ومن يقول غير ذلك فهو جاهل أو تحركه العاطفة القبلية التي ولى عهدها في عهد الأقمار الصناعية والصواريخ التي وصلت الى العديد من الكواكب.

فهذا أخي القارىء القليل من الكثير، فأحرار القبائل يعرفون جيدا لكن البعض صامتون، لأن فرنسا فعلت فعلتها والويل كل الويل لمن يعارض فرنسا، وأبناء فرنسا في الداخل، وخاصة الذين تتصدق عليهم ببعض الفرنكات، فباعوا ضمائرهم وشرفهم ووطنهم، ووضعوا وحدة الوطن في المزاد العلني، وأصبحت الأمور تنذر بفتنة أخرى أكثر من أحداث أكتوبر، فليتفطن الجميع الى هذه الخطورة، ولنعمل على ترسيخ الوحدة الوطنية، ونعتمد شعار ابن باديس الذي قال « الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا ».

الفصل الخامس

علاقة الحركة البربرية بالشيوعية والصليبية

انطلاقا من أن الشيوعية العالمية أكبر عدو للقوميات، على اعتبار أن القوميات تدعو الى التمييز بين الأمم (على أساس العرق أو الدين أو الثقافة واللغة) بقطع النظر عن التطبيقات التي يفرضها المستوى الاقتصادي لأفراد الأمة الواحدة، فإن الشيوعية تعمل دوما على الحيلولة دون قيام الوحدات القومية القوية، ومن ثمة فهي تعمل جاهدة على تفتيت وتمزيق ما هو قائم فضلا عن معارضة مالم يكن موجودا.

ومن هذا المنطلق عرف مصطلح « الأمم السائرة في طريق التكون » الذي اخترعه ولأول مرة « موريس طوريس » رئيس الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1936، للإيحاء به للبلدان والشعوب المحتلة والتواقة - حينئذ - الى التحرر من الهيمنة الاستعمارية الفرنسية (وفي مقدمتها الجزائر) بأنها عبارة عن مجموعة من الخليط القومي المكون من مزيج لاحصر له من الأعراق واللغات والثقافات والديانات، التي تحول دون تشكل هذا الخليط في هيئة أمة واحدة متماسكة الأطراف، في أهم أركانها الثقافية ؛ و من ثمة وصفت الجزائر بأنها أمة في طور التكون « بالمفهوم الطبقي الماركسي » شريطة أن تسير في النهج الشيوعي، وتتمسك بمبادئه تمسكا لا محيد عنه... و قد وقع الكثير من السذج في هذا الفخ الشيوعي المنصوب بذكاء، بدليل أن كل أقطاب الحركة البربرية في الجزائر اليوم « من كبار السن » كانوا أعضاء عاملين في الحزب الشيوعي الفرنسي ـ الذي

أصبح جزائريا بالإسم ـ فيما بعد ؛ زيادة في التمويه و التضليل! وكان من نتيجة ذلك أن انكشف أمرهم و طردوا من صفوف الحركة الوطنية الجزائرية المتمثله حينذاك (في الأربعينيات) في حزب الشعب الجزائري، و حركة انتصار الحريات الديمقراطية، و من بينهم رئيس الحزب الشيوعي الحالي في الجزائر المعروف باسم (حزب الطليعة الإشتراكية) والذي كان شيوعيا بربريا ★. و طرد من حزب الشعب سنة 1949 لموقفه من وحدة الأمة (لسانا و دينا) التي كانت تنادي بها الحركة الوطنية الجزائرية، و في مقدمتها حزب الشعب الجزائري، و كافح تحت لوائها حتى تفجير الثورة المسلحة سنة 1954 التي توجت بأسترجاع الاستقلال السياسي سنة 1962 كما هو معلوم، و في ذلك يقول السيد بن يوسف بن خدة في كتابه : (جذور أول نوفمبر 1954): «أن أنصار النزعة البربرية لم يكونوا متأثرين بإيديولوجية الاستعمار الفرنسي فحسب، بل أيضا بالإديولوجية الشيوعية. و للتذكير فإن الشيوعيين كانوا يعارضون مفهوم «الأمة الجزائرية» المكونة سابقا، و إنما كانو يدافعون عن مبدأ «الأمة الجزائرية في طور التكون» ابتداء من التعايش على نفس الإقليم لمختلف الجاليات (أو القوميات): العربية، البربرية، اليهودية، الإيطالية، المالطية الإسبانية، الفرنسية، رافضين هكذا الدعامة أو الرابطة العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري. و كانوا في أوج ارتقائهم غداة الحرب العالمية الثانية 1946 ـ 1947. وكان يتسم الحزب الشيوعي الجزائري بالقوة، نتيجة المساندة التي كن يلقاها من نظيره الحزب الشيوعي الفرنسي. هذا الحزب الذي وصل تعداده مليون منخرط، وأكثر من خمسة ملايين ناخب، و166 نائب في الجمعية الوطنية الفرنسية. الذي كان يعتبر نفسه حام للاتحاد السوفياتي، لانتصاره على ألمانيا النازية، ونتيجة لذلك أنتشرت بوفرة أدبياته في الجزائر و كانت تستهدف ـ بالخصوص ـ الشباب المثقف!

ولهذا ولع الشباب البربري بالماركسية و كذا بدستور الاتحاد السوفياتي الذي مجد نظام الجمهوريات « الإسلامية »: أزربيجان. الأوز باكستان، طاجاكيستان، الخ... حيث كانت تؤكد أن كل شعب وكل عرق كان يتمتع بلغته

★ أنظر الملحق رقم (1، و 2)

الخاصة، و بثقافته و يستفيد من « الاستقلالية » في تسيير شؤونه. وكنا نجد هذه الحجة غالبا عند الأشخاص الذين تحولوا الى أنصار القضية البربرية.

الى أن يقول في مكان آخر: « ... عوقبوا [أي أعضاء الحركة البربرية من المندسين داخل الحركة الوطنية الجزائرية) على مؤامرتهم التجزيئية، وقد التحق معظم المطرودين بالحزب الشيوعي، منهم صادق هجرس الذي أصبح أحد قادته، وما يزال اليوم قائده الأول... »[1].

ويضيف قوله في مكان آخر : « ... وموازاة مع هذا قاموا بحملة دعائية حادة معادية للعرب والمسلمين، والمستمدة من أدبيات الشيوعيين ومنظري الحركة البربرية... وكانوا يدعون أن هذا الدين (الإسلام) والعرب، ولغتهم كانت السبب في منعنا من التقدم وهي سبب كل مآسينا، إنه دين الشعوب المتخلفة » [2].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن اعتبار الدين من ألد أعداء الشيوعية التي تعتبره « أفيون الشعوب » فكان من المنطقي والطبيعي أن تتحالف الشيوعية الجزائرية ـ والحالة هذه ـ وتعمل مع كل من يناصرها ضد العدو المشترك، وإدراكا من قادتها المحترفين، بأن الإسلام في الجزائركان ـ وما يزال ـ يمثل أس الأساس في التميز الثقافي، وبالتالي التميز القومي (العربي ـ الإسلامي) للجزائر، بصفتها جزءا أصيلا من الأمة العربية الإسلامية، كما ينص على ذلك دستورها الحالي (المجدد في 1989/2/23) والذي يعتبرالإسلام و اللغة العربية من الثوابت التي لاتقبل المناقشة، أو التعديل كركائز أساسية للهوية، والوحدة الوطنية للشعب الجزائري... فمن هذه الزاوية كان تركيز الحزب الشيوعي منصبا على دعم وتشجيع الحركة البربرية المعادية للعربية بالدرجة الأولى، والتي تدفعها معاداتها للعربية (كلغة غريمة وعدوة) الى محاربة الإسلام، عامل وجودها ورسوخها في المناطق البربرية ذاتها، فضلا عن المناطق الأخرى، التي زالت آثار البربرية من على ألسنة سكانها منذ مئات السنين، كما هو معلوم...والدليل على

(1) ابن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر، مرجع سبق ذكره، ص : 163 – 166 .
(2) نفس المرجع .

هذا التحالف الواضح الأسباب بين الشيوعية و الحركة البربرية هو وجود مؤيدين لهذه الأخيرة ومدافعين عنها من بين الشيوعيين الجزائريين (المعربين والمفرنسين) على حد سواء، حتى من الذين لا يعرفون أية كلمة بربرية، ولا يمتون بأية صلة وصل جغرافية (أو لهجوية) إليها، ومن هؤلاء على سبيل المثال، الكاتب الشيوعي (بالفرنسية) كاتب ياسين الذي يعتبر من أكبر الدعاة الى ترسيم الدارجة الجزائرية بالحروف اللاتينية، كمنافس لغة القرآن، في المناطق المعربة، والى إحياء البربرية و ترسيمها بالحروف اللاتينية ـ أيضا ـ في المناطق التي ما تزال مستعملة فيها كإحدى اللهجات المتداولة في الحياة اليومية كتداول العاميات العربيات إلى جانب الفصحى في كافة أقطار الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، كما يعتبر أكثر الكتاب معاداة للإسلام و المطالبة بشن الحرب ضده دون هوادة لاعتباره السبب الرئيسي في تعريب البربر بعد الفتح الإسلامي (...) مما حدا به الى تأليف مسرحية معروفة في مطلع الستينيات بعنوان (يا محمد خذ حقيبتك) ومحمد هنا يرمز الى الإسلام والعربية في نفس الوقت، كما هو واضح من العنوان، وقد صرح مرة في إذاعة فرنسية (راديوبور) سنة 1986 بأن العدو الأول للبربرية في الجزائر هو الإسلام، ومن ثمة يجب القضاء عليه، وقال حينئذ إذا كان أجدادنا البربر قد أنهزموا أمام الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي فمن واجبنا اليوم، وبإمكاننا ذلك، أن نثأر لأجدادنا ونحن أقوى وأفضل حالا منهم قبل 14 قرنا !!

هذا موقف واضح لأحد دعاة الحركة البربرية من الشيوعيين الذين لا يعرفون البربرية، ولا يتحدثون بغير الفرنسية حتى في الحياة اليومية، أما النوع الثاني من الشيوعيين المعربين المتعاطفين مع الحركة البربرية، مع جهلهم لغير العربية (فصحاها وعاميتها) فهو الكاتب الروائي (بالعربية) الطاهر وطار، الذي يشن حملة في الوقت الحاضر على العرب والعربية ويدعو الى اتحاد مغرب بربري، ويدافع عن إخوانه ـ في العقيدة ـ (أكراد الجزائر) المظلومين والمقهورين من طرف (دعاة القومية العربية، والبعثيين...) ومما قاله في آخر كتاباته حول هذا

الموضوع: «... عادة ما يكتفي بعض المعربين عندما يعالجون القضية البربرية بالسخرية والتهكم متذكرين الأكراد ومذكرين بهم، منطلقين في ذلك من رؤى ومفاهيم الخمسينات، حيث كان المد المفهومي الوردي للقومية العربية يطغى على كل موضوعية وعلمية، وترتب على ذلك معاداة باقي القوميات...» [1]

وهنا نلاحظ معاداة القومية العربية، من منطلق شيوعي كما أشرنا قبل حين، وإمعانا في التفتيت لهذه الأمة لحساب الفكر الأممي أو الدويلات، أو الأميمات الطائفية الفسيفسائية، الكائنة أو الواقعة في طور التكون (...) يضيف قائلا في مكان آخر: «... هذا المغرب البربري، الحقيقة الموجودة ليس له ألف مطلب، إنما له مطلب واحد هو عدم السماح لا لنفسه ولا لغيره بخنق أصوات أجداد أخترقت تلافيف التاريخ و جراحاته ووصلته في عصر تقوى فيه وسائل الهيمنة الحضارية، ويزدهر فيه التعليم وتشتد فيه حمية الضعفاء، ولمن يتساءل هل يحدث مثلما يحدث في الجزائر على مرأى من الدولة في مناطق أخرى، أنه في مختلف بقاع العالم بدءا من إسبانيا الى التبت، الى إثيوبيا والسودان. تنطرح المسائل القومية والعرقية والطائفية والأقليات بصفة عامة، بمختلف وسائل الطرح بما في ذلك العنف، وليس غير العرب يهولون قضاياهم ومشاكلهم ويواجهونها بالعاطفة، بدل المعالجة العقلانية الصريحة والهادئة...» [2].

وتأكيدا لما ذهبنا اليه من تحليل نورد ها هنا نصا للأستاذ إبراهيم لونسي (معهد التاريخ، جامعة الجزائر)، حيث يقول في رده على هذا الكاتب الشيوعي ما نصه: «... عندما طالعت مقالة الطاهر وطار (في البربرية وقضايا أخرى) أصبت بخيبة أمل كبيرة جدا لا لشيء إلا لتحامله الكبير على بعض الباحثين المجدين من دكاترتنا الذين تناولوا هذه القضية بدراسة تحليلية وعلمية وبصفة أخص فهو يقصد أستاذين لهما مكانتهما المحترمة في الأوساط الجزائرية المثقفة (...) وأني أتساءل في استغراب ماهي الأسباب الكامنة وراء ارتدائه لعباءة البربرية في هذا الظرف بالذات، وأين كنت موجودا طيلة السنوات الماضية ياسي الطاهر؟

(1) جريدة المساء ليوم 1989/6/13 .
(2) نفس المرجع.

وإذا كنت هكذا غيورا على هذه الثقافة فلماذا لم تخصص لها رواية من رواياتك الخليعة وأن تقدس فيها الثقافة البربرية بدلا من تقديسك للشيوعية ياسي الطاهر؟» [1].

وسبب هذا التحالف الوحيد في جانب منه يعود الى العمل بالمبدأ التقليدي المعروف الذي يقضي بصداقة عدو العدو، وتفادي الخطر الأكبر بقبول الخطر الأصغر، ولذلك وجدنا أول الأحزاب السياسية التي تحارب الدين تحت ستار العلمانية تارة أو الشيوعية تارة أخرى هي الأحزاب ذات الاتجاه (اليساري) والشيوعي، ومنها على سبيل المثال حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، الذي يصرح ناطقه الرسمي في استجواب له مع الصحافة الوطنية بقوله : « بالنسبة الى الدستور والديباجة التي جاء بها والتي تجعل من الجزائر أرضا إسلامية وجزءا لا يتجزأ من المغرب العربي الكبير... فنحن لا نوافق على هذه الديباجة، وسنعمل في إطار حزبنا من أجل تغيير ما لا يتفق مع مبادئه »[2].

ويقول زعيم هذا الحزب في مكان آخر: « أننا سنعمل على فصل الدين عن الدولة، وأننا نعتقد أنه لم يشهد التاريخ نجاح دولة لم تفصل الدين عن الدولة »[3].

ولعل هذا الموقف المعادي للإسلام بشكل سافر هو الذي دعا الشارع الوطني الى التهكم على هذا الحزب وخاصة بعد موقفه المؤيد لسلمان رشدي (كما سيأتي تفصيله في مكان لاحق) حيث شرحوا حروفه الثلاثة باللاتينية وهي (R.C.D) أي التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية الى قراءة معناها بالفرنسية RASSEMBLEMENT CONTRE DIEU (أي التجمع ضد الله)، الى جانب موقف هذا الحزب من قانون الأسرة الجزائري المستمد كلية من الشريعة الإسلامية... حيث ما انفك هذا الحزب يطالب بإلغاء هذا القانون بكل الوسائل وأوجد لهذا الغرض أكثر من عشر جمعيات نسوية (شبه وهمية) للمطالبة بإلغائه لتحقيق المساواة (في رأيهم ورأيهن) مع الرجل، وهذا ما أدى بالشعب الجزائري في

(1) جريدة المساء ليوم 1989/7/4 .
(2) جريدة الشعب ليوم 1989/3/19 .
(3) جريدة الشعب ليوم 1989/12/14 .

العاصمة الى تنظيم مسيرة احتجاج ضمت أكثر من مليون شخص حسب تقدير وكالة الأنباء الألمانية، و750 ألف، حسب تقدير وكالة رويتر، ونصف مليون حسب تقدير جريدة لوموند الفرنسية الصادرة بتاريخ 1989/12/23 (وبضع مئات) حسب تصريح القناة الخامسة الفرنسية التي نقلت الخبر!! هذا عن الحزب البربري الأول. أما عن الثاني الذي يسمى بجبهة القوى الإشتراكية F.F.S فإن زعيمه كان أول ماعبر عنه في أول اجتماع له مع الجمعيات النسوية هو ترسيخ اللائكية، مع الكفاح من أجل الغاء قانون الأسرة المذكور آنفا لأنه (كما قال) يمثل أكبر إهانة للشعب الجزائري بعد الاستقلال (أنظر جريدة المساء ليوم 1989/12/17).

ويقول زعيم حزب شيوعي آخر مساند للحركة البربرية (P.S.T) ومعترف بمطالبها... بأن اللغة العربية الفصحى ليست لغة الشعب الجزائري، ومن يدعي ذلك شوفيني متعصب كما دعا هذا الحزب الى استبدال الفصحى (لغة القرآن الكريم المقدسة في البلاد) وترسيم اللهجة العامية الجزائرية بعد تطويرها، ووضع قواعد لها لتمكن من تعليمها واستعمالها في الحياة الرسمية والاجتماعية في البلاد... على غرار ماحصل للهجات اللاتينية التي انفصلت عن اللاتينية الأم في كل من فرنسا، وإيطاليا، وإسبانيا، ورومانيا والبرتغال... لتصبح لغات قومية، ورسمية في هذه البلاد... والغرض من وراء هذه الأدوار المنسقة كلها، للأحزاب ذات المنطلقات الشيوعية والفرنكوفونية... في الجزائر، هو تعاطفها وتحالفها المعلن وغير المعلن، مع الحركة البربرية لضرب اللغة الفصحى عماد القرآن، ورمز الوثاق العربي الإسلامي الذي يربط الجزائر العربية المسلمة بغيرها من البلاد في محيطها الثقافي والروحي الطبيعي الذي عرفت فيه وعليه منذ 14 قرنا من الزمان! والهدف الواضح من هذا الطرح هو القضاء على الإسلام والقرآن بالقضاء على الفصحى من التداول على ألسنة المسلمين، ولتلحق الجزائر بتركيا العلمانية بعد مصطفى كمال، وهو مكسب لا يستهان به - إن تحقق - لصالح المعسكر المعادي للإسلام مهما يكن لونه السياسي !!

هذا فيما يتعلق بالأسباب المباشرة وغير المباشرة التي دعت الى التحالف أو التأييد من الأحزاب الشيوعية للحركة البربرية لتلاقي مصالحها في محاربة

الإسلام، والقضاء على لغة القرآن، لإبعاد عباد الله عن دين الله، أما من ناحية أخرى فإنه لمن سخريات القدر أن يقع تحالف مريب (وغير طبيعي بالمرة) بين الشيوعية من جهة (كما سبق التفصيل) وبين رجال الكنيسة المسيحية في الجزائر، لتشجيع الحركة البربرية، في بؤرها ذات الأقلية المسيحية، ضربا للإسلام الذي يمثل العدو المشترك للجميع (أي البربرية والمسيحية، والشيوعية معا) ومن ذلك - مثلا - تمركز البعثات التبشيرية المسيحية منذ عهد الاحتلال في المناطق ذات التعامل باللهجات البربرية، وقد أستمر هذا الاهتمام حتى الآن، ومن ذلك -مثلا- الاهتمام الملحوظ من رجال الكنيسة المسيحية في الجزائر وتحمسهم الشديد الى ترجمة بعض قصص الكاتب الشيوعي الجزائري (المشار اليه آنفا) الطاهر وطار، وذلك لنشر ماتتضمنه تلك القصص الإباحية والإلحادية من أفكار يرون أنه من الفائدة بمكان نشرها باللغة الفرنسية لتعميم الفائدة لدى ناشئتنا المغتربة، ولدى كبار السن من المواطنين الذين لا يقرؤون باللغة العربية، وهذا الى جانب عامل نشرها، والدعاية لها ولصاحبها، لتشجيعه على المزيد من اتخاذ المواقف المؤيدة للحركة البربرية (كما سبقت الإشارة) وهذا كله بأمل إبعاد الشبيبة بقدر الإمكان عن الوطنية والعربية والإسلام، تأثرا بالكتابات الشيوعية الإباحية لهذا الكاتب، محاولين المساهمة في إفساد أخلاق الشبيبة وإبعادها عن الأخلاق والثقافة الإسلامية، وعن الدين المتأصل في المجتمع الى (اللاأخلاق واللادين) أو الى اللائكية والشيوعية كأضعف الإيمان « خدمة » للكنيسة (في اعتقادهم) من أن يبقى هذا الشباب في حظيرة الإسلام، بعد أن فشلوا فشلا ذريعا في تمسيحه، وإدخاله في حظيرة الفاتكان !!

وذلك اقتناعا من رجال الكنيسة بأن لا دينية وإباحية الشباب الجزائري أقل خطرا على المسيحية والبربرية من بقاء الإسلام راسخا كما هو الآن في عقول وقلوب ملايين الجزائريين من الشباب المؤمن، الذي يلتف ويناضل في صفوف الأحزاب الوطنية ذات التوجه الإسلامي، ومن مظاهر هذه المحاولات المماثلة؛ رعاية رجال الكنيسة في الجزائر لكل الملتقيات التي تنقب عن التراث البربري المسيحي في كل بقعة من التراب الوطني الجزائري، في الهقار أو في الشمال، وكمثال حي على ذلك إقامة ندوة برعاية (الأسقفية الكنسية) في الجزائر (في شهر ماي من سنة 1989) تحت عنوان: «جزائرية القديس أوغطسين» وهو

الفيلسوف الجزائري المسيحي المثقف باللاتينية (المذكور في الفصل السابق) والذي عاش في القرن الثالث بعد الميلاد، والمدفون في مدينة عنابة، حيث توجد كنيسة ضخمة بنيت باسمه، في عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر ! وهذا التحالف المسيحي الشيوعي مع دعاة الحركة البربرية في الجزائر يذكرنا بتأييد الشرق الشيوعي والغرب اليهودي (المتمثل خصوصا في أمريكا وإسرائيل) للعقيد الانفصالي (الشيوعي – المسيحي – الوثني) (جون غارنغ) في جنوب السودان، لضرب شماله العربي المسلم ! ! وهذا كله يدخل كما هو واضح في خطة بعيدة المدى تخدم فكرة تحقيق مبدأ اللاتجانس القومي الذي أشرنا إليه في بداية هذا الفصل، والذي كان يدّعيه الجنرال دوغول (رئيس الجمهورية الفرنسية) أثناء حرب التحرير الجزائرية المسلحة، لسد الباب أمام كل مطالبة بالاستقلال عن فرنسا، أو عن الأمة الفرنسية، من قبل الشعب الجزائري (العربي المسلم الوحيد اللغة وليس اللهجات) على امتداد 14 قرنا، كما سبق التوضيح والتحليل... وإدراكا من الكنيسة الاستعمارية الفرنسية بأن استقلال الجزائر عن فرنسا هو هبة صادقة من الإسلام والعربية، وهما الاثنان الأساسان الموجدان للشخصية الجزائرية، في شكلها الحالي، منذ الفتوحات الإسلامية الأولى، واللذان لا يقبلان الانفصال والانفصام، ولولاهما لكانت الجزائر اليوم أندلسا ثانية، وجزءا من السوق الأوروبية المشتركة، أي مثل غرناطة أو مرسيليا ؛ ولهذا الغرض كان هذا التحالف المسيحي – الشيوعي (غير المقدس) والذي يفرق أطرافه الكثير ويجمعها شيء واحد، هو دعم الحركة البربرية لضرب الإسلام واللغة العربية والوحدة الوطنية للجزائر المستقلة !

نماذج من ردود أفعال الشارع الوطني تجاه هذا المنحى (الشيوعي - الصليبي) للحركة البربرية

تحت عنوان :« ذنب لا يغتفر » ورد في جريدة الشعب بإمضاء عبد القادر خليفة (تيبازة) الصادرة بتاريخ 1989/10/23 مقال جاء فيه :

«بتاريخ 1989/10/4 طالعتنا صحيفة (الشعب) تحت عنوان (قضايا التعددية، والديمقراطية) المتمخضة عن ندوة الأحزاب السياسية في يومها الثاني والأخير، بآخر المناقشات التي دارت بين الطلبة، والأساتذة الحاضرين، وممثلي الأحزاب السيسية الحاضرة، ومن بين القضايا التي دار حولها النقاش، ونقلتها إلينا (الشعب) موجزة، هي إشكالية اللغة التي علق عليها ممثل الحزب الاشتراكي للعمال بقوله :«اللغة العربية الفصحي ليست بلغتنا (...) ومن لا يومن بهذا فهو فاشي ! ولذلك يجب علينا (تطوير) العربية، وخلق لغة جديدة يفهمها الشعب كله، ويتعامل بها ».

- ترى ماذا يقصد بكلامه هذا ؟ ثم إن اللغة الفصحى ليست بلغتنا فما هي لغتنا اذا ؟ هل هناك (عربية) أخرى أكثر تطورا من « الفصحى »؟ من هو المعني بهذا الكلام، أهو الشعب أم مناضلو حزبه؟

- أن الشعب الجزائري قال نعم للغة القرآن الكريم، وأنا على بينة بأن ممثل الحزب الاشتراكي للعمال هذا يعلم أن القرآن نزل عربيا فصيحا، فهل يكون الشعب باعتناقه للقرآن العربي الفصيح فاشيا ؟ إننا لو أخذنا بهذا الكلام وحددنا أبعاده لقلنا بأن هذا الأخ المتقول - ممثل الحزب الاشتراكي للعمال - نسي أن يقول

أيضا ان الإسلام ليس بديننا، وأن الفاتحين ليسوا بحملة رسالة إنسانية، إنما هم غزاة إرهابيون ! كيف لا، وقد كنا بربرا لنا لغتنا غير العربية الفصحى، ولنا ديننا غير دين الإسلام؟!

– هذا مافهمته من كلام ممثل الحزب الاشتراكي عندما نفى (الفصحى)، وشتم كل من يؤمن بها منا نحن الجزائريين !

– إن (العربية) في الحقيقة، قبل الإسلام، كانت فروعا مختلفة اللفظ والمعنى، واللحن، والرسم، لكنها مع كل هذا الاختلاف فهي تعود الى أصل واحد: الأصل السامي، ولما جاء الإسلام ظهر هذا الاختلاف جليا بين حفاظ وقراء القرآن الكريم من العرب، وكلنا يعلم كيف قضي على هذا الاختلاف في عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، فأصبح المصحف نسخة واحدة، هي التي بين أيدينا اليوم، ومعنى كلامي هذا أن العربية الفصحى ليست مشكلة البربر أو الأمازيغ وحدهم، بل حتى العرب أنفسهم، ولذا لا ينبغي أن نفهم اللغة العربية الفصحى بهذا المنظار الضيق، لأن العربية لم تكن فصحى إلا بفصاحة كلام الله (القرآن الكريم) ولم تكن عظيمة، ومقدسة إلا بعظمة وقداسة كتاب الله.

– فبناء على هذه الحقيقة الثابتة أقول : العربية الفصحى لغتنا ومن لا يؤمن بهذا فهو الجاحد الفاشي. فإذا كان ممثل الحزب الاشتراكي للعمال يؤمن بالله، وينصر دينه (الإسلام) فكيف له أن يتنكر للعربية الفصحى، وهي اللغة المباركة التي اختارها الله عز وجل من بين اللغات الأخرى، فأنزل بها هديه، ووضح بها تعاليمه الى الناس أجمعين.

– إن ممثل الحزب السالف الذكر يرى بأنه لابد من عربية جديدة متطورة يفهمها الشعب كله فهل معنى هذا أن الله عزوجل قد أخطأ لما اختار العربية الفصحى ليبلغ بها تعاليمه الربانية السمحاء الى كافة الناس؟ هل يكون قد أخطأ وهو العزيز الحكيم؟ هل يمكن أن نقول لله عز وجل انك أخطأت عندما خاطبت عبادك بالعربية الفصحى التي لا يفهمها كل الشعب، ولا يتذوقها لتخلفها، وعدم تطورها؟ ! وهل أن العربية الجديدة المتطورة، والمزعوعة التي تراود خيال

ممثل الحزب الاشتراكي للعمال، تكون أكثر تطورا من العربية الفصحى؟ الجواب أقول : شتان بين العربية الفصحى « لغة القرآن » واختيار الرحمن، وعربية الأحلام « المتطورة » التي هي من صنع الإنسان ! فالفرق واضح، والدليل قاطع، أما الفرق (فالفصحى) إعجاز بلاغي، ولغوي وبحر فكري، وعلمي، وذوق سحري، بالغة كل وصف، وكل معنى، ولغة ثابتة غير زائلة. أما العربية التي يبحث عنها ممثل الحزب الاشتراكي، فلا علم لي بها، ولا أظن أنها موجودة حتى في الأحلام. أما الدليل : فالعربية الفصحى يكفي أن الله عز وجل قد خاطب بها البشرية جمعاء في كتابه الحكيم، ولم يقتصر بها على شعب معين، وهذا مايثبت تطورها، ومكانتها الرفيعة بين كل اللغات الأخرى، ولا يمكن لنا أن نوازي حكمة الخالق بحكمة المخلوق، وإن نحن نؤمن بالفصحى، فهذا لنكون مسلمين (محمديين) لافاشيين (موسولينيين) فالفاشية كلمة لا إنسانية لا أخلاقية، لاحضارية... كلمة تعني إحلال عصبية الجاهلية الجهلاء التي دمرها الإسلام وأنقذ البشرية من شرها، وقد استطاعت العربية الفصحى أن تحوي كل معارف، وآثار، وعلوم الأمم الأخرى التي دخلت تحت حوزة الأمة الإسلامية، فهذبتها، وطورتها، ثم تجاوزتها الى حد الإبداع، والابتكار المحلي الأصيل، ولو لا (الفصحى) لجنت القرون الوسطى بظلالها على أوروبا، فالفصحى هي الأرشيف التاريخي الأثري الذي حفظ معالم حضارات الأمم من الاندثار، فهل كثير على الفصحى أن ندين لها بشيء من الجميل والعرفان؟ هل كثير عليها أن نومن ونعتز بها؟ إن (الفصحى) ليست لغة العرب وحدهم، بل لغة الكل وهذه هي الحقيقة التي يجب أن تظهر للوجود وتدعم حتى تنتصر كما أنتصرت في بلاد الفراعنة والفرس، وغيرها من البلدان الإسلامية الأخرى. أما البربرية أو الأمازيغية فهي إرثنا الذي نعتز به ولا ينبغي أن ننكره، أو نهمشه، لأنه امتداد لإرثنا العربي الإسلامي الحضاري العريق.. فالأمازيغ فضلوا أن يلقبوا بالبربر على أن لا ينطقوا لغة الرومان – لغة الحضارة – ولكن نطقوا (الفصحى) واستأنسوها، وخدموا بها الإسلام طويلا، بل دافعوا عنها أيما دفاع حتى أنهم خلدوها، وثبتوا جذورها التي استعصى اقتلاعها على أيدي فرنسا وكل الأعداء، فبها وبهم وجدت الجزائر العربية الإسلامية، ووجد المغرب العربي الكبير.

ـ فقصدي من هذا التحليل الأدبي البسيط أني أردت القول بأن الذي ينفي العربية الفصحى في بلادنا معنى ذلك أنه ينفي الإسلام (كتابا وسنة) أيضا في وقت نحن فيه مطالبون بالعودة الى كتاب الله، وسنة رسوله الكريم محمد عليه الصلاة والسلام... ومطالبون أكثر بدراسته والتعمق فيه لكشف كنوزه الألهية النورانية غير الفانية. وحتى نظفر بهذه الكنوز علينا أولا إتقان اللغة العربية الفصحى، واستيعابها جيدا، بل وجعلها تفرض نفسها حتى في الشارع أيضا، وهنا يتحقق « التطوير » ويكون التعامل بها مفيدا

ـ إن عربيتنا اليوم بحاجة الى فصاحة، وتهذيب، لأن الفصحى هي منتهى «التطوير» فيا ترى أي (تطوير) يقصده ممثل الحزب الاشتراكي إن هو نفى التطور اللغوي من أصله؟!

ـ طبعا نريد الفصحى لكي نسمو بالقرآن الكريم، ونرقى به الي مجتمع متخلق متطور، فهي الحصن العتيد الذي يحمي مقومات شخصيتنا، ووطنيتنا من التزييف والانحراف، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، وبتحليل سياسي (مرحلي) أدق نسأل ممثل (الحزب) ما إن كان يقتصر علي فئة معينة تناضل من أجل عرقية، وعصبية...؟ إنه على الأقل كان يحترم الفئة التي تؤمن بالعربية الفصحى حتى يكون ديمقراطيا أكثر !!

– الحقيقة أن ما صرح به ممثل الحزب الاشتراكي للعمال ما هو إلا شطحة ماكرة، ونزعة عرقية خبيثة، وتصور مريض لمستقبل (اللغة) ببلادنا،، وتمثيل ساقط للحزب، فقبل أن تكون شطحة (شجاعة) فهي خيانة، ومغالطة حضارية لا يحمد عقباها، ولا يغتفر ذنبها ».

وتحت عنوان :« دفاع عن العروبة» ورد مقال في جريدة المساء الصادرة بتاريخ 1989/10/12 بإمضاء السعيد محفوظ (من البويرة) جاء فيه:

«عملا بحق الرد، إليكم هذه الرسالة التي صراحة أجدني أصرح بادىء ذي بدء أنني ما كنت لأكتبها لو لا أن آلمني مقال جاء في جريدة المساء الصادرة بتاريخ 27 سبتمبر 1989 تحت عنوان «ويبقى وطار في صف الكبار»!!

لصاحبه المدعو عبد الرحمن بن الحسين من العناصر، الجزائر العاصمة. هذا المقال الذي يدافع به كاتبه عن إنسان ظهرت نزعته الجاهلية وانجلت اراؤه الهدامة التي تصب في إناء الاستعمار مؤخرا، بفضل ماسمي بحرية الرأي أو الشفافية أو الديمقراطية أو الفوضى، باسم هذا كله أصبحت ترتكب أبشع الجنايات على شعب بأكمله ومقوماته الأساسية اللغة والدين والانتماء العربي الإسلامي.

مايحزن حقًا هو تغاضي الجريدة على نشر ترهات لاطائل من ورائها سوى إشاعة الفوضى والصراعات تلك الترهات النابعة من الأنفس التي تحن شوقا الى فرنسا، الأنفس المريضة الحاقدة على عروبة وإسلام هذا الجزء من الوطن العربي الكبير، عروبة ضحى الرجال من أجلها ورزق الشهادة خلق كثير، واليوم يخرج بين ظهرانينا حاقد آثم يتجاهل التضحيات العظيمة من الأمير عبد القادر رحمه الله الى الإستقلال ويدعو الي وثنيات عفا عنها الزمن. يقول صاحب المقال : «... إننا نرفض النزعة البعثية التي فشلت في المشرق ويريد هؤلاء الهلاليون الجدد إحيا ها في المغرب وفي الجزائر بالذات...» من قال لك يا هذا ان البعثية فشلت في المشرق؟ إن الذي أسر لك بهذا الكلام إنسان جاهل ومعتوه ومن ذا الذي صور لك الهلاليين الكرام بالصورة التي تتهكم بها عليهم؟ إن الذي قال لك هذا القول هو متصهين صليبي شعوبي.

خلال 132 سنة من الاحتلال حاولت فرنسا طمس الهوية العربية فما استطاعت والقول الذي نقوله هو أن أذنابها مصيرهم كمصيرها ».

وتحت عنوان :«حزب الآباء البيض» ورد في جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1990/1/1 مقال جاء فيه :«لم يحدث وأن برز حزب في أية دولة كبيرة أو صغيرة تحترم نفسها يدعو الى العرقية والتفرقة. فكل الأحزاب متفقة علي ترقية المواطن اجتماعيا وسياسيا والسهر على مصلحته العليا في إطار دساتيرها ومواثيقها، إلا أن العكس هو الذي حصل عندنا تماما، فباسم الديمقراطية أنتهكت حرمة الدستور، وباسم الديمقراطية وجد أبناء الآباء البيض وأحفادهم وكل الحاقدين على الإسلام والقرآن واللغة التي نزل بها ضالتهم المنشودة، وباسم الديمقراطية فتحت الجزائر أبوابها أمام المغامرين والعابثين بمقدساتها وتراثها ومبادئها التي

كافحت من أجلها سنين طويلة، وباسم الديمقراطية أسسوا حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية على أساس عرقي عنصري يهدف الى تفرقة الشعب الجزائري وضرب وحدته التي تشكلت في بوتقة الإسلام. فبعدما وحده الإسلام دينا ولغة وحضارة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، أراد المرتدون دفعه في هاوية لا قرار لها.

وفي المرحلة الأولى قـامـوا بتـحطيم اقـتـصـاد البـلاد عن طريق النهب والسـرقـات وتحويل الملايين إن لم أقل الملايير الى الخارج، وخاصـة الى فـرنسـا وتركوا البلاد تئن تحت وطأة أزمة لا مخرج منها.

وفي المرحلة الثانيـة والأخيـرة أرادوا ضـرب رصـيـدها الروحي واللغـوي من أجل الإجهاز عليها نهائيا وتقديمها الى فرنسا على طبق من ذهب، ومن أجل إتمام عمليتهم الدنيئة، قام المرتدون بعقد مؤتمرهم الأول في نادي الصنوبر يوم 15 و16 ديسمبر 1989. وأجمعوا على ضرب ثوابت الأمة ومقدساتها، وقالوا جميعا دون حياء أو خجل، لا للإسلام وشريعته، لا للغة العربية التي عرفنا بها الإسلام، ونزل بها القرآن الكريم على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم. ولتحطيم الخلية العـائليـة نهـائيـا قـالوا أيضـا لا لقـانون الأسـرة المستـمـد من القـرآن والشـريعـة، واسـتـبـدلوه بقـانون الأسـرة الفـرنسـي وهي نفس المبـادىء التي عـملت فـرنسـا على تحـقـيـقـهـا طيـلة وجودها في الجزائر، إلا أن كل مـسـاعـيـهـا تحطمت على صخرة الإسلام والعروبة، ووضع المسلم الجزائري الصلب الحد النهائي لها طيلة ثورة أول نوفمبر 1954، باسم «الله أكبر» الجهاد في سبيل الله.

... والغريب في الأمر أن كل الأشغال دارت باللغة الفرنسية، والأغرب من كل شيء أن هؤلاء المتآمرين لم ينجحوا في تحديد هويتهم الى الآن، ففي البداية طلعـوا علينا بالعنصـر القـبـائلي، ثم تطوروا قليـلا وقـالوا العنصـر البـربري. ولما ازدادوا تطورا قالوا العنصـر الأمـازيغي، وعندما سيـصلون الى القمة خلال القرن الواحد والعشرين، إن كتب لهم الوصول، سيقولون نحن مسيحيون ويهود...!؟

ولقد بلغت الجرأة بزعيم المرتدين (سعيد سعدي) بأن قـال في استجواب له لجريدة الشعب يوم 1989/12/14.

« التـاريخ لم يقـدم مثـالا عن تطور مجـتـمع يجـمع بين الدين والدولة» وتعامى عن الحضارة الإسلامية وما قدمته للبشرية والتي كان لها الفضل الأكبر في تطور المجتمع البشـري بهـذه السرعـة المذهلة. ثم قال في مكان آخر من نفس التصريح عن المرأة «كبش فداء» طالب فيه بإلغاء قانون الأسرة وإبطال العمل بأحكام الشريعة الإسلامية، لأنه يريد من المرأة الجزائرية المسلمة أن تتخلى عن عفتها وأن تصبح عاهرة زانية لا تفارق الحانات، تشرب الخمر وتمارس الجنس مع كل من هب ودب على شاكلة المرأة الغربية التي لا يعرف أبناؤها من هو أبوهم، وهذه نظرية يهودية لافساد المجـتـمعات عن طريق الخمر والنسـاء حتى تسـهل السيطرة عليها واقتيادها، وهذا ما تفطن له الزعيم الألماني هتلر!

لقد أزحتم النقاب عن نواياكم الهدامة باسم الديمقراطية والكلمة الأخيرة الآن للجماهير المسلمة المتمسكة بكتاب الله وسنة رسوله وبلغة قرآنه، أينما كانت هذه الجمـاهير في جرجرة أو الأوراس أو شمـال قسنطينة أو في الصحـراء... وخلاصة القول :

لقد زحفت علينا الصليبية قديما من الغرب المسيحي واليوم بدأت زحفها علينا من نادي الصنوبر لتدوس بأقدامـها على مقـدسـات شعـبنا من ثوابت ومبادىء استشهد من أجلها عشرات الملايين من الشهداء على مدى 130 سنة (من 1830 الى 1962).

وأخيرا أضم صوتي لصوت المجاهد مصطفى بن عودة الذي طلب في المؤتمر الاستثنائي الأخير للحزب بكشف حزب فرنسا في الجزائر، لأن المبادىء التي تبناها حزب المرتدين هي نفس المبـادىء التي تبنتهـا فرنسا منذ 1830. وعملت المستحيل على تحقيقها، إلا أنها فشلت كما قلت أمام صلابة الشعب الجزائري الذي لم يتخل يوما عن دينه ولغته، وها هي فرنسا اليوم تعيد الكرة عن طريق بعض المرتدين وسيكون مآلهم الفشل رغم الدعم اللامشروط من فرنسا ».

الفصل السادس

علاقة الحركة البربرية باللائكية وردود الفعل الوطنية ازاءها

إدراكا من أقطاب الحركة البربرية، بأن القضاء على الإسلام (في عصر الصحوة الإيمانية والإسلامية الحالية في البلاد) يعد مستحيلا سواء عن طريق الحركة الشيوعية الإلحادية، أو عن طريق التبشير المسيحي (كما سبقت الإشارة) والتي لم تتساو الجهود المبذولة من خلالهما مع النتائج المرجوة منهما، لإبعاد الناشئة عن الإسلام.. تعمد الحركة البربرية في الوقت الحاضر الى التركيز على سلاح خطير وفعال، وهو الإقرار ظاهريا بالإسلام كدين لمجموع الشعب الجزائري، ولكنهم يطالبون بفصل الدين عن الدولة فصلا تاما، حتى يخلو لأقطاب هذه الحركة العمل في حلّ من أي قيد أخلاقي أو ديني. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهم لا يخفون حقدهم وعداوتهم الشديدة للإسلام لوقوفه سدا منيعا في سبيل أي دعوة للتشرذم الوطني وتمزيق صفوف وحدة الأمة، الى جانب اعتبار الإسلام بدون منازع أكبر سند لانتشار اللغة العربية والمحافظة عليها لدى كل المسلمين في سائر مناطق الوطن،،حتى في أقصى الجبال التي مازال سكانها يتحدثون ببعض اللهجات البربرية، مما حال دون الجهود المضنية للحركة البربرية كي تفصل بين الإسلام والعربية كلغة وحدة وتوحيد، فأخفوا السلاح الشيوعي (الإلحادي) والسلاح التبشيري (الصليبي) الذي يعمل في صمت وأظهروا فقط سلاح

العلمانية بصفته سلاحا (محايدا) يقرهم عليه العديد من ذوي الاتجاه الليبرالي الغربي والاشتراكي، والحركات النسوية الإباحية وكل المناهضين للإسلام عموما! وهكذا ظهر الحزب كحامل للواء اللائكية.

وفيما يلي نص لأحد أقطاب الحزب يدافع فيه على اللائكية ويربطها ربطا عضويا ومصيريا بالديمقراطية موجها نقدا مباشرا للدستور الوطني الذي أوجد الديمقراطية ذاتها، وهذا هو النص تحت عنوان :«الديمقراطية تستلزم اللائكية» منشور في جريدة المساء الجزائرية، في عددها الصادر بتاريخ 1989/9/25 وقد جاء في مستهله، كمقدمة تمهيدية، تنم عن العديد من الخلفيات التي نريد للقارىء أن يتلمسها بنفسه كبرهان على ماذهبنا إليه...

«... أثار موضوع اللائكية نقاشا على صفحات الجرائد الوطنية، المكتوبة منها بالعربية على الخصوص، بمجرد بروز بعض الأحزاب الديمقراطية التي نادت بها صراحة. ففهمها البعض صنوا للإلحاد، والبعض الآخر اعتبر أن المناداة بها يمثل موقفا عدئيا للإسلام في حين أن الأمر لا هذا ولا ذاك..

مساهمة منا في رفع الالتباس وإزالة الغموض المحيط بمفهوم اللائكية تقدم هذه المحاولة وأملنا أن يتقبلها الاخوة القراء بتسامح كبير، وإذا كان لابد من مناقشة بعض أو كل مايجيء فيها فنرجو أن يكون ذلك بروح النقد البناء والتفكير العقلاني.

تعرف اللائكية بأنها، النظام الذي يبعد الكنيسة عن ممارسة السلطة السياسية والإدارية وعلى وجه الخصوص تنظيم التعليم تطبيقا لمبدأ فصل الدين عن الدولة، وهو مفهوم أوروبي، كما هو واضح من المصطلح نفسه.وقد ترجمت كلمة اللائكية الى العربية على أنها زمنية أو عقلانية.

والتعليم اللائكي معناه مجموع المدارس العمومية التي تقدم تعليما يستبعد التربية الدينية، وهذا ما يميز هذه المدارس عن المدارس الروحية، أي تلك التي تقدم لمريديها تعليما دينيا حسب العقيدة التي تتبناها، ومثال ذلك الكنائس والمساجد.. وغيرها من المؤسسات المعدة لهذا الغرض.ثم يضيف قوله مستشهداً

بفقرة للشيخ محمد البشير الإبراهيمي كتبها المرحوم في سياق آخر غير هذا فيقول:

وهي (اللائكية) على حد تعبير المرحوم البشير الإبراهيمي (أن يكون الدستور كدساتير الأمم الديمقراطية، خالصا للدنيويات التي يشترك فيها الناس جميعا، خاليا من الدينيات التي تخص الطوائف..)

وبعد حديث منقول جلّه من كتب التاريخ عن اللائكية في أروبا، وعن ظلم الكنيسة والاقطاع، والثورات ضدها، والصراع الدموي الطويل الناتج عن تعارض المصالح كما هو معلوم، وهو كله أمر صحيح ومسلم به تاريخيا، بالنسبة لواقع أروبا المسيحية (غير المسلمة) فينتقل هذا الحركي (من الانتماء الى الحركة) الى نقد الدستور الوطني الجديد، فيقول في هذا الخصوص:

«يجدر بنا أن نأخذ الجانب النظري والجانب التطبيقي بعين الاعتبار في تعرضنا لهذا الموضوع.

أولا : الجانب النظري :

تنص المادة 2 من الدستور على أن الإسلام دين الدولة.

طريقة صياغة هذه المادة توحي بالتملك. أي أن الإسلام ملك للدولة، ويعني هذا أن نظام الحكم يمكن أن يستعمله كمناورة سياسية متى شاء. ولعل تلك الخطب التي ترسل من وزارة الشؤون الدينية الى الأئمة لإلقائها في أيام الجمعة، خير دليل على ما نذهب إليه.

وليس من السهل أن تصاغ مثلا (الجزائر دولة مسلمة) أو (الدولة الجزائرية تدين بالإسلام) أو (دين الدولة الجزائرية هو الإسلام) نظرا لاعتبار أساسي هو كون الشعب الجزائري مسلما في غالبيته، يعني أنه مسلم في مجموعه.

ومن جهة أخرى، إذا عرفنا الدولة على أساس العناصر الأساسية المكونة لها وهي : الشعب، الإقليم، التنظيم السياسي... وهو المجموع أو الكل الذي يصح أن نطلق عليه مصطلح الدولة، فهل يحق أو يجوز في هذه الحالة أن نضيف صفة الإسلام لإقليم أو للنظام؟ إذا كان الجواب بنعم يكون بإمكاننا في هذه الحالة

أن نقـول بأن (مصنع الحجار مسلم. سد العبادلة مسلم؟ الى غير ذلك مما نعتقد أن المنطق يرفضه، لأن الدين في الواقع مسألة شخصية تخص الفرد ولا شيء غير الفرد.

ثانيا: الجانب التطبيقي:

الشريعة الإسلامية عندنا ليست هي المصدر الأول للقوانين.. إذ أن المصدر الأول لقوانيننا هو التشريع، فالقانون المدني والتجاري والجنائي والإداري، وغيرها من التقنينات ترتكز على التشريع أولا وليس على الشريعة.

عملا بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان فإن الدستور الجزائري يضمن :

– مساواة المواطنين أمام القانون دون تمييز في المولد والعرق والجنس والرأي والعقيدة.

– مؤسسات الدولة تضمن المساواة في الحقوق والواجبات بين المواطنين والمواطنات وإلغاء كل ما من شأنه أن يعرقل مساهمة المرأة في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

– كما يضمن الحريات الأساسية وحقوق الإنسان ويمنع الالتجاء الى العنف البدني والمعنوي ضد المواطنين والمواطنات وكذلك يضمن بصريح العبارة حرية المعتقد والرأي الى غير ذلك من الحقوق والحريات بما فيها الحق في إنشاء الجمعيات ذات الطابع السياسي.

بعد هذا العرض السريع يمكن لنا أن نسجل هذه الملاحظات :

1) **أليس هناك تناقض صارخ بين المادة الثانية (الإسلام دين الدولة)** وبين ماذكرناه من الحقوق والحريات ومنها على وجه الخصوص ضمان مساواة المواطنين والمواطنات في المساهمة الفعلية في شتى الميادين؟

إن الواقع يؤكد هذا التناقض. وما جمعية "إصرار" لترقية المرأة إلا برهان قاطع على ما نقول، لأن مفهوم الديمقراطية الفعلية يقر ويوطد (مبدأ المواطنة على أساس أن أصل المواطن الاجتماعي أو عقيدته أو ديانته أو مذهبه السياسي لا

يجوز أن يوظف سياسيا بما يجعل منه شكلا من أشكال التمييز بين المواطنين في الحقوق الواجبات).

فجمعية اصرار إذ تحتج على الإهانات وأعمال العنف التي يتعرض لها النساء ما هي إلا دعوة للاتكية التي فرضها الانفتاح الديمقراطي بهدف ضمان تفتح كل المواطنين على حد سواء.

2) لنقارن بين المواد :

30 : التي تضمن المشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية دون تمييز في الجنس.

35 : التي تضمن حرية العقيدة.

47 : التي تضمن لكل مواطن ومواطنة في حدود القانون أن يكون ناخبا ومنتخبا.

70 : التي تفرض على المترشح لرئاسة الجمهورية أن يكون متدينا بالإسلام.

أولا: أين هي حرية المعتقد التي يتضمنها الدستور في المادة 35 بالمقارنة مع المادة 70؟

ثانيا: أين هي المساواة دون تمييز في الجنس، حين يتعلق الأمر بالترشيح لرئاسة الجمهورية، وللتوضيح أكثر نورد هنا مانشر في جريدة«الشعب» عدد 8041 بتاريخ 1989/09/07 حول قرار المجلس الدستوري المتعلق بقانون الانتخابات.

(أما فيما يتعلق بالمادة 108 التي تقضي بأن يكون طلب الترشيح لرئاسة الجمهورية مصحوبا بشهادة الجنسية الأصلية للزوجة، فإن المجلس الدستوري بعدما لاحظ بأن هذا الطلب لا يمكن اعتباره كطريقة للانتخابات الرئاسية، اعتبر هذا الحكم غير مطابق للدستور.

هل يعني هذا أن المرأة عندنا لا يحق لها أن تترشح لرئاسة الجمهورية؟

ثالثا: إذا كان الدستور يضمن حرية المعتقد والعبادة فإن التعليم عندنا غير ذلك؟

برمجة في الامتحانات في مادة التربية الدينية لتلازم التلميذ من أول مرحلة له في التعليم، وقد أدمجت هذه المادة إجباريا في كل الامتحانات بموجب القرار الوزاري رقم : 39/ م. أ. م. م/82 بتاريخ 1982/12/15.

فكيف يعقل أن نضمن حرية المعتقد من جهة، ونفرض تعليما دينيا إجباريا من جهة أخرى؟ أن اللائكية التي ينادي بها الوطنيون الديمقراطيون التقدميون تقتضي إصلاحا عميقا لنظام التربية والتعليم، يرسخ مبدأ الديمقراطية الحقة، في ظل مدرسة تحفز الفكر المبدع وتفتح باب المشاركة في ثورة العصر العلمية لكل أبناء البلاد، على اختلاف معتقداتهم الدينية.

فاللائكية إذن تتعارض مع الإسلامية السياسية، فهي تعمل على سيادة المفاهيم التي تعلي قيمة الإنسان من حيث هو إنسان.

إن اللائكية عنصر من عناصر الديمقراطية فهي إذن ترفض الاهتمام بالانتماء الضيق وهي إذ تعترف بالاختلاف فإنها ضد تسعير النزاعات الدينية. ولعل أهم مثال نورده بهذا الصدد هو ما جاء في مقال نشر بجريدة «المساء» بتاريخ 1989/09/03 تحت عنوان «ثلاثة ملايين مسلم في فرنسا» ومما جاء فيه : (في فرنسا مئات المؤسسات والمنظمات الإسلامية، وحوالي 800 مسجد ومكان عبادة من بينها جامع باريس الكبير الذي تأسس عام 1926 بمبادرة من الحكومة الفرنسية، اعترافا منها بوجود المسلمين ومكانتهم في المجتمع الفرنسي... وأن المسلمين في فرنسا بدأوا يحتلون مواقع سياسية اجتماعية مهمة... وقد طرح حوالي 200 مترشح مسلم أنفسهم لانتخابات البرلمان الأروبي)... » انتهى النص.

تعليق ومناقشة:

وإننا لا نريد أن ندخل في مناقشات طويلة لاظهار كل المغالطات الواردة في النص لعدة اعتبارات...

أولا: أن القارىء الكريم يستشف بنفسه الأفكار المسبقة لمحرر النص بهدف خدمة غرض واحد، وهو الذي أشرنا اليه في مقدمة هذا الفصل...

ثانيا: أن النص في ذاته قد حقق لنا الغرض من إدراجه في الكتاب، وهو إثبات علاقة الحركة البربرية باللائكية، وقد حققه النص بكيفية لاتترك مجالا للشك، أو الإضافة، خاصة في الأخير حيث آتخذ فرنسا كمثال يذكرنا بشعار «الجزائر الفرنسية» التي تتعايش فيها الأديان!!

ثالثا: أن الغرض من هذا الكتاب هو إظهار الأبعاد الخفية والمستترة من الحركة البربرية وليس إثبات موقفنا نحن من العلمانية (معها أو ضدها) هذا الموضوع سنخصص له كتابا بذاته في المستقبل ان شاء الله.

رابعا: أن الدخول في مناقشة النص من ناحية موقفنا من العلمانية هو خارج - منهجيا - من غرض هذا الكتاب، وللتدليل على الأهداف الواضحة للحركة البربرية، وتزعمها لعملية الدفاع عن اللائكية والدعوة اليها بكل الوسائل... نكتفي بذكر دليلين اثنين في هذا السياق :

أولا: الاستشهاد بنص الشيخ البشير الإبراهيمي الذي دعا فيه الى فصل الدين عن الدولة في الثلاثينيات من هذا القرن، أي في عهد الاستعمار الفرنسي في الجزائر! ولا يخفى على القارىء الكريم أن دعوة عالم من علماء الإسلام، مثل الشيخ البشير الإبراهيمي لفصل الشؤون الدينية عن الإدارة الاستعمارية التي كانت تطبق (اللائكية) تجاه اليهود والنصارى وترفض تطبيقها على الإسلام في الجزائر، حتى لاتترك الحرية للعلماء المسلمين الجزائريين، كي يسيروا شؤونهم بأيديهم، لتنوير العقول والقلوب، بما يوعي الناس بضرورة الجهاد في سبيل التحرر من الحكم الإستعماري! فكيف تقارن بين المطالبة بفصل الدين الإسلامي عن الدولة الصليبية الجائرة... في عهد الاحتلال.. والمطالبة بفصل الدين عن الدولة الجزائرية الإسلامية التي تفرض المادة الثانية من الدستور الوطني أن دينها الإسلام! ؟ هذه مغالطة أولى! والمغالطة الثانية التي لم يذكرها النص هو أن الشيخ البشير الإبراهيمي نفسه مات تحت الإقامة الجبرية (في عهد الاستقلال) نتيجة

مواقفه من السلطة الحاكمة في ذلك الوقت (1965) من تطبيق الشريعة الإسلامية! ولو كان الشيخ البشير قد دعا الى فصل الدين عن الدولة بعد الاستقلال لنال حظوة كبيرة من النظام الحاكم حينذاك بدلا من السجن والزجر والقهر!! هذا دليل المغالطة الأولى.

أما الدليل القطعي الثاني الذي يثبت الحقد الشديد الذي يضمره دعاة الحركة البربرية للإسلام، كما سبقت الإشارة، هو إرسالهم رسالة رسمية باسم أحد الأحزاب التي تمثل اتجاههم (وهو حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية) الى دور النشر الفرنسية يحييهم فيها على تحدي الضمير الإسلامي العالمي والفرنسي، بنشرها لكتاب المرتد سلمان رشدي باللغة الفرنسية، ونترك هذا التعليق للصحفي، مكتشف الوثيقة (الفضيحة) ليعبر بنفسه للقارىء الكريم وهو منشور مع صورة طبق الأصل لرسالة (الحزب باللغة الفرنسية) في جريدة المساء ليوم 1989/10/26، وإليكم التعليق كاملا، والغني عن أي تعليق آخر مني حول الموضوع برمته :

« حدث» مضت عليه أزيد من ثلاثة أشهر، دون أن يصلنا عنه خبر واحد... إنه حدث «وطني» وقع من وراء البحار، وبالضبط في العاصمة الفرنسية باريس... كان ذلك يوم 19 جويلية 1989، تاريخ صدور بيان رسمي عن حزب «التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» يحيي فيه «حدث» نشر كتاب سلمان رشدي «آيات شيطانية» (الذي أثار ضجة استنكار إسلامية وعالمية) في فرنسا، معتبرا ذلك «الحدث» – على حد تعبير البيان الذي هو أمامكم – «انتصارا لحرية الإبداع والنشر الرمزي على الرقابة والإرهاب»!!

كما يحرص حزب«التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» – نص البيان – على «أن يلتزم المسلمون في فرنسا بممارسة شعائر عقيدتهم في إطار احترام القوانين والمؤسسات اللائكية – العلمانية – للجمهورية الفرنسية...»

هذا ما عثرنا عليه أخيرا في «حولية الضفتين» (كرونيك دي دوريف) الناطقة باسم حزب «التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» في فرنسا، والتي عبر

فيها بيان هذا الأخير عن موقفه الحقيقي و«الرسمي» من قضية سلمان رشدي الذي انتهك بوقاحة منقطعة النظير مقدسات المسلمين ومشاعرهم، بما فيها الطعن في سلوك وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وزوجاته الطاهرات...

يأتي هذا الموقف «الرسمي» من حزب «التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» في الوقت الذي صدر فيه بيان استنكاري رسمي من وزارة الخارجية الجزائرية التي اعتبرت الكتاب مسا صارخا لمشاعر المسلمين، ومكانة رموزهم ومقدساتهم، هذا بالإضافة الى السخط الذي عم عدة أوساط سياسية وإعلامية غير إسلامية، نذكر منها، ليس على سبيل الحصر، رفض صحف ألمانية مثل يومية «دي والت» و«فرانكفورت ألماني زايتونغ» المحافظتين و« سويدانش زايتونغ» الليبرالية و«فرانكفورت راندشو» اليمينية المركزية - كما جاء في جريدة المساء - نشر إعلانات عن الطبعة الألمانية لهذا الكتاب، وقد بعث أكثر من سبعين صحفيا تابعين لهذه الصحف رسالة احتجاج لدور النشر التي قبلت بطبع الكتاب... وللتذكير فإن مثل هذا الموقف الرسمي من حزب يحظى بشرعية العمل السياسي الديمقراطي في الجزائر، جاء احياء لروح الذكرى المائتين للثورة الفرنسية (أنظر نهاية الفقرة الأولى من قصاصة البيان!!)

نماذج لمجموعة من ردود الأفعال ومواقف الشارع الوطني تجاه المنحى العلماني لأحزاب و أهداف الحركة البربرية

تحت عنوان :«هلا أعلنتموها صراحة» ورد مقال مطول في جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1989/11/19 بإمضاء (جماعة من الشباب الوطني المسلم) من تيزي وزو جاء فيه :

« قبل الدخول في صلب الموضوع لابد من رفع التباس قد يرد على بعض الأذهان فنقول : نحن جماعة من الأمازيغ ومن مختلف الأعمار، ولا ننتمي لأي حزب أو أية منظمة، وإنما الذي يجمع بيننا هو النظرة السليمة الى الأمور والحكم الصحيح عليها.

وحين اطلاعنا على مانشر في الصحافة عن موقف حزب من المرتد «سلمان رشدي» وكتابه «آيات شيطانية» أصبنا بالذهول. عصر قلوبنا الألم، انتابنا القرف والغثيان. شعرنا بمنشار مسموم يمزق عواطفنا، فكانت منا هذه الصرخة التي نرجو أن تنضم اليها أصوات حرة شريفة، لا تنقصها الشجاعة الأدبية، ولا الشعور بالمسؤولية التاريخية، فنتصدى لمثل هذه التعفنات التي إن تركت تنتشر في مجتمعنا أدت لا محالة الى الهلاك المحقق، والانهيار المريع!

نعم تناقلت الصحافة الوطنية أخيرا موقف حزب من قضية كتاب «رشدي» هذا الحزب الذي حاول أن ينصب نفسه وصيا على ثقافتنا لصيانتها - حسب زعمه - من الاندثار!!.

إننا لا ندري هل أن هذا الموقف يدل على بلاهة عـمـيـاء أو يدل على خطة شيطانية مستمدة من عنوان الكتاب نفسه «آيات شيطانية».

إذا كانت الأولى فإن صاحب الموقف يجهل أن 99، 99٪ منا نحن الأمازيغ الأحرار نردد مئات بل الاف المرات كل يوم اسم محمد صلى الله عليه وسلم، ونتبرك بذكره، فكم من مسجد يتعالى منه اسم الله واسم رسوله صلى الله عليه وسلم، وكم من فرد يفيض قلبه إيمانا إذ يؤم تلك المساجد كل يوم خمس مرات، وكم من عائلة أمازيغية تؤدي شعائرها الدينية في منازلها أطفالا وكهولا، رجالا ونساء، وألسنتهم تلهج بالثناء على محمد صلى الله عليه وسلم في متعة روحية، لاتدانيها متعة، وكم من لقاء يتم في قرانا لمناقشة بعض المشاكل. ولا يسمح لأحد فيها بتناول الكلمة إلا بعد الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبكل خشوع ووقار وإجلال، وكم من احتفال بعقد قران بين زوجين ولا يتم الطلب والقبول إلا بعد الصلاة عليه وبناء على سنته صلى الله عليه وسلم. وإلا فإن ذلك القران أعتبر لاغيا، مهما ضعف التدين في كلتا العائلتين، وكم من إنسان هاجت نزواته وآستبد به الغضب فراح يهدر هدير الأمواج الصاخبة ولا شيء يمكن أن يهدئه ويعيده اليى رشده إلا إذا طلب منه أن يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم...

وحتى أولئك الذين يتكاسلون عن أداء شعائرهم الدينية تجدهم في مناقشاتهم العابثة يذكرون محمدا صلى الله عليه وسلم بكل إجلال، ويقسمون به غير حانثين.. وكم.. وكم.. وكم.. قل لنا بربك أيها الناطق باسم حزبه : ألا يستحق كل هؤلاء المؤمنين من إخوانكم الأمازيغ، ولو أدنى قدر من مراعاة لشعورهم، ولو نفاقا وتزلفا عساكم تحتاجون إليهم يوما ليتعاطفوا معكم!؟ ألم تفكروا في النتيجة العكسية التي يحدثها موقفكم هذا؟؟ ألا تدرون أنكم لموقفكم الاستفزازي هذا غرزتم خناجركم المسمومة في عواطفنا نحن الأمازيغ المؤمنين بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم أدام الله علينا (وعليكم هذه النعمة...)!

أهذا هو دفاعكم عن ثقافتنا؟؟.. أم أن الثقافة عندكم هي الانسلاخ عن الدين، وعن التقاليد والأعراف والعادات؟؟.. ألا إنها غباوة عمياء صماء عرجاء إن كنتم تعتقدون أننا سننسلخ يوما عن ديننا وتقاليدنا وعاداتنا؟.

لا ندري! لعلكم تبحثون عن الشهرة لحزبكم لأن كثيرا من الأحزاب لا تستطيع أن تعيش بمبادئها، لأنها ليست كذلك، فإنكم تحيون حادثة وقعت بإحدى قرانا، وهي متواترة يضرب بها المثل في الحمق والخيبة والفشل؛ فإليكم هذه الحادثة :

كان أحد سكان إحدى القرى الخاملين لم يذكر - قط - في أي اجتماع من اجتماعات قريته، وكان متعطشا للشهرة، كيفما كانت تلك الشهرة. ولكي يصل إليها بأقصر الطرق تفتقت موهبته عن التفكير في عمل (بطولي) يشد إليه الأنظار طوال الاجتماع المقبل بقريته.

أتدرون ما هو عمله (البطولي)؟.. انه تغوط - حاشاكم - في ينبوع القرية، (وكل قرانا كانت تستقي من الينابيع).

ولما ذاع الخبر في القرية وشاع، تداعى العقلاء للاجتماع للنظر في الأمر. فانعقد الاجتماع وأسفر عن الحكم بمقاطعة الجاني وعزله عزلا تاما، فلا يتحدث إليه أحد ولا يلبي دعوته ولا يبيعه ولا يشترى منه ولا يحضر أفراحه وأقراحه... الخ. (كانت هذه هي العقوبة القصوى في قرانا التي تتمتع بديمقراطية عادلة وحازمة في نفس الوقت).

وهكذا حقق هذا (العبقري) شهرته المنشودة فهنيئا له. لا ندري هنا أيضا، لعل صاحب الموقف أراد لحزبه شهرة من هذا النوع، إذا كان الأمر كذلك فهو بالغ إياها، لامحالة. ونهنئه عن ذلك مسبقا منشدين معه هذا البيت:

إذا كان الغراب دليل قوم   يمر بهم على جيف الكلاب

هذا إذا كان المنطلق من غفلة، أما إذا كان المنطلق من النوايا الخبيثة فالأمر أدهى وأمر. وفي هذه الحالة لا يملك المرء الا أن ينساق وراء ذاكرته التي اكتوت بما استقر في أعماقها من المخططات التخريبية التي تكاتف على وضعها الاستعمار القديم والحديث!!.

إن ذاكـرتنا لتـعـود الى عـصـر بعـيد، الى عـصـر الرومـان الذي دام بالجزائر مـا يزيـد على خمسـة قرون، والذي كـان فـيه الناس مقـسمين الى قسمين: الأحرار والعبيد.

أما الأحرار (الأسياد) فهم الرومان. ولكن أتدرون من هم العبيد؟. انهم الأمـازيغ، كل الأمـازيغ، وطوال هذه المدة بذل الرومـان كـل مـا في وسعـهم لجـعل الجزائر رومـانيـة، ولكن أجدادنا الأحرار الأمـازيغ لم يمكنوهم من ذلك. وهؤلاء الأجداد رحـمـهم الله هم الذين رحبوا بالدين الإسلامي لما أشرق عليـهم نوره. فأصبحوا من أكبر الدعاة له، وكيف لا يكونون كذلك، وهذا الدين الجديد ينادي بأعلى صوته، ألا فضل للعربي الذي أتى به على صاحب البلد الذي يبلغ إليه إلا بالتقوى، أي أن هذا الفاتح لا فضل له عليك أيها الأمـازيغي، بل يمكن أن تكون أنت أفـضل منه، إذا تفوقت عليـه بالتـقوى. وعند الرومـان تعرف بالعبـد! تحت ظلال هذا المبدأ الإنساني السامي العادل الديمقراطي حقا اندفع أجدادنا ينشرون الإسلام، أو ليس جبل طارق، الذي كان يدعى صخرة الأسد، نقشـا خـالـدا في ذاكرة الزمـن، يخلد جهاد أجدادنا العظماء، في سبيل نشر الإسلام و حمايته وفدائه بالنفس والنفيس. ولكن مع الأسف نحن الأحفاد يبرز من بيننا من يتجرأ، وبكل وقاحة، على الاعتداء بمواقفه الضالة والمضللة، ليس علينا نحن الأحفاد الأحياء فحسب، بل على أولئك الأجداد الكرام. اللهم إلا إذا كان هؤلاء الأمازيغ مزيفين، لأن بعض من يزعمون أنفسهم أمازيغا ليسوا كذلك في الحقيقة، بل هم من بقايا المحتلين السابقين كالرومان والوندال..!!

ومما يرجع هذا الادعاء هو التجاوب والانسجام مع كل ما يأتي من الغرب، ولو كان ذلك هو كتاب «سلمان رشدي»، «آيات شيطانية» الذي تزلزلت منه الأرض حتى في البلدان الملحدة ثم ها هي الأمازيغية تكتب بالحروف اللاتينية! ولا ندري هل هؤلاء (المتمـازغين) يجهلون أو يتجاهلون أن للأمـازيغيـة حروفا تسمى :«تيفيناغ» وحركات وضوابط تسمى :«تيدباكين» وكل ذلك جميعها يدعى :«تماشـفت» أو «تمـازغت» أي اللغـة الأمـازيغية. فلم العدول عن هذه الحروف الأصلية الى غيرها، كانت بالأمس فاغرة فاها لا بتلاعها.؟

ثم ما معنى هذا التهافت على الأكاديمية البربرية بباريس واحتضان كل ما يأتينا منها بكل حرارة وشوق، وصاحب هذا الفضل في إنشاء هذه المؤسسة كان بالأمس القريب لا يتردد في الزج بمن يضبطه يقرأ أشعار «سي محند وامحند» في السجن. اشرحوا لنا بربركم أيها المتمازغون العباقرة كيف تحول هذا العدو اللدود للأمازيغية حين كان الأمر بيده، الى صديق حميم بعد أن أفلت الحبل من يده؟ أو لم تعلموا أن المستعمر الفرنسي جاء لردم المسافة الزمنية الفاصلة بينه وبين أجداده الرومان، كأن أربعة عشر قرنا من الزمن لا وجود لها، أو لاوجود للجزائر خلالها، (وتسمية الفرنسي بالرومي جاءت من هنا).

أو تجهلون كذلك أن المحتل الجديد ركز عنايته المكثفة بشكل رهيب على القبائل ليجعل منهم أداة لتسلخ الجزائر، بل إفريقيا كلها من ماضيها ومن حضارتها خاصة الإسلامية!. وكأننا بصاحب الموقف المؤيد لزعيمه الروحي «سلمان رشدي» يقول : دعونا من كل هذه الخزعبلات، وهذه الفلسفة، إنكم تحاولون مغالطة السذج، أما نحن دهاة العصر فلا تنطلي علينا حيلتكم!!.

نعم له أن يقول ذلك فهو حر فيما يقول وما يعتقد وإنما فقط نستسمحه في أن يتفضل بالاستماع الى هذه الفقرة الواردة في خطاب «لافيجري» أبو الحركة التبشيرية في الجزائر أمام الوالي العام في المؤتمر المسيحي :

« ... إن فرنسا لا يمكنها أن تتجب من الأجيال ما تعمر به أرض فرنسا وأرض الجزائر الفرنسية في نفس الوقت، ولكن اطمئنوا سيادة الوالي العام وطمئنوا الدولة الفرنسية لأننا وجدنا حلا لهذه المعضلة.. إننا عازمون على تمسيح مليونين ونصف من القبائل، وحين يتم لنا ذلك فهم الذين سيمسحون الجزائر كلها بل إفريقيا كلها... »

ما رأيكم في هذا التصريح أمام عدد ضخم من خلق الله يا دهاة العصر؟ أم أن «لافيجري» كان يسفسط هو أيضا ويريد مغالطة دولته (الساذجة) ؟!.

ألا فلتعلنوها بصراحة أيها.. وقولوا: إنكم آليتم على أنفسكم أن تكونوا امتداداً لتلك الحملات وأداة لتنفيذ تلك المخططات، ولم لا تصارحون أتباعكم الطيبين؟ ولم تخدعونهم بالعناوين الغامضة والبراقة في نفس الوقت؟ ولم تلبسون مسوح الراعي الذي يحمي القطيع من الذئب، وأنت الذئب الذي يخشى منه على القطيع! ولكن ثقوا أن من خدعتموهم سيكتشفون يوما خداعكم يومئذ سيكون لهم معكم حساب عسير!!. لا. لا. أيها المارقون من الدين، إن فيض الإسلام ارتوت به أرواحنا. وارتوت به أبداننا، وارتوت به حيواناتنا ونباتاتنا وحتى صخورنا. فهو باق الى الأبد في هذه الربوع حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ومن يدري لعل طارقا آخر سيظهر في المستقبل لينشر نور الإسلام من جديد، ولكن هذه المرة ليس في الأندلس وحدها، بل في كل أوربا ولم لا في كل الغرب!! ذلك أنه كم من متفلسف مثلكم وصف الثورة الجزائرية عند اندلاعها بأنها عملية انتحار جماعي! ولكن الجواب عن هذا التفلسف ما ترون اليوم، لا ما كنتم تسمعون بالأمس!

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) «الرّشديون»

وتحت عنوان: «نحن معك يا صرخة الحق» ورد مقال بإمضاء بن نذير محمد، وعياط أكلي في جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1989/12/24 (كله تأييد ومساندة لأصحاب المقال السابق) ومما جاء فيه:

« لقد أتحفتنا جريدة «الشعب» الغراء في عددها 3103 بتاريخ 89/11/19 بمقال تحت عنوان «هلا أعلنتموها صراحة».

هذا المقال الذي تناول فيه أصحابه مسألة حساسة وخطيرة معًا، كشفوا به بعض الجوانب للمكائد التي تحاك ضد الوطن وضد الإسلام، وما أكثرها. هذه المكائد التي تبناها بعض أحزابنا عن غفلة أو سوء نية تحت غطاء الديمقراطية وحرية التعبير و الدفاع عن الثقافة الى غير ذلك من العناوين البراقة الخادعة.

وبين كذلك أن هذا نوع من السم في الدسم يراد به خدمة أغراض أعداء الوطن وأعداء الإسلام تحت ظلال الشرعية الحزبية.

قولوا لنا أيها القراء الأفاضل الأعزاء : أمن المستبعد أن يحصل هذا الحزب المنفذ لسياسة أسياده بكل أمانة ـ عن وعي أو عدمه ـ على هدية ثمينة جزاء وفاقا على فعلته الشنعاء (بالنسبة لنا) والرائعة (بالنسبة لهم)؟

ولم لا؟ فهؤلاء على استعداد تام لبذل أموال باهضة وجهود مضنية لجعل مثل هذه الأفكارالهدامة تتسرب الى المجتمعات التي اتعبتهم كثيرا عبر التاريخ الطويل! خاصة إذا جاءت مثل هذه المحاولات من أفراد المجتمع نفسه، لأنها تدرك أنها أشد تأثيرا وأكثر فعالية.

الا فتبًا لهم من قوم أغبياء يريدون أن يقذفوا بنا وبأنفسهم ووطنهم وتراثهم المجيد بين أشداق الوحش الذي كان بالأمس – وما يزال – يتربص بنا الدوائر، متى ستسنح الفرصة للانقضاض علينا وازدرادنا جميعا!

وباختصار فإن كل ماورد في المقال يعبر عن مشاعرنا أصدق تعبير لا سيما ما يتعلق بتبني مشاريع الأكاديمية البربرية بباريس «بشوق وحرارة» وإلا فما معنى إقحام الحرف اللاتيني – كما جاء في المقال – على الأمازيغية التي لم تكن تتوهم يوما أن يعانقها هذا الحرف العدو وليتخذ منها (عشيقة)!

إنها حملة شعواء حقا على الوطن وعلى التراث، ولكنها مع الأسف تحت غطاء الثقافة والديمقراطية، وتحت حماية الشرعية الحزبية!!

ألا فلتكشف هذه المشاريع التخريبية حتى تسقط الأقنعة فتظهر الوجوه على حقيقتها كي يمكن للشعب أن يقول فيها كلمته الحاسمة قبل فوات الأوان.

وتحت عنوان :«مزيدا من الحذر واليقظة» جاء في مقال بإمضاء مجموعة من الشباب الوطني منشور بجريدة الشعب بتاريخ 1989/12/22 (تنديد بالتأييد وتأييد للتنديد) جاء فيه :

« وبعد، فلقد اكتشف اخوتنا الأمازيغ زيف شعار الدفاع عن الثقافة الأمازيغية الذي ينادي به حزب التجمع والثقافة بعدما نشرت الصحف الوطنية خبر موقف هذا الحزب من نشر كتاب «آيات شيطانية» للمرتد سلمان رشدي.

جاء ذلك في مقال لجماعة من تيزي وزو، نشر بجريدة الشعب يوم 19 نوفمبر 1989 تحت عنوان «هلا أعلنتموها بصراحة» أن هذا الرد الشجاع شجب بقوة شعرا لا يخدم سوى الأطماع السياسية الاستعمارية الجديدة. هذا وإن كنا لا نشك في إيمان إخوتنا الأمازيغ وإخلاصهم للدين الذي أخرج آباءهم من الظلمات الى النور، وحررهم من الذل والعبودية طيلة فترة الاستعمار الروماني، فإننا كنا نود أن يعلنوها صراحة قبل هذا اليوم.

إلا أننا نلتمس لأخوتنا العذر لانخداعهم بشعارات زائفة. أن الإسلام ما زال بخير في هذا البلد، وأن من يحاول المساس به، تحل به نقمة الأمة ويسقط من حساباتها. فمزيداً من الحذر واليقظة فمازال للاستدمار أذناب و خدام ببلادنا».

وتحت عنوان :«اللائكية وأشياء أخرى..» ورد مقال (صحفي) بإمضاء بشير حمادي، منشور بجريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1989/12/26 جاء فيه على الخصوص :

« لقد برزت على الساحة السياسية عندنا منذ قرار التعددية (دستوريا) أحزاب تحمل في تسميتها كلمة «الديمقراطية» ومن هذه الأحزاب من قام من أجل الديمقراطية، أي أنه قام دفاعاً عنها، عاملا على جعلها حقيقة، مكذبا بذلك «مونتسكيو»، هذا التنظيم السياسي يسمى «التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» الذي عقد مؤتمره الأول يومي 16 و 17 ديسمبر 1989، وحضرنا جانبا من أشغاله التي أسالت حبر أقلام بعض زملائنا في المهنة خاصة كوكبة جريدة «المساء» التي أزعجت التجمع الى حد رفض التعامل مع الجريدة ككل!!

إن هذا التنظيم السياسي قائم على أساس ثلاثية مضمنة في تسميته وهي : التجمع، الثقافة، الديمقراطية.

وهذا التنظيم يؤكد في برنامجه من خلال تصريحات قادته على مبادىء تشكل هي الأخرى ثلاثية تتمثل في : الأمازيغية، العروبة، الإسلام.

وعقد هذا التنظيم مؤتمره الأول تحت شعار يتضمن ثلاثية أخرى هي: الصراحة، الوفاق، التفتح.

وقد بعثت مجريات أشغال المؤتمر، وما تلاها ثلاثية جديدة تتمثل في: الفرنسية، اللائكية، الاستبداد.

إنه لمن الصعوبة بمكان أن يجد المرء الخيط الرابط بين الثلاثية التي قام من أجلها هذا التنظيم السياسي، وبين مبادئه المعلن عنها، وبين شعار مؤتمره الأول، وبين الممارسة. فإذا أخذنا من الأساس «التجمع» فإننا نجد «الوفاق» امتداده في الشعار، وإذا أخذنا «الثقافة» فإننا نجد «الأمازيغية» امتدادا لها في المبادىء و«التفتح» امتدادا لها في الشعار، وإذا أخذنا «الديمقراطية» فإننا نجد «الصراحة» امتدادا لها في شعار المؤتمر، ولكن أين امتداد العروبة والإسلام؟

إن هاتين الكلمتين تظهران وكأنهما مقحمتان وسط الكلمات الأخرى، ولهذا نجد أن ثلاثية الممارسة جاءت معاكسة لهما تماما، وهذا من خلال «إعادة الاعتبار للفرنسية» التي كانت سيدة الموقف بدون منازع... سيدة على العربية الفصحى، وعلى الدارجة، وحتى على الأمازيغية، وكذلك من خلال «اللائكية» التي جاءت «حامية الدين» عند التجمع!!

سأقصر حديثي عن الفرنسية كممارسة، التي تولدت عن التفتح كشعار، وعن الاستبداد الذي ولد من صلب «الصراحة والديمقراطية»! وعن «اللائكية الإسلامية»!!

– لقد كانت الفرنسية لغة التخاطب والحوار بين الأغلبية الساحقة من المؤتمرين بل أكثر من هذا فقد كانت محل دفاع عنها في تقرير الجنوب الذي طالب «بإعادة الاعتبار الى اللغة الفرنسية لأسباب فنية وعلمية» وفي تدخلات عدد من المندوبين الذين يرون أن التفتح على العالم لا يمكنه أن يكون إلا من خلال نافذة الفرنكوفونية، بل أن العالم هو فرنسا والدويلات الضعيفة السائرة في فلكها، في حين أن الفرنسيين يشعرون بغربة كبيرة في أوربا الغربية نفسها، ذلك أن الأنجليزية في محيطهم الجيو- سياسي هي السيدة والسائدة دون منازع، وأن الألمانية هي أقوى منها في هذه الساحة، وحائط برلين قائم بين الألمانيتين، فكيف سيكون وضع الفرنسية بعد سقوط الحائط وتوحد الألمانيتين الذي يرعب

الفرنسيين، يضاف الى هذا أن الإيطالية والإسبانية تنازعان الفرنسية على كل شبر في المنطقة.

أنصار «التجمع» في موقفهم من اللغة الفرنسية ليس موقف الضحية، أي أنهم ضحية التاريخ، والظروف التي جعلت الفرنسية سيدة في بلدنا، وجعلتهم من المتعلمين بها جاهلين للغة العربية...

ولكنه موقف الضحية من التاريخ والظروف التي جعلت العربية تنافس الفرنسية في هذا الوطن، فقد ذهب بعضهم الى حد اعتبار الإطارات العلمية الجزائرية في الخارج تحت ما يسمى «هروب الأدمغة» ضحية التعريب في الجزائر، ورغم أن التعريب لم يدخل بعد الجامعات والمعاهد والمؤسسات العلمية، ولكن رغم ذلك فإن التعريب هو الذي اضطهدهم، وجعلهم يحزمون حقائبهم ويغادرون الوطن للعمل في الخارج!!

والحل حسب هذه النظرة يجب أن يكون مقلوبا بالطبع ويتمثل في إعادة الاعتبار للفرنسية، والتخلي عن التعريب، وهكذا تنقلب المعادلة، وبدلا من هروب الأدمغة الى العالم المتقدم بإرادتنا سيمكنون من العودة الى خدمة فرنسا في أرض الوطن، بكل ديمقراطية وشفافية، وبالفرنسية طبعا!!

هذا هو التفكير الأعوج «للتجمع» والى هذا التنكر للعربية، والتي ينص قانون الجمعيات ذات الطابع السياسي في مادته الرابعة على أنه «يجب على كل جمعية ذات طابع سياسي أن تستعمل اللغة العربية في ممارستها الرسمية يضاف تنكر آخر للعروبة «فلا شيء يربط التجمع بالعالم العربي» وأن «الشعب الجزائري ليس عربيا بالضرورة شئنا أم أبينا» وأن «جامعة الدول العربية مجرد خرافة لأنها تريد أن تجمع دولا ليس كل شعوبها عربا، وهي مبنية على أساس عنصري» وأن «التجمع وإن كان يساند الشعب الفلسطيني، فإنه لا يسانده لأنه شعب عربي كما يقول البعض، ولا لأن إسرائيل شعب يهودي وإنما المسألة تتعلق بشعب يبحث عن مكانة تحت الشمس». وبعد كل هذا يقول التجمع أن الشخصية الجزائرية تتشكل من خمس مكونات تأتي العربية فيها الثانية بعد الأمازيغية!!

ـ أما فيما يتعلق بالديمقراطية التي تشكل أحد مبررات وجود «التجمع» فقد كـان محبـا لهـا حب القطة لأبنائهـا، حب وصل الى حد الأكل، وبنوع من الافتراس البشع، يسمونه في لغة السياسة : الاستبداد، وهناك مؤشرات كثيرة عن الحب الافتراسي للديمقراطية عند «التجمع» نذكر منها:

1) المناقشة العامة كان الرأي فيها مشروطا، أي أنه لا يجب أن يخالف المتدخلون رأي المؤسسين «للتجمع» فإن قال المؤسسون «الأمازيغية لغة وطنية دستوريا» فإنه يحرم على كل واحد أن يقول خلال ذلك حتى وأن كان لم يسمع طوال حياته بلغة أمازيغية ولم يشاهد حروفها وأرقامها، وإن قال المؤسسون «اللائكية» فإنه يتحتم على الجميع أن يرددوا هذه الكلمة حتى وإن كان أغلبهم لا يدرك معناها.

2) منع المندوبين من الحديث الى رجال الإعلام، وتأكد أن عددا منهم لم يكن يعرف مبادىء الحزب، بل أن البعض لم يكن يعرف أنه ينتمي الى حزب على الإطلاق، وجاء الى العاصمة باحثا عن تاريخ الأجداد الأمازيغ!!

3) إن الفصل أو الأبعاد من «التجمع» مثلما حدث فيما عرف بقضية «بابوش» يتم وفق قواعد الانضباط العسكرية، بل أن هذه أكثر ديمقراطية، ذلك أن الفصل يتم دون المرور عن لجنة انضباط أو لجنة إثبات العضوية للمؤتمر، دون الاستماع الى رأي المفصول، فيما ينسب إليه من خصمه، فالخصم كان خصما وحكما!.

4) إن ديمقراطية «التجمع» لا تحتمل حتى رائحة الشك في ثوابته فبمجرد تساؤل مندوب في «المناقشة العامة» : ألا يشكل اعتناق العلمانية خطرا على الإسلام الذي هو دين الأغلبية العظمى لشعبنا؟ قاطعه رئيس المؤتمر بقوله : «أن ثوابت (الأر.سي.دي) هي (الأمازيغية والعلمانية) ولاشيء غيرهما لأنه قام لأجلها، ولأجلها فقط، وبدونها فإن (الأر. سي. دي) يعتبر معوقا وبدون رجلين، وبالتالي فإنه لا يتحرك، ولن يذهب بعيدا، ومن يعارض أحد هذين الثابتين فما عليه إلا الانسحاب... ويظهر أن بعض الاخوة قد أخطأوا الباب، وما عليهم إلا طرق أبواب أخرى غير باب (الأر.سي.دي).

لقد كنا نعتقد أن «التجمع» قام من أجل الثقافة والديمقراطية، ولكن تبين من كلام رئيس المؤتمر أنه قام من أجل «الأمازيغية واللائكية» ولأجلها فقط!».

وتحت عنوان: «تساؤلات» ورد في جريدة الشعب بتاريخ 1989/12/21، مقال بإمضاء المواطن ص. ب (ذراع بن خدة) جاء فيه:

«أثناء المؤتمر الأول لحزب (التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية) الذي انعقد يوم 15 ديسمبر 1989 في قصر الأمم بنادي الصنوبر، أجاب ممثل حزب التجمع - عندما سألته الصحافة الوطنية عن المادة الثانية من الدستور التي تنص على أن «دين الدولة الإسلام» - قائلا بأن هذه المادة لم تعرف إلا بعد سنة 1962، بمعنى أن الجزائر كانت قبل هذا التاريخ دولة «لائكية» فارتدت عن المسار الصحيح، فأصبحت بعد الاستقلال تنص في قوانينها على الإسلام.

لقد نسي ممثل «التجمع» بأن الثورة الجزائرية الكبرى فجرتها أرواح طاهرة من ذلك الرعيل الفريد، جيل نوفمبر، أمثال العقيد الحواس والعقيد عميروش (الذي استشهد وفي جيبه المصحف الشريف) والعربي بن مهيدي، وزيغود يوسف وغيرهم...

هؤلاء الصناديد الذين صاغوا توجه ثورتهم في بيان أول نوفمبر سنة 1954 الخالد والذي جاء فيه بالخصوص إقامة حكومة جزائرية.. داخل إطار المبادىء الإسلامية وتحقيق وحدة شمال إفريقيا في إطار العروبة والإسلام، ثم أن المادة الثانية التي تضمنها دستور سنة 1989 قد صادق عليها الشعب في استفتاء نوفمبر 1988، فلست أدري أيهتف بأن السيادة تعود الى الشعب وحده من جهة، ثم يستهزىء بمشاعره من جهة أخرى!؟

أما عندما سئل عن «اللائكية» أجاب الدكتور ممثل وزعيم حزب «التجمع» قائلا بأن «شيخ الجامع» أو «شيخ الدشرة» يجب أن يبقى في دائرته أي في «المسجد» كما كان ذلك في السابق، ولايتدخل في الشؤون السياسية والاقتصادية للبلاد... هذا في حين أن هناك بعض القرى «ثوذرين» من القبائل الكبرى الى يومنا هذا، ما زال «شيخ الجامع» الذي يترأس الجمعية العامة للقبيلة

المسماة بـ :«ثجمعيت»، ترجع له الكلمة الأخيرة في الفصل بين المنازعات الواقعة في حدود قبيلته.

فنحن نتساءل مرة أخرى، لماذا يخول الدكتور لنفسه (و هو طبيب أمراض عصبية) الحق بأن يتدخل في الشؤون السياسية ويحرم غيره من إبداء الرأي بمجرد أنه «رجل دين» أهذه هي «الديمقراطية»؟!

وتحت عنوان :«حقوق المرأة؟! واللعبة المخفية؟؟» ورد مقال بإمضاء المواطن محمد.ط، بجريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1989/12/25 جاء فيه على الخصوص:

« طفت، في أيامنا هذه، مسألة اصطلح على تسميتها : قضية الحقوق المهضومة؟ المرأة في مجتمعنا..؟!

والطرح بهذه الصورة، في هذا الوقت، ليس وليد الصدفة.. بل أن في الأمر حسابات وأشياء كثيرة تطبخ بإحكام، ومكر، سرا، من طرف عناصر مدسوسة في الداخل،، معروفة بولائها لكل ما هو آت من وراء البحر؟! وبالخصوص نحو بلد معين؟! لهم حساسية شديدة نحوه؟

وهناك أكثر من دليل يثبت أن القضية تتعدى مسألة رفع جور؟! وظلم!! حاصل ضد المرأة..

بل أن القضية في مجملها أصبحت ورقة في يد كثير من الأطراف والجهات، للمساومة بها، والعزف على أوتارها،، لتحقيق مآرب، ليس للمرأة فيها ناقة ولاجمل..!!

يعني هذا الطرح، بهذه الصورة وفي هذا الوقت بالذات، فيما يعنيه : إلهاء المجتمع الجزائري بقضايا مصطنعة! ومختلقة! من أجل صده عن أمور ذات أهمية، تأتي في الدرجة الأولى من سلم الأولويات، وهي بناء مجتمع جزائري قوي اقتصاديا، الشيء الذي يحقق له استقلالية في قراراته وممارسة لسيادته داخليا وخارجيا، بعيدا عن كل تأثير أو وصاية خارجية، من شأنها أن تحد من ممارسة سيادته بصورة فعلية..

فالمرأة في هذه الأيام صارت مطية وقناعا يختفي وراءه كل من يعادي الجزائر وثوابت الأمة، ويريد تمرير مشروعه الجذاب وسط شعارات جوفاء، ظاهرها حقوق المرأة وباطنها محاربة الإسلام، وأحكام وأخلاق الإسلام،وحتى لغة الأسلام.

في المظاهرات التي تقام بهذه المناسبة تجد كل شيء يعبر عن معاداة الشعب : طموحاته واختياراته..

فتلاحظ فيما تشاهد، خلال التجمعات «النسوية»!.

- الاستعمال الفاحش لحد الثمالة، للغة الفرنسية، سواء على مستوى اللافتات أو الشعارات التي يتنابحن بها..

- اللباس، جله لا يوافق المحيط العام لتقاليد وعادات الشعب، زيادة على أنها تقليد لحسناوات الغرب..

- سلوكات مشينة كالتدخين، انحطاط أخلاقي... الخ.

زيادة على كل هذا هناك صمت قاتل، كأنهن صم بكم، بالنسبة للأمور التي تهم الوطن والتي هي من اهتمامات فئات كبيرة من الشعب.

- من هذه القضايا على سبيل المثال لا الحصر :

- لم نسمع يوما وقوف الجمعيات النسوية مع التعريب وضرورة إحلاله مكانته الطبيعية في أرضه وبين أبنائه.

- عدم استنكارها لتدنيس الأقدام السوداء لأرضنا الطاهرة..

- الصمت المشبوه؟! للاتسامح والاضطهاد الممارس في فرنسا ضد طفلتين بسبب وضعهما على رأسيهما منديلا؟!

كل هذا وأكثر من هذا رسخ في عقولنا أن هذه الجمعيات النسوية مستعملة من قبل أطراف أجنبية!! كمعاول لضرب الإسلام، ومحاربة ثوابت الأمة، واختيارات الشعب...

ومما يدعم الاعتقاد، ويتركنا نشك فيهن وجعلهن موضع ريبه وخطر على المجتمع، هو أن الذي أعطى شرارة الانطلاقة لحركتهن المشبوهة هي (إيزابيل

أجاني) المتربية في أحضان «مدام لفرونس»... ومن ثمة فإن هناك اعتقادا لدى قطاع واسع من أبناء الشعب أن جمعياتكن طرف له تمثيل في «حزب فرنسا»!!...

وتحت عنوان : «لا علاقة بين حزب علماني والإباضية» ورد مقال بإمضاء محمد سليمان بوكراع (من معهد الحقوق جامعة الجزائر) صادر بجريدة الشعب في 1990/1/30 جاء فيه على الخصوص :

«- كثيرا ما نسمع ونشاهد في وسائل الإعلام الوطنية المختلفة وحتى الأجنبية منها أحاديث وآراء يريد بها أصحابها «إنارة» الطريق للتعبير الحر، وتوسيع دائرة النقاش البناء على مسرح الأحداث الوطنية، غير أن معظم هذا حاد عن الطريق الايجابي وأخذ بمنهاج التعصب والتفرقة والتغريب.

- كيف ونحن نطالع بعض الصحف للتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية نجدها تنادي الى العلمانية «اللائكية» واعتبارها من الثوابت الأساسية للتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، هذا من جهة، ومن جهة ثانية نطالع في نفس الصحف عن علاقة الحزب «الأر. سي. دي» تجاه إحدى الجماعات الإسلامية العريقة في الجزائر، وهي جماعة الإباضيين «الميزابيين» والغرض أو الهدف من وراء كل هذا هو كسب تأييد هذه الجماعة المسلمة في إطار حملة الحزب لتوسيع قاعدته الشعبية، وإعداده للانتخابات المقبلة، وهنا السؤال الذي يطرح نفسه، هل زعماء وأنصار حزب «الأر. سي. دي» تناسوا أم تجاهلوا أن هذه الجماعة المسلمة من الإباضيين، هم الذين أسسوا أول دولة جمهورية طبقت أحكام الفقه والشريعة الإسلامية في الجزائر؟ وهي الدولة الرستمية التي بلغت ذروة التطور في كافة المجالات، سواء كانت اقتصادية، اجتماعية، سياسية أو ثقافية، والتاريخ لخير شاهد على ذلك.

- إذن من هذه المعطيات التاريخية والموضوعية نلاحظ التعارض والتناقض من المبادىء الى الأهداف، وأن الجانبين يقفان على أسس مختلفة جذريا، ذلك أن موقف جماعة الإباضية (الميزابية) من الدين الإسلامي غير موقف حزب «الأر. سي. دي» من الدين الإسلامي. وكذلك موقف جماعة الإباضية من الثقافة

والهوية مخالف تماما لموقف «الأر. سي. دي» حيث أن حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية حزب علماني، ينادي بفصل الدين عن الدولة، وهذا استنادا الي قول أمينه العام (أن ثوابت «الأر. سي. دي» هي الأمازيغية والعلمانية، أي اللائكية، ولاشيء غيرهما، لأنه قام لأجلهما ولأجلهما فقط وبدونهما يعتبر «الأر. سي. دي» معوقا بدون رجلين، وبالتالي فإنه لا يتحرك ولا يذهب بعيدا).

إذن الأسس الإيديولوجية للحزب وبرنامجه السياسي ينبع ويصب من وفي العلمانية بصريح الألفاظ والمحتوى، وهذا ما أعلنته قيادة الحزب المتأثرة والمنخدعة بالثقافة والقيم الغربية، وهذا يتجلى كذلك واضحا لما راج من أخبار عن الوكالة الفرنسية للأنباء «التي أشادت بالشجاعة السياسية والأدبية التي تحلى بها حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية في مطالبته بفصل الدين عن الدولة، وباعتماد اللهجة الأمازيغية كلغة وطنية وبإعادة الاعتبار للغة الفرنسية».

وكذلك جاء في تدخل ممثل الحزب الاشتراكي الفرنسي في المؤتمر الأول للتجمع «الأر. سي. دي» حيث أشاد بأعمال هذا التجمع وعبر عن مساندة حزبه الكاملة لـ «الأر. سي. دي» وقال بالحرف الواحد «استمروا في عملكم فإننا معكم».

– إذن كيف يرفع الحزب شعار فصل الدين عن الدولة ساعيا مع ذلك جلب جماعة من الجماعات الإسلامية المتمسكة أكثر من غيرها بالشريعة الإسلامية، وتعمل بها، وهي الداعية الي إقامة شرع الله في العباد والبلاد لما فيه الخير، وقد عبرت عن هذا الأسلوب في حياتها اليومية من خلال علاقاتها الأسرية والاجتماعية والاقتصادية.

– الإباضيون «الميزابيين» هم الذين يوصفون بالفضيلة والعدل، ويوصفون بالاستقامة ويدعون الى الحق ويبشرون به بين الناس، ويدعون الناس الى التمسك بأهداف الفضيلة والتمسك بمبادىء الكتاب الكريم والسنة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإباضية تدعو الى آتباع النظام الذي كان عليه رسول

الله عليه الصلاة والسلام، والذي كان عليه الخلفاء الراشدون، إذن الإباضيون وقفوا عند حدود الله، وعملوا بسنة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، ولم يتعدوا قيد شعرة ما جاءت به أوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه، فهم كانوا وما زالوا ملتزمين حق الالتزام بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وليعلم زعماء وأنصار وضحايا «الأر. سي. دي» أن من المبادىء الأساسية في الحياة العامة للإباضية (الميزابيين) هو نظام الولاية والبراءة عملا بقوله تعالى: **«قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه، اذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده»** [1]. ولهذه الاية أبعاد دينية واجتماعية وسياسية، إذن لاشك أن ولاء الإباضية عامة هو ولاء للإسلام.

فكل التصرفات والادعاءات التي تصدر من «الأر. سي. دي» وأدعيائه سواء كانت عن جهل أو معتمدة لكسب وجلب الشباب الإباضي المسلم والمثقف بالثقافة الإسلامية، ستسقط ولا مجال لها في أوحال العرقية والتغريب، وليدركوا قيمة ونبل أبناء الإباضية في ميزاب بمساهمتهم في الماضي والحاضر خدمة للإسلام والمسلمين، وهم الذين ساهموا ويساهمون في حركة النهضة السياسية والإصلاحية الإسلامية ليس في الجزائر فحسب، بل في كل المغرب العربي الإسلامي الكبير، والتاريخ حافل بهذه المساهمات والبطولات.

أما موقف التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، من قضية التنوع والتعدد اللغوي للشعب الجزائري، حيث ينادون بوضع حد لأهمال اللغة الأمازيغية وإعادة الاعتبار لها بعدما دفنت وذلك بتحويلها الي لغة وطنية ثانية الى جانب اللغة العربية التي ليست لغة كل الشعب الجزائري واستبدالها بالدارجة باعتبار هذه الأخيرة هي اللغة الشعبية الحقيقية والأقرب الى الجميع، وتبريرهم لهذا يكمن في كون اللغة الأمازيغية ما تزال تربط بين معظم جهات وفئات المجتمع الجزائري،، لكنهم لم يقفوا عند حد الأمازيغية، بل راحوا يطالبون بإرجاع اللغة الفرنسية الى

(1) سورة الممتحنة، الآية: 4.

كافة مجالات الحياة الاجتماعية، ومبررهم في ذلك هو التنوع والتعدد الذي يؤدي الى التفتح على العالم والاستفادة منه.

ـ لكن الأمر ليس بهذه البساطة كما يتوهم أغلب ضحايا « الأر.سي.دي» لأن وراء هذه المطالب عدة أغراض وأهداف منها العرقية والعنصرية التي تدخل في سياق خدمة العلمانية والتفسيخ والتغريب.

والحل السليم لهذه القضية يكمن في أن الثقافة الأمازيغية تجد طرحها السليم في منظور إسلامي واقعي بإحياء الثقافات المحلية والمحافظة عليها وتشجيع الإبداع بها، هذا ما يطمح إليه المجتمع المسلم الإباضي الميزابي، بعيدا عن كل التعصب الذي تقف وراءه أياد أجنبية خفية، لكنها معروفة ومكشوفة لدى كل مواطن غيور على وحدة وطنه، وهذه الأيادي الأجنبية الخفية الحاقدة، لها أهداف ونوايا خبيثة على هذه لجماعة المسلمة في مسلسل التهديم والتفسيخ، تحت شعار حماية حقوق الجماعة الإباضية (الميزابية) ثقافيا وسياسيا، وإخراج هذه الجماعة من تقوقعها وانزوائها، هذا حسب زعم زعماء «الأر.سي.دي».

وليعلم أخيرا كل زعماء وأنصار وضحايا حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية أن الإباضيين (الميزابيين) الجزائريين يرفضون كل حزب لا يتماشى مع المنطق الإسلامي، وهم الذين يرجعون كل مقومات ومكونات الثقافة الوطنية الى معيار أساسي واحد وهو مدى قربها وبعدها عن المكون القاعدي والجوهري لها أي الإسلام.

الفصل السابـع

مناقشة أطروحات الحركة البربرية

لقد كان من فوائد هذه المرحلة المعيشة من الديمقراطية وحرية التعبير في الجزائر (ما بعد أكتوبر 1988) أنها بينت للذين لا يعلمون، أشياء كثيرة طفت على السطح، ما كان لهم أن يصدقوا بوجودها قبل ذلك في أعماق المستنقع! ولعل ما أوردناه من نصوص ومقالات لمختلف الاتجاهات، (في الفصول السابقة) لأقوى دليل على ما نقول.

ورغم أننا متيقنون بأن الزبد سيذهب جفاء ولا يبقى في الأرض إلا ما ينفع الناس في النهاية، إلا أن مايجب الوقوف عنده بتمعن في هذا الماراطون التعبيري الحر الذي أصبحت تعيشه البلاد، والمتمثل في عرض أطروحات متناقضة حتى مع الدستور الجديد (1989) الذي أوجد طارحيها، ومكنهم من عرضها، هو ما يلاحظ من عمليات الخلط بين المبادىء والأهداف والوسائل، عن جهل تارة لدى البعض، أو تجاهل لدى البعض الآخر من هذه الأحزاب، ولئن كان المناور منهم معروفا والمهاجم مكشوفا فالمدافع معذور إذا رأيناه يحاول البرهنة على البديهيات، كإثبات وجود الشمس في وضح النهار!

وانطلاقا من هذه المفارقات (العجيبة) التي تلاحظ في الخلط بين الهدف والوسيلة وبين الأمة والقبيلة.. حيث انحرفت المناقشات لدى بعض الأحزاب من إطار البحث عن الكيفيات لترسيخ الثوابت الوطنية لأركان الأمة، الى التشكيك في البديهيات، كالبحث عن الذات، وكأنما الجزائر خرجت اليوم الى الحياة!!

فمن هذه المفارقات لدى بعض التشكيلات السياسية الطافية على السطح ـ في الساحة الديمقراطية والتعددية ـ ما يلاحظ من محاولة الإنكار تارة لعروبة الجزائر وإسلامها، أو إثبات إسلامها دون عروبتها... أو إثبات عروبتها (المستعمرة) دون إسلامها... ووجدت هذه الأحزاب نفسها تطرق (أو تقفل) أبوابا فتحها الفاتحون الأول منذ قرون! [1] ولئن كان طرق هذه الأبواب لا يفيد، فإن محاولة غلقها لا يعيد التاريخ الى الوراء على الإطلاق، على اعتبار أن الإنسان إذا كان يمتلك بعض القدرة على التحكم في الحاضر أو المستقبل، فإنه لا يملك أية قدرة على أن يجعل الذي كان لم يكن!!

وطالما أن الجهل قد اختلط بالتجاهل في هذه المسألة الهامة والمصيرية، وأن بعض الخطأ قد غلف بورق براق من (الصواب السفسطي). فإن الأمر يتطلب الوقوف للتذكير ببعض البديهيات العلمية والسياسية... ومنها أننا لو تناولنا الموضوع من الزاوية الإصطلاحية العلمية نجد أن كل النظريات الأنثروبولوجية التي تبحث موضوع الشخصية والثقافة تثبت أن مسألة العرْق لا تمت بصلة الى موضوع الثقافة، لأن الثقافة من صفاتها الأساسية أنها مكتَسبة، أما العرق فهو وراثي، ومن ثمة فإن السمات الشخصية لأي شعب تتكون من نوعية ثقافته وليس من فصيلة دمه، أو لون بشرته، أو لون شعره، أو شكل جمجمته... ولو كان للعرْق دور في الشخصية القومية للشعوب لكان كل أبناء البشر أمة واحدة، لأنهم فيَ حقيقة الأمر منحدرون من أصل واحد، سواء من (آدم الإنسان) عند المؤمنين، أو من (آدم القرود) عند الداروينيين!

مع العلم أن الثقافة في آخر تعريفاتها العلمية الشاملة المقرة في المؤتمر العالمي لوزراء الثقافة بمكسيكو سنة 1982 هي: «... أن الثقافة بمعناها الواسع اليوم هي جماع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والاداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات. وأن الثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، والتي تجعل منا كائنات تتميز بالإنسانية المتمثلة في العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي...»

(1) انظر كتابنا كيف صارت الجزائر مسلمة عربية؟، مطبعة البعث قسطينة 1981.

ومن هنا كانت نوعية الثقافة تساوي نوعية الشخصية. فحدد لي ثقافتك (بما فيها من دين وقيم وتقاليد راسخة، وعموميات ثابتة في المسائل الجوهرية المميزة لأصحاب تلك الثقافة) أحدد لك شخصيتك القومية، ولذلك نجد حجة العرقية تمثل سلاحا لا يفيد إلا الاستعمار الجديد في تحطيم وحدة الشعوب المتخلفة التي لا تقلد المستعمرين فيما يفعلونه مع أنفسهم في أوطانهم الأصلية، وإنما تقلدهم، أو تعمل برأيهم - فقط - فيما ينصحون به سكان مستعمراتهم (السابقة واللاحقة) مع أن الفرق بين ما ينصحون به غيرهم، وما يفعلونه مع أنفسهم في الوطن (الأم) هو الفرق بين الموت والحياة (كما سنبين فيما بعد)!!

ومن ذلك - مثلا - أن الاستعمار الفرنسي، كان منظروه، وما يزالون، يصرون على اعتبار الفتوحات الإسلامية للجزائر، والمغرب العربي عموما، على أنها استعمار، جهلا أو تجاهلا، (أرجع الى نص في آخر الفصل الأول) والحقيقة أن هذه التسمية تنم في كلتا الحالتين، عن اعتراف - ضمني - بأن وجود الأقوام الأوربية في القديم والحديث في هذا البلد كان استعمارا بالمعنى الحقيقي للكلمة، وليس نشرا للحضارة، أو استرجاع أمجاد روما، بإخراج الشعوب المغربية من الظلمات، ورفع الضيم عنها وتخليصها من الاحتلال العربي - الإسلامي، كما ظلوا ومّا زالوا يزعمون...

كما تنم هذه التسمية للفتوحات الإسلامية بأنها استعمار عن حقد دفين على الإسلام الذي حل محل الدين المسيحي في هذا البلد قديما، وقاوم الغزو الصليبي الفرنسي حديثا.

والأسئلة المنطقية والعلمية التي تطرح نفسها على هؤلاء وأولئك من الذاهبين في هذا الاتجاه هي :

لو كان المسلمون مستعمرين - حقا - فلماذا بقي الإسلام راسخا في الجزائر دون الأشكال الأخرى المختلفة من أنواع الاستعمار التي عرفها البلد، من قبل الفتوحات الإسلامية وبعدها؟

ثم إذا صح أن العرب الفاتحين كانوا دهاة في استعمارهم للجزائر... فأية فائدة للمستعمر أن يحتل بلدا ثم لا يحكمه أبدا؟! بل يسلم السلطة لأهل البلد

بعد إسلامهم ليحكموا أنفسهم بأنفسهم!؟ ثم لماذا لم يرتد البربر عن دينهم الجديد بعد أن كونوا دولتهم بل دولهم الموحدة والمستقلة بعد الفتح الإسلامي مباشرة، بدءا من الدولة الرستمية الى آخر دولة بني عبد الوادي في تلمسان مرورا بدولة المرابطين، والموحدين، والفاطميين المتلاحقة..!!

إذا كان الإسلام واللغة العربية قد انتشرا بقوة السيف في الجزائر، في فترة قصيرة وزالت المسيحية واللاتينية من البلد تبعا لذلك... فلماذا لم تتمكن فرنسا من القضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية طوال قرن ونصف من المحاولات الخبيثة!؟ فهل كان الفاتحون الأوائل أكثر ذكاء في معاملتهم للجزائريين في القرن السابع الميلادي من الفرنسيين في القرن العشرين!؟ وإذا كان بقاء العرب في الجزائر يرجع الى تواضعهم وعدم تكبرهم على البربر ومصاهرتهم والاختلاط بهم والتساوي معهم في الحقوق والواجبات... أفلم تحاول فرنسا الاندماج مع الجزائريين بكل الوسائل... ففشلت كل محاولاتها!؟ ثم هل كان للمصاهرة بين البربر (الأصليين) والعرب (المحتلين) أن تحدث من طرف واحد لو لم يكن البربر يرغبون في ذلك!؟ وهل كان لأحد أن يرغب في المصاهرة مع أحد (أجنبي وغريب) يعتبره عدوا له ودخيلا أو أدنى منه عنصرا!؟.

وأخيرا لماذا لم تنجح فرنسا في إحلال المسيحية والفرنسية محل الإسلام واللغة العربية، مثلما حل الإسلام والعربية محل المسيحية واللاتينية في الأول قبل 14 قرنا!؟.

إن كل هذه الأسئلة وغيرها لا يجد لها هؤلاء «الغيورون جدا» على ضرورة استقلال البلاد من الاستعمار (العربي - الإسلامي) تفسيرا أو أجوبة علمية تقنعهم، فضلا عن إقناع غيرهم بها!؟.

وهكذا نرى أن الأطروحة التي أوجدها الاستعمار الفرنسي في الجزائر بعد الاستقلال السياسي ستظل قائمة في هذا البلد ومتجددة ما بقيت اللغة الفرنسية سيدة الموقف فيه، وستظل أيضا ما بقي في المجتمع الجزائري من يرفض أن تكون الجزائر فرنسية، أو أن تكون غير مسلمة عربية في يوم من الأيام، لأن فرنسا أخرجت بالقوة من البلاد وفي نفسها أمل في عقول ونفوس بعض العباد (...)

وهذا الأمل مانفك يتسع ويخصب على مر السنين الأخيرة التي أعقبت الاستقلال لأسباب كثيرة وستتضح أبعادها أكثر في السنوات الأربع القادمة.

وعليه، فنكتفي هنا بمناقشة هذه الأطروحة (العرقية - اللغوية) التي تحاول أن تغرس في النفوس (...) مقولة مؤداها أن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي (نوميديا سابقا) كان استعمارا بأتم معنى الكلمة، وأن اللغة العربية المنتشرة في البلاد نتيجة لذلك هي لغة المستعمر (القديم) التي يودون أن تحارب من أهلها أو من بعض أهلها (على الأقل) لصالح لغة المستعمر الجديد (وهو بيت القصيد) كما لايخفى على عقول غير المستعمرين (بفتح الميم) من أبناء الأمة، وقد عبروا عن ذلك بمختلف الصيغ فيما أوردناه من استشهادات في الفصول السابقة...وحججنا العلمية والمنطقية للرد على هذه الأطروحة المغالطة هي:

أولا : أن عامل العرق في القومية أو الوطنية هو خرافة لا أساس لها من الواقع، وقد أبطلها العلم بطلانا دامغا [1].

ثانيا : أن ادعاء أية جماعة بأنها ذات عرق رفيع متميز، وأنها محافظة على نقاوة هذا العرق.. هو ادعاء عنصري لا ينهض على أي أساس من العلم، ولا من الواقع في أي بلد من بلدان العالم، باستثناء الكيانات العنصرية. (في ألمانيا النازية ـ مثلا ـ فيما مضى، والصهاينة في فلسطين المحتلة، أو صنوها حكومة (بوتا) في جنوب إفريقيا في الوقت الحاضر) [2]

ثالثا : أن ربط نوع اللغة بالعرق لا ينهض على أي أساس من الصحة

رابعا : أن مطابقة خريطة المتحدثين بالعربية في الجزائر على خريطة المتحدرين من أصل عربي (كجنس وعرق)، ومطابقة خريطة المتحدثين ببعض اللهجات البربرية في الجزائر على خريطة المتحدرين (جنسا أوعرقا) من الأصل الأمازيغي أو البربري هي مطابقة خاطئة للأسباب العلمية والمنطقية التالية :

(1 - 2) للمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع، أنظر كتابنا عن التعصب والصراع العرقي و الديني و اللغوي. منشورات دحلب، الجزائر.

1) أن نسبة الجزائريين الذين يتحدثون البربرية بلهجاتها المختلفة (التي قد تفوق العشر لهجات) هم لا يتجاوزون على أكثر تقدير نسبة 15٪ من سكان الوطن في الوقت الحاضر، أضف الى ذلك أن نسبة 99 ٪ من هذه القلة يعرفون العربية (الدارجة على الأقل)، بل ويجيدونها في غالبيتهم بحكم ديمقراطية التعليم التي انتهجتها البلاد بعد الاستقلال، الى جانب انتشار وسائل الإعلام والتثقيف الجماهيري باللغة الوطنية (العربية) التي عمت كل أرجاء الوطن في السنوات الأخيرة.

2) أن الحس الشعبي لدى كل الأفراد المنتمين جغرافيا (بحكم الولادة أو الإقامة) الى هذه المناطق المسماة ناطقة بالبربرية (في الخريطة الاستعمارية الفرنسية الجديدة) لا يهضم التمييز بين كلمة عربي وكلمة مسلم، فالعرف السائد حتى الآن في هذه المناطق هو أن كل عربي مسلم والمسلم ـ أيا كانت جنسيته ـ لا يتصورونه إلا عربيا!

وهذا الخلط معقول ومقبول في بلد خال من الطوائف (المشرقية) ولم يعرف غير الإسلام دينا والعربية لغة منذ أن دخل في دين الله وتخلى عما سواه!

3) انتفاء وجود أي شعور بالتمييز إزاء العروبة الإسلامية في هذه المناطق (كباقي المناطق الأخرى من الوطن) بدليل انتشار الأسماء العربية كـ (فاطمة ورقية، والزهراء، وخديجة... والعربي، وعلي، وعمر، وعثمان، و «آيت العربي») ومن ذلك ـ مثلا ـ محمد أركون، وفقيد الثقافة الجزائرية (محمد) معمري المعروف بمولود (لأسباب نضالية فيما نعتقد؟) والعقيد الشهيد (آيت حمودة) عميروش (أبو نور الدين) الذي ظل ينظم تدريس العربية تحت القنابل الفرنسية، إبان ثورة الجهاد، للمحافظة على روح وكيان الإنسان في أهم مراكز الولاية (كمزرانة وثامقوط، وبونعمان...) والواقعة اليوم في ولاية تيزي وزو، حسب التقسيم الإداري الجديد...

كما ظل يرسل مئات الشبان من قلب الولاية الملتهبة بروح الجهاد، لدراسة اللغة العربية في الأقطار الشقيقة استعداداً لاستكمال مسيرة الاستقلال الأكبر،

بعد الاستقلال الأصغر الذي اكتفى به بعض الصغار دون الكبار (بطبيعة الحال) من أبناء الأمة، والذين لا أخالهم، إلا على درب وعهد الشهيد سائرون، والجنة داخلون!

4) التمسك الشديد لسكان هذه المناطق(على غرار باقي المناطق الأخرى من الوطن) بالتقاليد والقيم الثقافية العربية الإسلامية في عمومياتهاالثابتة (وليس في جانبها الفولكلوري)، بدليل أنها كانت، منذ قيام الدولة الرستمية حتى الآن، من أشد مناطق الوطن محافظة على لغة القرآن، وأخصبها إنتاجا للعلماء والكتاب والشعراء، ويكفي دليلا على ذلك أن ابن خلدون تلقى العلم في بجاية (فيمن تلقى على أياديهم من علماء زواوة) على أحد مشايخ منطقة عزازقة، وهو أحمد وديس المدفون بجبال جرجرة، منذ قرابة الخمسة قرون، بالقرب من معهد تلميذه سيدي عبدالرحمن (اليلولي) الذي يعتبر أحد أقوى القلاع والمعاقل، وأسطع المنارات المشعة للعربية والإسلام في هذا الوطن، والذي ظل ومايزال عامرا بالعلم والعلماء، وقد خرّج أجيالا من مصابيح هذه الأمة في أحلك ليالي الاحتلال، ومنهم (الشيخ مولود الحافظي، والشيخ أرزقي الشرفاوي) الذي درس ودرّس باالأزهر الشريف، وختم مشواره العلمي بتدريسه في المعهد المذكور، علما بأنه من مواليد المنطقة المعروفة (بالشرفة) واسم الشرفاوي نسبة الى مسقط رأسه كما هو واضح.

هذا ومايزال هذا المعهد يخرج المئات من الشموع بعد إعادة بنائه سنة 1981 على أحدث طراز، للتجاوب مع متطلبات المرحلة (الاستقلالية) ومحو اثار الدمار الذي لحق به من قنابل (التحضير والتنوير الفرنسية سنة 1957!!) وعلى غرار هذا المعهد المشع والعامر ـ أبدا ـ أقام الآهالي على أنقاض التدمير أكثر من خمسة عشر(15) معهدا مماثلا في المنطقة، وبمجهوداتهم الخاصة، تعبيرا وبرهنة على الوفاء بالعهد لنهج لا لا فاطمة نسومر، وجهد أحفادها من قادة نوفمبر ومؤتمر الصومام. وذلك لمواصلة الزحف الجهادي المقدس الذي لم تكن سنة 1962 إلا مرحلة من مراحله المعتبرة، وذلك مصداقا لما كان يستهدفه القائد الشهيد (عميروش) في إرساله المئات من الشبان الذين هم الآن قيمون على هذه المنارات

المشعة الجديدة التي ستتكامل في وظيفتها (الأهلية) مع المجهودات الرسمية التأصيلية والتنويرية لإزالة كل مخلفات العمليات التنصيرية التي استهدفت المنطقة في الماضي وما تزال تستهدفها بكل الوسائل وتحت ألف ستار، مطبقة مبدأ ميكيافيلي الشهير «الغاية تبرر الوسيلة».

هذا في الشمال. أما في جنوب البلاد فيكفي دليلا على ذلك، أن شاعر الجهاد المقدس وصاحب النشيد الوطني الخالد، (مفدي زكرياء) من نتاج معهد الحياة النابض بوادي ميزاب، معقل الأصالة العربية الإسلامية التي كانت وما تزال (رغم محافظة أهلها على تداول البربرية في الحياة الأسرية) تضاهي - بكل جدارة واستحقاق - جميع المناطق الوطنية الأخرى التي زالت البربرية بكل لهجاتها، من على ألسنة أهلها منذ قرون!!

والحديث بالبربرية في الحياة اليومية، أمر طبيعي، من عهد طارق بن زياد، وابن تومرت، ويوسف بن تاشفين، وهو أمر طبيعي، كان وسيظل قائما، ليس داخل الوطن الجزائري فحسب، بل حتى على صعيد الوطن العربي، بما فيه اليمن والحجاز، حيث تتعايش الفصحى مع العاميات العربية، بمختلف مصادرها وأصولها، بشرط أن تظل الفصحى (كشأنها دائما) هي لغة الأفكار والعلوم والثقافة الراقية والحضارة والفلسفة والسياسة وإدارة الأمصار... وتبقى العامية وسيلة التداول بين العوام في الحياة اليومية، وجوانب الثقافة المادية، والمسائل الفلكلورية... وحينئذ لا يبقى أي تعارض مفتعل بين الفصحى، وأية عامية من العاميات المتداولة في العالم العربي على الإطلاق، من مسقط إلى نواقشط، مرورا بواحة سيوه والنوبة، وجبال الأطلسين والطاسيلي في بلاد الموحدين والمرابطين.

هذا إن لم يوجد تكامل وثيق بينهما (أي العاميات والفصحى) إذا التزمت كل واحدة منهما حدها وظلت لغة الكتابة هي الفصحى وحدها كما عرفت منذ تأسيس أول دولة إسلامية ذات اللسان العربي في هذه الربوع، وهي الدولة الرستمية (بعاصمتها تيهرت) [1]

---

(1) انظر كتابنا : كيف صارت الجزائر مسلمة عربية مصدر سبق ذكره .

5) أن قـرابة 90٪ من أفـراد المجتمع الجزائري في مـختلف مناطق الوطن الأخرى لا يتكلمون أولا يتداولون إلا اللغة العربيـة (العاميـة على الأقل)، ولا يعـرفـون سـواها كلغــة حديث يومي (بقطع النظر عن معرفـة بعضهم للغـة الفـرنسيــة بحكــم الوجــود الفــرنسي الذي كـان وسيظل السـبب، في كل المصائب السبقة واللاحقة!)

والسؤال المطروح هنا لفضح هذه المناورة الاستـعـمارية الجديدة هو : هل هؤلاء الناطقون باللغة العربية في الجزائر كلهم عرب (صفاة العرق) قدموا من جنوب الجزيرة العربية مع طلائع الفتح الإسلامي الأول في القرن 7 الميلادي، أم هم في غـالبيتهم العظمى من سكان البلد الأصليين وتعربوا جماعيـا، وإراديا، على مر الأيام ليصبحوا على هذه الدرجة من الكثرة الغالبة في البلاد؟.

فـإذا كـان الجـواب بنعم على الشطر الأخـيـر من السـؤال (وهو الأصح والمنطقي) فيطرح السـؤال التـالي وهو : كيف يمكن لأي عـالم أو جهـاز علمي (كائنا ما كان) أن يميز في هذه المناطق الناطق أهلها باللغة العربيـة وحدها، بعد امتزاج عضوي عن طريق التزاوج المباح بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة، وامتزاج لغوي وثقافي وحضـاري ظل متـواصلا بين أفراد هذه الأمة الواحدة على امتداد أربعة عشر قرنا من التاريخ!؟.

وإذا كـان الجـواب بالنفي ومؤداه هو : أن المتـحـدثين بالعربيــة هم العرب (المسـتـعمرون) والمتحدثين باللهجات البربرية هو وحدهم السكان الأصليـون، فالسؤال الذي يطرح نفسه حينئذ على أصحاب هذه الأطروحة هو : كيف يعقل، وبأي منطق يبرهن، على أن الفرع أو الجزء يساوي الكل،ناهيك عن أنه - في هذه الحالة - يكبره بتسعة أمثال! وهو ما يتطلب أن يكون عدد الفاتحين العرب للجزائر أكثر من السكان الأصليين بتسعة أضعاف أو يزيد!!

علمــا بأن العـديد من الفـاتحين لشـمال إفريقـيا ومن أعقـبهم، لم يكونوا أصــلا من العـرب، كحـســان بن نعمان وعبد الرحمن بن رستم وغيرهما، شأنهم في ذلك شأن طارق بن زياد ورجـاله من البـربر (أو الأمـازيغ) بـالنسـبـة لفـتـح الأندلس فيما بعد.

ولعل أقوى دليل إحصائي على تهافت هذه الحجة هو أن عدد السكان الناطقين بالعربية وحدها في الجزائر (بقطع النظر عن العديد من العوامل والحجج الأخرى) هم ضعف عدد سكان الجزيرة العربية في الوقت الحاضر!

وإذا كان هذا شأن الجزائر وحدها فكيف يكون الجواب إذا تعلق الأمر بما يقارب المائتي مليون عربي (مسلم وغير مسلم) الموزعين على امتداد نصف الكرة الأرضية من المحيط الى الخليج؟ فهل كلهم مستعمرون قذفت بهم جبال مكة (المكرمة) دفعة واحدة في زمن (قياسي) واحد، مثلما قذفت بلاد الغال بالجيوش الصليبية الى هذه البقاع بعد ذلك بقرون!!؟.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن نسبة معتبرة من سكان تلك المناطق (المصنف أهلها في عداد البربر في الجزائر وبلاد المغرب عموما) هم يعتبرون أنفسهم عربا، ويطلقون على انفسهم اسم المرابطين ويعتقدون (كما تثبت ذلك الوثائق ويؤكده الواقع المعيش في المنطقة) [1] أن أجدادهم قد وفدوا على تلك المناطق الجبلية في فترات متلاحقة من التاريخ (إما بغرض نشر الإسلام واللغة العربية في الأول، أو هروبا من موجات الاحتلال المتعاقبة للإسبان والفرنسيين فيما بعد) فتأثروا نتيجة لذلك المقام الطويل والطيب - خلفا عن سلف - في تلك المناطق، باللهجة المتداولة فيها، شأنهم في ذلك شأن تأثر أي نازح مهاجر في العالم بلهجة أو لغة البلدة أو المنطقة التي يقيم فيها.

وعليه، فإن إجادة هؤلاء الوافدين للهجة البربرية المحلية، الى جانب العربية بطبيعة الحال (كما سبقت الإشارة) لا يمكن أن ينهض دليلا علميا أو منطقيا، على أنهم - في الأصل - من سكان تلك المنطقة، بالضرورة منذ فجر الخليقة!!

خامسا : وإذا كانت فرنسا - كما يمكن أن تدعي - بريئة من اختراع هذه القنبلة الانشطارية للجزائر، فلماذا ظلت طوال مائة وثلاثين سنة من احتلالها للبلاد جاهلة ومتجاهلة للغة البربرية، ولاتدرسها ولا تعترف بها إلا سنة 1967 بتدشين الأكاديمية البربرية في باريس، أي بعد بضع سنين من خروجها من البلاد،

(1) أنظر جريدة الشعب 1981/4/29

على أيدي الأحفاد الشرعيين (ماسينيسا، وتاكفاريناس، وعقبة بن نافع، وحسان بن نعمان، وطارق بن زياد... الخ) !!.

وإذا كانت فرنسا بريئة من هذا الاختراع، فكيف يجاب على ذلك النص الرسمي ذي (الطابع السري) لوزير العدل الفرنسي آنذاك (آلان بيرفيت) والذي نشرته صحيفة (الليبيراسيون الفرنسية) بسنتين من صدوره، وذلك في عددها يوم 1980/7/6 والذي يوصي فيه بتشجيع الحركة البربرية في الجزائر والمغرب العربي عموما لأسباب استراتيجية تخدم المصلحة العليا للوطن (فرنسا). (انظر الوثيقة الأصلية في الملاحق).

سادسا : إذا كانت هذه الأطروحة أو النظرية الفرنسية المستحدثة (في العرقية اللغوية والقومية) علمية وصحيحة في نظر هؤلاء المستوردين أو المتبنين لها من المتجنسين (بالجنسية الجزائرية) فلماذا لا يحاولون العمل على تطبيقها وترقب نجاحها، أولا في (الوطن الفرنسي) ذاته، المكون من أشتات من الأعراق والسلالات والألوان الفسيفسائية، التي لم تجمعهم ماضيا ولا تجمعهم حاضرا ولن تجمعهم مستقبلا، سوى مقومات الوحدة الفرنسية، التي تأتي في مقدمتها وحدة اللغة الفرنسية، رمز السيادة، وعنوان الجنسية وأساس الوطنية... (أنظر مقالا في جريدة (لوموند) بعنوان «اللغة هي الجنسية» للمفكر الفرنسي «جيلبير كونت» بتاريخ 1978/7/15)، وهذا بحكم النظرية الفرنسية ذاتها في القومية، الرافضة أصلا للعامل العرقي، والمبنية أساسا على مبدأ إرادة التعايش ووحدة الثقافة واللغة كما هو معلوم (أنظر في هذا الموضوع بالذات تصريحا لميشال دوبري عضو الأكاديمية الفرنسية ورئيس وزراء دوغول بجريدة لوموند بتاريخ 1989/1/23) أم أن رافض الشيء لنفسه أو فاقده - أصلا - يمكن أن يعطيه يوما لغيره!؟.

سابعا : إذا كانت هذه النظرية (الجديدة) مطبقة في الديمقراطية الفرنسية اليوم، فلماذا تفرض دولتها اللغة الوطنية (الفرنسية) على مقاطعة (البروتان) و (كورسيكا) وتحارب كل نزعة انفصالية لبعض دعاة (صفاة العرق غير الفرنسي)

في هاتين المقاطعتين، مع رفضها بالتالي لأي اعتراف رسمي أو غير رسمي بأي طابع مميز لسكانها عن بقية الفرنسيين في كافة أنحاء الوطن الفرنسي الذي كان الى وقت قريب جدا (وهذا للتذكير فقط) يمتد من دانكريك الى تامنغست!! في الوقت الذي تعترف اليوم بما يسمى باللغة البربرية (بحروفها الفرنسية) كلغة أجنبية ثانوية في المدارس الفرنسية!؟.

ثامنا : إذا كانت فرنسا مقتنعة بجدوى هذه الأطروحة المصدرة إلينا من باب الموضوعية العلمية والنصيحة (الأخوية) فهل تقبل فرنسا أن تعتبر ما يقرب من أربعة ملايين (من الحاملين للجنسية الفرنسية عن جدارة واستحقاق) والمنحدرين – أصلا وفصلا – من بلاد الأطلسي بلهجاتهم (البربرية والعربية) المختلفة، وبشرتهم السمراء (الشمال إفريقية المعروفة)... أن تعتبرهم بربرا أو عربا، أو تقسمهم الى أقليتين وتعترف لكل واحدة منهما (حسب العرق أو اللغة) بحقوقهم القومية داخل التراب الفرنسي، وخارج الأمة الفرنسية الواحدة ذات الرسالة الحضارية و الديمقراطية (الخالدة) والشعار المثلث الشهير بـ (الحرية، الإخاء، المساواة)، فهل هو إخاء في الأصل الغالي (نسبة الى الغاليين) الذي كان ينسب إليه أجداد هؤلاء (المتجنسين) على الورق، في البرامج المدرسية الفرنسية طوال 130 سنة من احتلال البلاد!؟ وإذا افترضنا هذا السبب صحيحا... فلماذا يعتبر هؤلاء الفروع (غاليين) ويصر على الاعتراف – الآن فقط – بأن أجداد، بل آباء هؤلاء المتجنسين هم خليط من اعراق الأمازيغ (الأصلاء) والعرب (الدخلاء) بل فلماذا لا تتمسك فرنسا بالمقولة (الغالية) الأولى وتطالب بالحق (التاريخي) في إلحاق ما في الغيب بما في الجيب أو إلحاق الأصل (العاق) هنا في الجزائر بالفرع (البار) هناك، وتضرب بذلك عصفورين بحجر واحد، حيث تخلص أبناء العمومة (الغاليين) من الاستعمار العربي من جهة، وتحقق من جهة أخرى الوحدة الترابية للأمة الفرنسية الواحدة التي كانت – الى وقت قريب جدا – قطعة أرض واحدة تمتد من دانكرك إلى تامنغست يعبرها (نهر) اسمه البحر الأبيض المتوسط!؟.

وإذا لم يكن الجواب كذلك - وهو ما نعتقد - فكيف إذا يفرض الإخاء بين أشتات من الأعراق البشرية (والتي لم تعرف التجانس حتى الآن) تحت لواء إرادة التعايش والولاء لمحتويات لعَلَم ومقومات وحدة الوطن في فرنسا، ويرفض أو يشكك في الإخاء (الرباني الوجداني) تحت لواء التوحيد الإسلامي ولغة التنزيل القرآني، لأفراد أمة انصهروا بإرادتهم الواعية في بوتقة واحدة أفقدتهم مع مرور الزمن - نظريا وعمليا - أدنى الفواصل والمميزات العرقية - جسميا أو نفسيا - بعد تلاحم عضوي تم تلقيحه بنجاح منذ أربعة عشر قرنا من التاريخ المتواصل الحلقات والمختوم بملايين الشهادات!؟.

تاسعا : وإذا كان الذين يتبنون هذه الأطروحة الانشطارية (ضد الوحدة الوطنية) من حاملي الجنسية الجزائرية (داخل الوطن أو خارجه) لهم ولاء للوطن وإخلاص لوحدة الوطن وذرة من الوطنية (حب الوطن والتضحية في سبيله). فكيف يصبحون دعاة، أو منفذين للمخطط الاستعماري الفرنسي الذي فشلت فرنسا ذاتها في تنفيذه بقوة السلاح طوال بقائها المادي في البلاد!؟.

واندحر عملاؤها سنة 1949 على يد (أسد جرجرة) المجاهد البطل بلقاسم كريم، طيب الله ثراه، (راجع بحثا منشورا عنه في جريدة الشعب ليوم الاثنين 1988/12/12).

عاشرا : وأخيرا إذا كانت هذه الأطروحة المفضوحة غير معروفة الأصول والأبعاد الاستراتيجية الفرنسية لدى متبنيها فهم معذورون فيما فات، وإذا أصروا على الاستمرار في الإحلال (المباشر) محل الاستعمار (الغابر) في عملية تدمير الذات الوطنية، فاللوم لا يعود حينئذ على مستعمري الأمس، أكثر مما يعود على خائني اليوم، من بقايا العملاء، أو أصحاب القابلية (للاستعمار) من بعض (الطلقاء) المقيمين الذين صوتوا - دون جدوى - بـ (لا) في الاستفتاء الحر على تقرير المصير يوم 3 جويلية 1962!! وكانت نسبتهم آنذاك لا تتجاوز 2.5٪ على أكثر تقدير!

والخلاصة التي يمكن أن نخرج بها من هذا الموضوع هو أن المجتمع الجزائري بقطع النظر عن الأصل العرقي لبعض أفراده، أو وجود بعض اللهجات القليلة غير العربية فيه هو مجتمع عربي من حيث الانتماء (...) والعروبة هي الانتماء اللغوي والثقافي والحضاري والتاريخي وليس الانتماء العرقي الذي يريد الاستعمار الفرنسي أن يغالط به الشعوب (كما هو واضح)! وكل ما يقال عن الجزائر يقال عن سائر بلاد المغرب، وجل بلاد المشرق العربي في هذا الخصوص...

ومادمنا في موضوع المناقشة لأطروحات أصحاب النزعة (الانفصالية) البربرية فيبدو لنا من الأنسب أن نورد في هذا السياق مجموعة من الأسئلة المطروحة من المؤلف على زعيم حزب «التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» في برنامج «في لقاء الصحافة» المقدم مباشرة في التلفزة الوطنية (الجزائرية)، يوم الثلاثاء 1990/02/22 م.

مع الملاحظ أن مناورات، ومضايقات المسؤولين على الحصة، لم تسمح سوى بطرح 05 أسئلة منها وهي على التوالي : 6، 4، 5، 7، 10. ومع ذلك فلم يجب زعيم الحزب على أي سؤال من الأسئلة المطروحة عليه، باستثناء محاولة الإجابة على السؤال السادس، ثم امتنع عن الإجابة عندما انتبه الى حتمية وقوعه في التناقض...!!

نص الأسئلة :

1) أن حزبكم يعتبر الثقافة من ثوابته... فهل الثقافة التي يدعو إليها هي الثقافة الوطنية العربية الإسلامية (لغة ودينا) أم الثقافة الفرنسية أم الثقافة الأمازيغية؟ وهل يوجد فرق جوهري بين الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر والثقافة الأمازيغية في نظركم وما هو هذا الفرق؟ أعطني مثالا واحدا من الواقع!!

2) أن فرنسا (أم اللائكية) تقرر اللائكية في الدستور، وتحارب اللائكية في الواقع، مع المسلمين : (تمنع بنتين مسلمتين من غطاء الرأس، وتسمح للفرنسية بحمل الصليب على صدرها، وتسمح لليهودي بوضع غطاء الرأس).

وعندنا نحارب اللائكية باللسان، ونطبقها في الميدان، والدليل على ذلك أنك موجود معنا هنا مع أنك لائكي، ولم يفرض عليك أحد أن تصلي أو تصوم أو أن ترتدي نساء حزبكم الحجاب الإسلامي، فلماذا تطالب باللائكية وهي موجودة؟ أم هي مسألة مبدأ، وانزعاج - فقط - من المادة الثانية من الدستور!؟

3) أن اللائكية تعني فصل الدين عن الدولة، فهل رأيت في الجزائر إماما رئيسا للبلدية أو واليا أو وزيرا أو قاضيا؟ أعط، مثالا واحدا!؟.

4) أن فرنسا تطبق اللائكية في الدين مع إخواننا وأبنائنا هناك، ولكنها لا تطبق معهم اللائكية في اللغة، في قطاعات سيادتها، ونحن نطبق اللائكية مع أبنائها هنا في الدين وفي اللغة معا، فهل هذا لا يمس السيادة الوطنية في الصميم على اعتبار أن اللغة هي الجنسية واللغة هي الشخصية الوطنية، واللغة هي السيادة في نفس الوقت على رأي ديغول وميشال دوبري: «اللغة هي الجنسية وهي الشخصية»، فهل سيعمل حزبكم على تكريس توحيد الاستعمال اللغوي الوطني، أم سيشجع هذا الوضع «الشاذ» الذي توجد عليه البلاد في الوقت الحاضر، والذي أكدتموه بقولكم ـ قبل حين ـ بأن الإنسان لا يستطيع أن يخاطب «جميع الجزائريين» بلغة واحدة!!

5) إن كان حزبكم يؤمن بالوحدة الوطنية للجزائر فهل الوحدة الوطنية في نظركم هي وحدة التراب أو وحدة الشعب؟ إذا كان الجواب بأنها وحدة التراب ووحدة الشعب معا فهل تعتقدون بوجود شعب موحد في الثقافة والشخصية بلغتين ودينين، وأذكرك بمثال: إيرلاندا وبلجيكا، وكندا، والسودان، ولبنان، وقبرص، وإسبانيا، والاتحاد السوفياتي حاليا...

6) إنكم تقرون بأن الهوية الوطنية تتكون من ثلاثة عناصر هي: الأمازيغية والعربية والإسلام... والسؤال هو: يمكن للإنسان أن يكون مسلما فرنسيا (مثلما كنا قبل 1962 م) و (مثل الحركة في فرنسا اليوم)، ويمكن أن يكون الإنسان عربيا مسيحيا (مثل الاقباط في مصر...) فهل يمكن للإنسان أن يكون مسيحيا مسلما في نفس الوقت، أو يكون عربيا فرنسيا في نفس الوقت، أو أن يكون أمازيغيا فرنسيا في نفس الوقت...؟ وهل يمكن لإنسان أن

يكون عربيا أمازيغيا في نفس الوقت؟ كيف يتم ذلك دون تقسيم الوطن الى قوميتين، وبالتالي الى أمتين ودولتين أن آجلا أو عاجلا؟!

7) إنكم تقرون بوجود أغلبية مسلمة في الجزائر، وأغلبية تتحدث العربية، فهل هذا الواقع ناتج عن استعمار عربي، أم هو وضع تلقائي قبله أجدادنا وساهموا في نشره حتى الأندلس والقاهرة!!

إذا كان الجواب بنعم يعني استعمار عربي، فحدد لي من هو المستعمِر، ومن هو المستعمَر هنا فيما بيننا في هذه القاعة! وإذا كان الجواب هو أن العرب ليسوا مستعمرين، فلماذا لا نبقى شعبا واحدا دينه الإسلام ولغته (المكتوبة) هي لغة القرآن، ونطرد الفرنسية العدوة؟ مثلما طردنا الفرنسيين الأعداء في مؤتمر الصومام على أيدي كل أبطال الوطن من المجاهدين الحقيقين؟!.

8) أريد منكم إجابة صريحة عن عدو اللغة العربية (الوطنية) في الجزائر، هل هي الفرنسية أم الأمازيغية بلهجاتها المختلفة؟ ومن هو عدو الأمازيغية هل هي العربية أم الفرنسية؟.

9) هل يستقيم مفهوم (الجزائر الجزائرية) أو (الجزائر الأمازيغية) أو (الجزائر الفرنسية) مع سيادة اللغة العربية بالقول والفعل في الجزائر؟

10) هل يمكن القضاء على اللغة العربية في الجزائر، دون القضاء الكلي على الإسلام الذي أوجدها، وحماها في البلاد على امتداد القرون، أي هل يمكن للجزائر أن تصبح أندلسا ثانية!؟

11) إن اللغة الفرنسية ليست لغة محايدة في الجزائر لأنها تحمل للمواطن شحنا من الآلام والعذاب والجراح فهل فكر حزبكم في المطالبة ببديل أحسن منها وهي اللغة الأنجليزية لغة العلوم، ولغة معهد باستور في باريس؟!

12) لو تصلون الى الحكم فهل تبقون على المادة الثانية والثالثة من الدستور الحالي؟.

13) إن الشعب الجزائري قد صوت بالإجماع سنة 1962 م بأن الجزائر ليست فرنسية، بل هي شعب واحد... عربي مسلم...(كما تنص على ذلك وثائق

اتفاقيات ايفيان) فهل تشكون في نتائج ذلك الاستفتاء النزيه؟ وهل تنوون إعادة الإستفتاء مرة أخرى لوتتاح لكم الفرصة؟

14) لو تتحرر الجزائر من الاستعمار اللغوي «الفرنسي»، فهل ذلك سيسهل في نظركم انتشار اللهجة الأمازيغية (القبائلية)، التي تطالبون بها، كلغة علوم وتكنولوجيا، وإدارة، كما تطمحون في برنامجكم؟

15) هل عندكم خطة لتعريب الإدارة، والعلوم والطب في الجامعة الجزائرية؟

16) تصرون دائما على الأصالة وتطالبون ببعث لغة لم تكتب منذ أكثر من 20 قرنا، وفي الوقت الذي تدافعون فيه عن الشخصية... تكتبون هذه اللغة بالحروف اللاتينية، علما بأن اليابان والصين وكوريا لم تتقدم في التكنولوجيا بتبديل حروفها الصعبة والكثيرة التي تعود الى آلاف السنين؟!

فهل العبرة في الإنسان أم في اللغة أم في الحروف؟، مع العلم أن الحروف العربية هي أكثر الحروف انسجاما وتعبيرا عن النطق البربري (س، ص، ح، خ، ز، ض، ط، ث، ق). في (أساقو، أطّاص، أحانوت، أخام، أذقل، أضو، طارق، ثابورث، أقشيش، أسميض). ولقد كتب بها الشاعر الشعبي الموحوم سي محند ومحند (أمقران نشوعرا) كل أشعاره الرائعة، والتي كانت - بسبب وطنية محتواها، ومناهضتها للاحتلال الفرنسي - ممنوعة من التداول العلني من قبل هذا المحتل نفسه الذي أصبح حاميكم والصديق لحزبكم اليوم!!

17) إن لغة الغاليين (أجداد الفرنسيين) تختلف اختلافا كليا عن اللغة الفرنسية الحالية المنحدرة من خليط «لاتيني غالي» والمرسمة والموطنة في فرنسا منذ ما لا يزيد عن 4 قرون، فهل هذا التغير اللغوي، والتحول اللساني أساء الى الشخصية الفرنسية والجنسية الفرنسية والسيادة الفرنسية، المفروضة على كل الأعراق البشرية الموجودة في فرنسا، ومنهم أبناء المغرب العربي (من الحركة والخونة والمتجنسين) دون أن يطالبوا أو أن يسمح لهم بالمطالبة بإحياء أو إحلال اللغة البربرية أو الغالية (أو غيرها) باسم الأصالة بدل اللغة الفرنسية الوطنية والرسمية في الدستور والواقع هناك؟!

18) تقاليدنا الثورية العريقة علمتنا أن الرجال يزولون والمبادىء تظل دوما هي المتحكمة في الباقين السائرين على الدرب... والواقع عندنا يوحي بعكس ذلك بالنسبة لموضوع استكمال ممارسة السيادة الوطنية المتمثلة في التعريب الكامل للإدارة والفروع العلمية في الجامعات الوطنية... فهل توافق على هذا القول؟ وإلا فكيف تفسرون إلغاء اتفاق رسمي مبرم مع الحكومة السورية (الشقيقة) حول تعريب الفروع العلمية بالجامعات الجزائرية... وقد ألغي بمجرد – ولربما لهذا السبب – تغيير الحكومة الأخيرة يوم 1989/09/09 م!! فهل لو كان اتفاقا مبرما مع فرنسا من أجل الفرنسية، هل كان سيلغى!؟ وهل احتج حزبكم على هذا الإلغاء، أو طالب بتحقيق حول هذا الموضوع المصيري الخطير!؟

19) في الماضي كان عندنا فرنسيون بالجنسية وعرب مسلمون بالشخصية، وكان الفصل هو بين العربي، والرومي (أو أعراب أرومي)، واليوم أصبح عندنا مسلمون عرب بالأوراق والجنسية، وفرنسيون بالشخصية، فما هو برنامج حزبكم للقضاء على هذا الوضع الخطير الذي قد يرجع الجزائر فرنسية بالفعل، وليس بالقول! ومنها أن أحد كبار المسئولين عندنا (وهو رئيس الوزراء) صرح أخيرا في جريدة (لوموند) بأن اللغة الفرنسية هي اللغة الوطنية الثانية في الجزائر، والحقيقة – لو كان منصفا – فهي اللغة الوطنية الأولى، في الإدارات وأجهزة الإعلام، ومعاهد باستور الجزائرية!؟ فهل احتج حزبكم (الحريص على الشخصية والأصالة والهوية...) على هذا التصريح الخطير الذي يمس بجوهر الهوية الوطنية ومستقبلها!؟ أم أن عدو البربرية الأول والأخير هي العربية – فقط – في نظركم، أما الفرنسية فهي أختها بحكم الرضاعة، وبحكم جغرافية البحر الأبيض المتوسط الذي ما يزال يعبر فرنسا في اعتقاد حزبكم؟! .

وهذا خطاب مفتوح موجه الى المؤلف بعد اللقاء التلفزيوني المذكور. وقد نشرته جريدة المساء في عددها الصادر يوم 1990/3/1 وهو بعنوان: «رسالة غير شخصية الى السيد أحمد بن نعمان». وهذا نصه كاملا :

«... في تدخلك كواحد من أعضاء الجمهور في الحصة التلفزيونية المذكورة أردت أن تلقي جملة من أسئلة مقتضبة دقيقة تحتاج كإجابة عنها (نعم) أو (لا)

وكأنك تحاول أن تمثل دور سقراط في مناظراته المشهورة، بيد أن سقراط كان يحاول من خلال أسئلته البسيطة العميقة ان يتلمس محاوره الحقيقة بنفسه بينما أنت أردت من خلال أسئلتك ذات المنطق الساذج، والتي لم تنتهها من حسن الحظ، أن توقع بإنسان له مسؤوليته المدنية والسياسية وله رصيده الثقافي والعلمي -أي تماما مثلك - ويمكنه غدا أو بعد غد أن يصبح رئيسا للجمهورية، أليس مزريا أن نحرج دونما طائل فردا نشطا في مجتمعنا يمكن أن تسند اليه مستقبلا أثقل المسؤوليات!؟

أعود الى نعتي لأسئلتك بذات المنطق الساذج والسبب هو أن الإجابة عنها تؤدي الى نتيجة هي عكس الأطروحة التي أردت الوصول إليها من خلالها فأحاول إذن أن أجاريك وأجيب عنها:

س - هل يمكن لإنسان ما أن يكون فرنسيا، مسلما؟

ج - نعم (هذا إذا اعتبرنا اعتباطيا أن الفرنسية جنسية وليست قومية).

س - هل يمكن لإنسان عربي أن يكون فرنسيا؟

ج - لا.

س - هل يمكن لإنسان عربي أن يكون أمازيغيا؟

ج - لا.

وهنا تكمن الإشكالية فلو أمكن أن يكون الإنسان الأمازيغي عربيا «بمعنى القومية لهذه الكلمة» فلا يمكن أبدا أن تطرح قضية الهوية الأمازيغية في الجزائر وحزب التجمع إذ يتبنى الأمازيغية بجنب العربية والإسلام إنما يتبنى الواقع الجزائري كما هو ومعطياته جميعا.

وإذا طورنا القضية أكثر يمكن أن نقول أنه يمكن للأمازيغي أن يكون مسلما تماما كالفرنسي والإيراني والأفغاني... و... الخ. وانطلاقا من مبادىء الإسلام ذاتها ليس شرطا لأعجمي أن يتعرب كي يكون مسلما.

وفي تدخلك الثاني كان سؤالك بشقيه محرجا أيضا ولا يليق بمثقف أو إنسان ذي منزلة مثلك، فقد سألت إذا كان الجزائريون مستعمرين فكيف نعرف

الأمازيغي من غير الأمازيغي في هذه القاعة؟ وإذا كانوا غير مستعمرين فلماذا نعود الى ماقبل 14 قرنا؟ إنني لا أجيبك، لأنه سؤال غير ذي محتوى، ولكن أعاتبك فقط، هل نحن بحاجة الى علم غزير كي نعرف أن في وقت ما من التاريخ (القرن السابع الميلادي) جاء الى هذه الأرض أناس غرباء عنها وليسوا منها؟ هؤلاء جاؤوا للفتح، وليس للاستعمار، ثم في وقت لاحق (القرن العاشر الميلادي) جاء أناس آخرون من نفس أصول الأولين، ولكن ليس أناسا على درجتهم من التحضر والوعي والسمو البشري فعاث هؤلاء اللاحقون في الأرض فسادا قبل أن يذوبوا نهائيا في المجتمع العتيق الأصيل، الذي جاؤوه غزاة ولا أظن مثقفا مثلك يجهل أنه منذ مجيء المسلمين الفاتحين تعاقبت على هذه الأرض دول أمازيغية مسلمة لم تستعمل فقط اللغة العربية استعمالا واعيا وطوعيا وإنما أيضا لم تحارل أبدا عن قصد مبيت أن تقضي على قيام الثقافة الأمازيغية التي تغطي كامل شمال إفريقيا.

ولذلك فإنني عندما كنت أشاهد حصة «لقاء مع الصحافة» لم أر في الاستوديو أمازيغاً وعربا، وإنما رأيت جزائريين، بعضهم لا يتكلم الأمازيغية، لأن أربعة عشر قرنا من تبني الإسلام والعربية أنستهم لسانهم الأصلي وهذا معقول منطقيا وليس عيبا على الإطلاق، بينما بعضهم يتكلمها دون صعوبة الى جانب العربية والفرنسية، وهذا أيضا ليس جريمة البتة.

وإذا أنستك نخوة الانحياز الإيديولوجي والتحزبي مقتضيات الموضوعية، فلا أعتقد أنه بالإمكان أن تنسيك أبسط قواعد احترام المشاهد الذي لا يرى رأيك وحديثك عن «الاستعمار» بعدما أمضينا ربع قرن في الحديث عن الاستقلال والسيادة يعد شتما لا مبرر له، وسواء أوضعت نفسك في خانة المستعمر أو في خانة المستعمر فإنك في كلتا الحالتين تعبر عن عقدة نفسية -اجتماعية مازال للأسف كثير من أبناء هذا الوطن يعانون منها، وأؤكد لك ياسيد بن نعمان أننا لسنا مستعمرين، وأنه بإمكاننا أن نعود الى ما قبل 14 قرنا مع الاحتفاظ بمكاسب هذه الأربعة عشر قرنا!.

وفي الشق الأخير من رسالتي «غير الشخصية» إليك أود أن أطرح عليك

سؤالا معاتبا بصفتك رئيسا لجمعية «الدفاع عن اللغة العربية» كيف تسمح لنفسك أن تستنكر على جزائريين – ولست أنت أحسن منهم، ولا أكثرهم وطنية– قضية الدفاع عن اللغة الأمازيغية وثقافتها وتسمح في نفس الوقت لنفسك –ومن معك – أن تكوّنوا جمعية الدفاع عن اللغة العربية، مع العلم أن اللغة العربية استحوذت على كل الاهتمام الجزائري، ودعمه معنويا وماديا وسخر لذلك إمكانات هائلة بينما بالمقابل قمعت اللغة الأمازيغية كل القمع وتجوهلت كل التجاهل، فأيهما أحق بالدفاع؟ إن الدفاع عن اللغة العربية لا يتم عن طريق الكلام الديماغوجي والسفسطائي، ولا أعتقد أنك تجهل أن السفسطائيين أيضا استعملوا أسلوب المحاورة كما فعل سقراط، وإنما الفرق في غاية كل من الطرفين، وأقول لك أن المدافعين الحقيقيين هم في مصر عن طريق طهاتهم وعقاديهم وحكمائهم ومحفوظيهم وإدريسيهم وهم أيضا في لبنان (لبنان الحرية والديمقراطية سابقا) عن طريق دور نشرهم بينما في الجزائر بقي الدفاع عنها لا يتجاوز مستوى الاستهلاك السياسي. وليكن في علمك من الآن فصاعدا أي الى جانب الأمازيغيين الذين يحسنون الفرنسية، بل يبدعون فيها هناك أمازيغيون يحسنون العربية أيضا ويمكنهم أن يبدعوا فيها متى توفرت شروط الإبداع.

وإذا أصررت على أن ترى بأن فترة تاريخية من الزمن – مهما طالت – يمكن أن تنسي شعبا هويته فرنك في نهاية المطاف تنسف جهود الجمعية التي أنت رئيسها أما التاريخ لا يقاس عندما نقرأه بعدد السنين ولكن يقاس بكثافة حضور الأحداث ودقتها وتسارعها فقد حققت الفرنسية مع الجزائر في مدة قرن ما حققته العربية في مدة أربعة عشر قرنا ومع ذلك فلا يحق لأحد أن يثبطك عن مساعيك بأن يقول لا طائل من العودة الى ماقبل الاستعمار الفرنسي...

إمضاء: أعمرز محند أورمضان

جواب المؤلف عن الرسالة المذكورة أعلاه وقد نشر في نفس الركن من الجريدة المذكورة يوم 1990/3/11، وذلك في إطار «نعمة» حرية التعهير التي تعيشها الجزائر، والتي كان من نتائجها صدور هذا الكتاب نفسه... ونظرا لأن

هذا الجواب يتضمن مناقشات ومواقف وتوضيحات لبعض أطروحات أصحاب النزعة البربرية كما تتجلى من مضمون الرسالة «غير الشخصية» الموجهة الى المؤلف... فإننا نورد نص الجواب عن الرسالة كاملا كما نشر، مقابل إيرادنا لنص الرسالة «الاعتراضية» كما نشرت وهذا نص الجواب بعنوان: «الى صاحب الرسالة غير الشخصية» :

... لقد تلقيت رسالتك بكل سرور شاكرا لك اهتمامك الخاص بأسئلتي في لقاء الصحافة الوطنية يوم الثلاثاء 1990/2/22 مع السيد رئيس حزب (ت. م. ث. د) وشاكرا جريدتنا الوطنية «المساء» التي نشرتها في عددها الصادر يوم 1990/3/1، وإنني إذ أسعد بالإجابة على جميع أسئلتك الموجهة الي، والتي لو أجاب عنها رئيسك (المسؤول) في الحصة، لأقنعني وأقنع ملايين المواطنين مثلي، ولربحهم في الانتخابات الرئاسية المقبلة، إن شاء الله، كما أشرت في رسالتك... وأود قبل الإجابة عن أسئلتك في الرسالة أن أصحح لك بعض المفاهيم التي بنيت كل استفساراتك وأحكامك عليها. واقفا عند «ويل للمصلين» وملاحظاتي التصحيحية هي كالتالي :

أولا : أنا لست رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية، كما ذكرت في رسالتك، وأعترف لك أنني من ملايين الجزائريين المدافعين عن أهم بنود الدستور في غياب حماة الدستور، والسلطة اليوم للشعب كما هو معلوم من الدستور بالضرورة.

ثانيا : لقد قلت بأني حضرت مع الجمهور المستجوب للسيد رئيس الحزب... وهذا شيء أعتز به، ويشرفني أن أكون في صف الشعب أعبر عن صوته دون أي تحيز لأية جهة مقابلة لإرادة الشعب الجزائري!

ثالثا : لقد حضرت الى اللقاء المذكور بطلب من المسؤولين على الحصة في التلفزة الوطنية، ولم أرفض «رغم المضايقات الملاحظة من الجميع» حتى لا أتهم بأني تكبرت لا سمح الله، أو تخليت عن نداء الواجب الوطني الذي لم أتخل عنه - فيما أظن - حتى الان (...)

رابعا : لقد تلقيت بعض النصائح من بعض الاخوة على أن أرفض الحضور لاعتبارات كثيرة من بينها أني من منطقة القبائل الكبرى (سابقا) ومع ذلك حضرت كمواطن جزائري بقطع النظر عن منطقتي الوطنية التي أعتز بالإنتماء إليها والجهاد فيها والدفاع عن تراثها الزاخر، مثلما تعتز أنت تماما، ولا يفرقنا إلا التحزب الى الوطن وثوابت الوطن ومقدساته، بدل التحزب الى أشخاص أو أفكار (إديولوجيات) أو زعمات أو جهة من الوطن بعينها!

خامسا : لقد رجمت بالغيب واتهمتني أني متحزب، وهنا أتحداك أن تجدني منخرطا في أي حزب سياسي من الأحزاب الراهنة، غير حزب الوفاء لعهد الشهداء الذين حملونا الأمانة الوطنية، والباب مفتوح أمام كل جزائري وطني أن يتحمل هذه الأمانة كما سلمت لنا (كاملة غير منقوصة). وإذا كانت المواطنة بالجنسية التي تمنح وتمنع، فالوطنية لا تكون إلا بالتضحية! وكن أستاذا مثل أبطال الصومام بالأمس أكن لك تلميذا مستوعبا، مثلما كنت لهؤلاء تلميذا مستوعبا بالأمس، وما أزال حافظا للعهد، لأن هذا من أهم شيم الأحرار بهذا الوطن المفدى!

سادسا : لقد عاتبتني على أني أحرجت شخصا محترما قد يصبح رئيسا للجمهورية في المستقبل القريب، وأعتقد أنه كان من المفروض أن تهنئني وتشكرني على ذلك لو كانت تهمك سمعة الوطن، لأن الحوار بين الاخوة في التلفزة الوطنية أفضل من إحراج شرف الوطن في المحافل الدولية مستقبلا!

سابعا : لقد دافعت عن رئيس حزبك وهذا من حقك، وتشكر عليه، ولقد كنت أود أن يجيبني - هو شخصيا - مثل جميع المواطنين، بصفته شخصية علمية محترمة مثلي (كما قلت في رسالتك) ولا أظنه سوف يأخذك معه الى اجتماعات القمة العربية المغلقة لتدافع عنه هناك، وإذا كان هذا غير ممكن، فلماذا لا تصبح أنت رئيس الحزب وتقنع الجميع بالمنطق الذي ناقشتني به في رسالتك اللطيفة هذه؟؟

ثامنا : لو تتبعت أسئلتي بموضوعية أثناء مشاهدتك للحصة لوجدتني متأدبا مع رئيسك إلى أقصى درجة، وذلك بشهادة الجميع، ولو كنت أنت مكانه لأجبتني مثلما حاولت أن تجيبني عن بعض أسئلتي في رسالتك المفتوحة هذه الي، والتي وضحت لي فيها أمورا أزالت لي وللمواطنين بعض علامات الاستفهام التي لم أجد لها جوابا عند رئيس حزبك، ولو كنت أنا مكانه لأجبته دون استهزاء! وما أتمناه وأرجوه أن يكون هو مقتنعا بإجابتك لي مثلما اقتنعت أنا ببعض تلك الإجابة!

تاسعا : قلت بأنه من حسن الحظ أنني لم أتم أسئلتي كلها وأنا الذي أتيت لأسأل في منبر للديمقراطية، عن الثقافة، رئيس حزب شعاره «الثقافة والديمقراطية» فمن حسن حظ من؟ السائل أم المسؤول؟؟!

عاشرا : لقد قلت بأن «أسئلتي كانت ساذجة» فلماذا تهتم بالرد على أسئلة ساذجة؟ فهل تشك في قدرة ووعي الشعب الجزائري في التمييز بين الأسئلة الساذجة والأجوبة الساذجة، حتى تأتي أنت لتوضح لهم السذاجة بما أتاك الله من علم وحكمة؟!

واليك الإجابات عن الأسئلة المحددة الموجهة إليّ في الرسالة

وهنا لا أقف موقف الرفض من أسئلتك «المحرجة» مثلما وقف رئيسك موقف الرفض من أسئلتي (الساذجة) على حد تعبيرك، على الرغم من أني لست أدعي الزعامة، ولا حتى الرئاسة، إلا على نفسي وكلامي - بكل تواضع - إيمانا مني، بأن الكلمة مسؤولية لمن يقدرها حق قدرها...

أولا : لقد قلت في سؤالك الأول هل يمكن لإنسان عربي أن يكون أمازيغيا؟ وأجبت بالنفي، وأنا أقول لك : ممكن لإنسان عربي أن يصبح أمازيغيا، ويمكن لإنسان أمازيغي أن يصبح عربيا، مثل الفرعوني الذي أصبح عربيا، وكذلك الفينيقي والأشوري، لكن الشيء الذي يستحيل وقوعه هو أن يكون الإنسان أمازيغيا وعربيا في نفس الوقت، أو عربيا وفرنسيا في نفس الوقت...

لأن ازدواج الشخصية الفردية أو الوطنية، مرض لا يعرف خطورته عى الأمة إلا الأطباء في الأمراض النفسية *، أما كيف يمكن لإنسان أمازيغي أن يصبح عربيا فهو واقع في الجزائر منذ 14 قرنا كما قلت في رسالتك وأوافقك تماما أن الفتح الإسلامي لم يكن احتلالا وهذا ما قصدته بسؤالي في الحصة (...) وكنت أود أن أجد له جوابا في الحصة ذاتها..

أما كيف يمكن لإنسان عربي أن يصبح أمازيغيا فأقول نعم لو أنزل القرآن الكريم بالأمازيغية «الأم» ولو تم ذلك لأصبحت اليوم كل الجزيرة العربية وكل البلاد الإسلامية الناطقة بالعربية أمازيغية، ولوجدتني أدافع عن الأمازيغية في كل البلاد الإسلامية، كما أدافع اليوم عن لغة القرآن تماما، ولعلمك فإن العربية هي لغة العرب قبل نزول القرآن - فقط - أما بعد نزوله بلسان عربي مبين، فهي لم تعد لغة أبي لهب وأبي جهل، وإنما هي لغة سلمان الفارسي، وصهيب الرومي وبلال الحبشي، وطارق الأمازيغي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده الفرعوني، وابن باديس الصنهاجي. وإذا أردت أن تقضي على العربية في أي بلد مسلم فاقض على الإسلام أولا، كما قال أحد (كتابكم) الراحلين **.

ثانيا : لقد قلت في سؤالك الثاني... ((وإذا طورنا القضية أكثر، يمكن أن نقول بأنه يمكن للأمازيغي أن يكون مسلما تماما مثل المسلم الفرنسي والأفغاني والإيراني... و... الخ. وانطلاقا من مبادىء الإسلام ذاتها ليس شرطا لأعجمي أن يتعرب كي يكون مسلما.)) وأنا أوافقك تماما على هذا الطرح، وأسألك بدوري، هل لو خرجت فرنسا من الجزائر (وأقصد اللغة الفرنسية المحتلة) سيكون سؤالك عن الأمازيغية مطروحا اليوم!؟ فإذا كان الجواب بالنفي، فيكون واجب جميع الجزائريين الوطنيين اليوم أن يتحدوا لطرد الاستعمار الأكبر للشخصية، مثلما اتحدوا جميعا بالأمس القريب لطرد الاستعمار الأصغر (استعمار الجنسية) وإن كان الجواب بالإثبات، فلماذا لم تطرح هذه الأسئلة منذ

★ إشارة الى رئيس الحزب (ت.ث.د) لكونه طبيبا في الأمراض النفسية ا

★★ المقصود هنا هو : كاتب ياسين.

14 قرنا الماضية، مع أننا كأمازيغ، كنا أحرارا في تأسيس دولنا المستقلة بدءا من الدولة الرسمية الى دولة الأمير عبد القادر الجزائري، فكنا شعبا واحدا دينه الإسلام ولغته المكتوبة هي لغة القرآن، الى أن جاء الاحتلال الصليبي الفرنسي الذي حارب لغة الأمة، كما هو معلوم، ولم يعاملها كغنيمة حرب (وهو المنتصر) كما لم يعامل الإسبان اللغة العربية (كغنيمة حرب) بعد سقوط غرناطة الشهير، أم نحن اليوم أذكى من هؤلاء وأكثر وطنية منهم؟؟!!

والسؤال الثاني هو هل حرام على الأعجمي أن يتعرب مثلما تعرب أجدادنا الأمازيغ، وعلموا العربية للعرب أنفسهم، مثل ابن معطي الزواوي، وابن آجروم، على غرار سيبويه، والخليل بن أحمد، وهل منعتك أعجميتك من أن تتقن اللغة العربية التي سألتني بها أسئلة فصيحة أشكرك عليها، وأرجو أن تكون قدوة لغيرك فيها، وهل القدرة التي مكنت بعض الجزائريين (بالجنسية) من إتقان لغة المحتل الفرنسي خانتهم في تعلم اللغة العربية، بعد ربع قرن من الاستقلال، مثلما لم تخنك أنت، ولم تخن من قبلك طارق بن زياد والفضيل الورتلاني... وعلماء زواوة الجهابذة الذين تتلمذ على أيديهم ابن خلدون في جامعات أجدادنا الحماديين ببجاية الحضارة والأصالة الإسلامية ذات اللسان العربي المبين؟ وإذا كان أجدادنا الأمازيغ كما هو معلوم هم الذين تبنوا لغة القرآن طائعين، كبديل للغة اللاتينية، التي رفضوها بصفتها لغة المحتل الروماني.. فهل اليوم يكون عتابنا على العرب الفاتحين الذين لم يحتلونا (كما قلت أنت في رسالتك) أم نعاقب أجدادنا الأحرار ونحاكمهم في قبورهم على تبنيهم لغة القرآن لسانا قوميا وحيدا في البلاد على امتداد القرون الأربعة عشر الماضية؟!

أوافقك على أن إيران وأفغانستان والسينغال ومالي والنيجر دول مسلمة دون أن تكون ناطقة بالعربية في غالبيتها، وإسبانيا كانت ولمدة ثمانية قرون دولة (مسلمة عربية)، فهل تريد أن تصبح جزائر المليون والنصف المليون شهيد (أندلسا) ثانية، في القرن العشرين؟ وهل يوجد ما يمنع الإيراني والتركي والأفغاني من أن يتبنى لغة القرآن لسانا وطنيا ورسميا له دون عصبية (قومية)

جاهلية؟ (راجع مقالا لي في جريدة الشعب بتاريخ 1989/06/30 عن جهاد جمال الدين الأفغاني في هذا الخصوص مع العثمانيين و قد قتله اليهود بالسم من أجل هذا سنة 1886.)

أوافقك تماما بأن الجزائر كانت أمازيغية كلها، وتعربت كلها نتيجة إسلامها الجماعي غير المفروض (...) فهل يمكنك اليوم أن (تبَرْبِر) كل هؤلاء الجزائريين الناطقين بالعربية، كي تحافظ على وحدة الشعب الجزائري (مثلما كانت موحدة قبل الاحتلال الفرنسي وأثناءه)، والتي لا يمكن أن تتحقق دون سيادة لغة وطنية ورسمية واحدة، في كافة ربوع الوطن، بقطع النظر عن تعايش اللهجات البربرية (أو الأمازيغية) الكثيرة كجزء من التراث الوطني الذي ندافع ونحافظ عليه، بصفتنا شعب مسلما ناطقا بالعربية، لم يبدأ تاريخه من القرن السابع الميلادي، ومثلما تدافع مصر عن تاريخها الفرعوني، والعراق عن تاريخها الأشوري، وسوريا عن تاريخها الفينيقي والسرياني... وهكذا، ولكن مادخل ترسيم اللهجات (العربية وغير العربية) (على حساب اللغة الوطنية، ولحساب لغة الجلادين الفرنسيين القدماء والجدد) في هذا الإحياء!؟ فهل العقّاد (كما قلت في رسالتك) وطه حسين وشوقي، وحافظ إبراهيم، وأحمد أمين : دافعوا عن إحياء (وتوطين) وترسيم القبطية الميتة، أو (غنيمة الحرب) الأنجليزية، أم عن لغة القرآن في كل ربوع الإسلام؟ إذا وافقتني بأن أكبر عدو للغة الوطنية في الجزائر اليوم هو سيادة اللغة الفرنسية (رغم أنف الشعب)، ووافقتني بأن أكبر عدو لإحياء التراث الأمازيغي الجماعي للأمة هو الثقافة الفرنسية (اليهودية المسيحية)، فأوافق على كل ماقلت في دفاعك المشروع عن حزب التجمع، وأضم صوتي ويدي الى صوتك ويدك لإحياء هذا التراث بعد طرد العدو المشترك، والمتمثل في اللغة الفرنسية (هزيمة الحرب) وليس (غنيمة الحرب كما تدعون!).

ثالثا: لقد وجهت لي سؤالك الأخير قائلا: «كيف تسمح لنفسك أن تستنكر على الجزائريين قضية الدفاع عن اللغة الأمازيغية وثقافتها وتسمح في نفس الوقت لنفسك – ومن معك – لتكونوا جمعية للدفاع عن اللغة العربية....

أنا لم ولن أمنع أحدا من الدفاع عن أية لغة أو لهجة أقرها الشعب الجزائري في مواد دستوره، بل أدافع فقط عن اللغة الوطنية والرسمية، ضد اللغة الفرنسية المستعمرة مثلما يدافع الفرنسيون (الأحرار) عن اللغة الفرنسية ضد اللغة الألمانية والأنجليزية والعربية، وتأكد أنه لوكانت للجزائر لغة وطنية ورسمية غير اللغة العربية لدافعت عنها (من باب الوطنية) ودافعت عن العربية من باب العقيدة الدينية، ولكن طالما حبانا الله بأن جعل لغتنا الوطنية والرسمية هي نفسها لغة عقيدتنا الخالدة، فإني سعيد بأن أضاعف دفاعي مرتين (...) وهمي الوحيد في ذلك كله هو وحدة شعبي، ووحدة أمتي، ووحدة عقيدتي، ولا وحدة وطنية بدون وحدة لغوية، ولا شخصية وطنية بدون سيادة اللغة الوطنية، ولا إسلام بدون عربية، فغيِّر اللغة الوطنية والرسمية لأغلبية الجزائريين بكيفية ديمقراطية، سأكن أول الخاضعين لإرادة الأغلبية، مثلما خضعت فرنسا لإرادة الأغلبية عندما قالت «لا للجزائر الفرنسية» في الاستفتاء على تقرير المصير سنة 1962، علما بأن هناك من المواطنين من صوت ضد هذا الاستقلال، ومنهم من ذهب مع عساكر المحتل، ومنهم من بقي خاضعا للجنسية الجديدة، والذي نعمل له اليوم هو أن تتطابق شخصيتنا (غير الفرنسية)، أي العربية المسلمة مع جنسيتنا (غير الفرنسية)، ولا يتحقق ذلك إلا بالاستقلال عن اللغة الفرنسية، لأن اللغة هي الشخصية، واللغة هي الجنسية، كما قال الفرنسيون أنفسهم. وحتى لا أطيل في مقام لا يتطلب الإطالة ؛ أسألك سؤالا واحدا هو كالتالي : إذا كان بإمكان الإنسان الحر أن يتحكم في المستقبل الذي لا يعرف المستحيل، أمام إرادة الشعوب التي هي من إرادة اللّه... فهل يمكن لأي مخلوق على وجه الأرض أن يتحكم في الماضي فيجعله غير موجود، أو غير ما كان عليه في حقيقته، وإذا كان هذا مستحيلا - كما أظنك تجيبني - فهل تعتقد بوجود شعب في العالم قرر مصيره مرتين في التاريخ؟ فأجيبك بنعم : هو الشعب الجزائري (الحر) الذي قرر مصيره في القرن السابع الميلادي، ضد الاستعمار اللاتيني الصليبي القديم، وقرر مصيره في القرن العشرين مرة أخرى، ضد إرادة الاستعمار

اللاتيني الصليبي الجديد. فهل تطالب الشعب الجزائري (كل الشعب الجزائري) أن يقرر مصيره للمرة الثالثة؟! أم تعتقد بوجود عدة شعوب في الجزائر على رأي ديغول صاحب شعار «الجزائر الجزائرية»!

انتهى نص الرد

هذا ولعله من الأجدر في ختام هذا الفصل، وقبل الشروع في تحديد المواقف وتشخيص العلاج الطبيعي (في الفصل اللاحق) لهذه المسألة - القضية (المفتعلة) أن أترك أحد أحرار الجزائر الذين يحرصون على حرية الوطن، ووحدة شعبه وازدهاره، في مناخه الطبيعي، الذي لم يخلق لغيره... وهو الأستاذ دحمان آيت يذير، في مقال منشور بجريدة الشعب بتاريخ 20 / 11 / 1989، تحت عنوان : «بربر يوبا الثاني وبربر طاكفاريناس»، جاء فيه ما نصه :

« قبل أن يستولي الوندال ثم البزنطيون على شمال إفريقيا، كان الرومان قد نصبوا بها أنفسهم سادة دون كبير عناء، وعلى الرغم من أن مدة إقامة هؤلاء الغزاة بهذه الديار تزيد على خمسة قرون، فإن الثورات التي سجلها التاريخ ضدهم تعد قليلة جداً، وزعماء البربر الذين فرضوا أسماءهم على تاريخ تلك الحقبة قليلون جدا أيضا.. ويحوز تقسيم هؤلاء الى فئتين اثنتين، فئة يمثلها يوبا الثاني الذي بهرته حضارة روما الى حد رضي بوصايتها على دولته والى مدى أصبح فيه يقلد الرومان في كل شيء، فتنازل وذووه عن الشخصية البربرية المتميزة.

أما الفئة الثانية فهي فئة تاكفاريناس التي ثارت في إباء وشهامة في وجه الجور الروماني البغيض، وتشبثت بما لديها من قيم وتقاليد.

وعندما حرر العرب البربر، فيما بعد، من الاستبداد البزنطي أسرعوا الى اعتناق الدين الذي ارتضاه الله للناس أجمعين، واختفى من أرض شمال إفريقيا بربر يوبا الثاني، وبقي بربر تاكفاريناس، وقد ازدادوا شرفا باعتناقهم الإسلام، فرفعوا هامهم بين الشعوب، وجعلهم جزءا من أمة واحدة تجمعها كلمة التوحيد، يذودون عنها، ويبذلون من أجلها الغالي والنفيس فظهر فيهم طارق بن زياد ويوسف بن تاشفين وزيري بن مناد، وغيرهم كثير...

وبعدما أصبحت شمال إفريقيا جزءا من دار الإسلام لم يشك أحد من البربر في انتمائه الحضاري الإسلامي، وبقي الأمر كذلك حتى أشهر الاستعمار الفرنسي في هذه الديار سلاح (فرق تسد) وأيقظ في القلوب النزعة الشعوبية، وقد دعمت الأنظمة الحاكمة، بعد الاستقلال، هذه النزعة بوقوفها غير المشرف، من الثنائي الذي لا يمكن أن تعرف هذه المنطقة الاستقرار من غير استتبابهما فيها وهما الدين الإسلامي واللغة العربية.

ونحن واعون الآن بأن العاقلين من البربر لا يمكن أن يصغوا الى دعوة الردة التي رفع رايتها مشبوهون يمثلون في حقيقة الأمر، رأس جسر للصليبية الجديدة، كما أننا واثقون بأن القيم الإسلامية التي تشبع بها الأحرار الخلص منهم ستبقى لديهم نامية مترعرعة الى أن يرث الله الأرض ومن فيها.

فلا ينبغي لأحد الآن أن ينساق وراء كل دعوة تفضي الى ظهور بربر يوبا الثاني من جديد...».

الفصل الثامن

خلاصة عامة تتضمن رأي المؤلف الذي يعكس الموقف الوطني من الاحتلال الفرنسي ودعاة النزعة البربرية حاضرا ومستقبلا

ادراكا من الأمة للأبعاد الخطيرة لدعاة النزعة البربرية (كأداة طيعة في يد الاستعمار الجديد) المدمرة للشخصية الوطنية والوحدة الوطنية للشعب الجزائري العربي المسلم، ودفاعا عن شروط استقلال الشخصية الوطنية الكفيل بدوام استقلال الجنسية الوطنية، والمحافظة عليها على امتداد العصور وتقلب الأحوال القابلة لكل احتمال... (راجع مقدمة هذا الكتاب).

وتمسكا بالأساس الجوهري لوحدة الأمة (دينها ولسانها)، وايمانا بالعلاقة الربانية الرابطة بين الإسلام واللغة العربية بكيفية لا تقبل أي تعارض أو أي انفصام. واقتناعا بأن أية محاولة لضرب دين الأمة هو ضرب للسانها، وكل ضرب للسانها هو ضرب مباشر لدينها، لكون لسانها هو عينه لسان دينها، وهذه نعمة من الله على الأمة، يجب المحافظة عليها لقوله تعالى: «وانّا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» (1).

(1) سورة الحجر، الآية: 9.

ونظرا لاستحالة الفصل بين سيادة اللسان وسياسة الإنسان لتجسيد التطابق في الواقع بين استقلال الجنسية واستقلال الشخصية الكاملة للأمة... يتعين اقرار المواقف التالية :

أولا : الرفض المطلق لكل محاولة تستهدف ترسيم أية لهجة وطنية لاعتمادها لغة رسمية جهويا أو وطنيا، لأن سيادة العَلَم الواحد فوق الادارة الوطنية لا تقابلها الا سيادة اللسان الرسمي الواحد داخل الادارة الوطنية.

ثانيا : الاقرار بأن سيادة اللغة الواحدة على الصعيد الرسمي والوطني لا يتعارض مطلقا مع تعايش اللهجات المختلفة التي تعتبر عامل اثراء للتراث الشعبي الوطني، الذي يختلف في خصوصياته الفرعية من ناحية الى أخرى، باختلاف الموقع الجغرافي و المناخي... دون أن يشكل ذلك الاختلاف الفرعي (في جوانب الفلكلور والثقافة المادية) أي خطر على الوحدة الوطنية، أو على الشخصية بأي حال من الأحوال، اذا التزمت الفروع الثقافية حدودها ولم تحاول أن تنقلب الى أصول متفجرة لكل تجانس ممكن، بين أطراف الأمة الواحدة ومؤسساتها الرسمية الجامعة.

ثالثا : عدم الخلط بين مشروعية استعمال اللهجات الوطنية المختلفة، والمتعددة (سواء كانت ذات الأصل العربي أو الأصل البربري) في الحياة اليومية للمواطنين.. والاستعمال الرسمي للغة الوطنية الوحيدة داخل التراب الوطني في اطار ممارسة السيادة للدولة المستقلة.

رابعا : التمييز بين امكانية ومشروعية دراسة اللهجات الوطنية (باللغة الوطنية) في اطار التخصص الجامعي في الأدب الشعبي، والتراث الشفاهي للأمة... وبين المطالبة والإصرارعلى احلال بعض أو كل اللهجات الوطنية محل اللغة الوطنية الفصحى، لتدريسها والتدريس بها، في المدارس والجامعات واستعمالها في المجال الرسمي كجزء من ممارسة السيادة (...) فبقدرما يكون الاحتمال الأول جائزا ومفيدا ومشروعا يكون الاحتمال الثاني مدمرا وقاتلا لروح الأمة الواحدة مع سبق الإصراروالترصد!!

مع العلم أن أية لهجة في العالم مهما تكن ضعيفة يمكن أن تصبح لغة مكتوبة، اذا اصطنعت لها حروف... ووقفت وراءها نعرات سياسية... كما أن أي لغة حية وقوية يمكن أن تضعف أو تزول من خريطة الحياة اذا لم تجد طريقها الى الاستعمال في الحياة الرسمية أو اليومية للناطقين بها، فاللغة في هذه الحالة بمثابة الظل للإنسان الناطق بها، ولا يعقل أن يستقيم الظل والعود أعوج على الإطلاق!!

خامسا : الرفض القاطع لأية محاولة داخل الأمة الواحدة لتحويل أية لغة مشافهة أو أية لهجة جهوية الى لغة مكتوبة ذات قواعد موضوعة بأية حروف كانت (عربية أو لاتينية) لأن الحروف كما وضعت يمكن أن تستبدل بحروف أخرى، بجرة قلم، وذلك لان اللغة (كما أسلفنا) هي منتوج بشري خاضع لإرادة الإنسان المتقلب بنواياه البناءة أو الهدامة على حد سواء (...).

سادسا : عدم فصل اللغة المكتوبة، في أية أمة، عن الشخصية الوطنية والوحدة الوطنية أو عن السياسة والسيادة... والخطر الذي يجب التنبيه اليه بالنسبة للذين لا يرون حرجا في مباركة ترسيم بعض اللهجات الوطنية الجزائرية، بالحروف العربية، بدلا من اللا تينية... فالخطر هنا يكمن أساسا في الترسيم، أي إعطاء طابع الشرعية الدستورية وشهادة ميلاد للغة الرسمية، وليس الخطر في شكل الحروف (اللاتيني أو العربي) الذي يظل قابلا للتغيير بمرسوم في أي وقت، بدليل ما وقع للحروف العربية في اصطنبول سنة 1933 حيث استبدلت بها الحروف اللاتينية (على غرار كل اللغات الأوروبية المكتوبة بالحروف اللاتينية في الوقت الحاضر..) والدليل الثاني الملموس لاحتمال اصطناع الحروف والقواعد أو تغييرها، لأية لغة مشافهة، أو أية لهجة من اللهجات في العالم، هو وضع اللغة الصومالية الحالية التي رسمت (منذ أقل من 20 سنة) بالحروف اللاتينية : وقبلها اللغة الفرنسية ذاتها التي كانت قبل خمسة قرون مجرد لهجة من لهجات فرنسا المتعددة، تحت سيادة اللغة اللاتينية الأم، فرسمت وحلت محل اللاتينية في الادارة الفرنسية، وفرضت شيئا فشيئا بقوة القانون على كافة انحاء التراب

الفرنسي وخاصة على يد (تاليران) بعد الثورة مباشرة، بهدف صنع الأمة الفرنسية والشخصية الفرنسية، والسيادة الفرنسية المنسوبة بالاسم، الى اللغة الفرنسية وحدها، كما سيأتي تفصيله في مكان لاحق..

سابعا : الرفض المطلق لأية محاولة لأي ترسيم لغوي بأي حرف، لاحتمال تغيير الحرف بحرف آخر بعد فترة زمنية محسوبة، مع ابقاء السابقة في تفتيت وحدة الأمة الى قوميات لاحصر، ولا نهاية لها، وحتى لا تتحول المعركة القائمة الآن بين اللغة الوطنية (العربية)، واللغة المحتلة (الفرنسية) الى معركة داخلية (لا نهاية لها) بين اللغة الوطنية واللغات الوليدة (والمستولدة) في المحاضن الفرنسية، لحساب سيادة اللغة الفرنسية وتأبيدها في البلاد، وهو سبب كل هذه التخطيطات الجهنمية منذ سنوات... والدليل على ذلك هو أن الاكاديمية (البربرية ـ الفرنسية) منذ إنشائها في باريس سنة 1967 وهي تنشط لنشر اللغة البربرية وإعداد الدروس بالمراسلة وارسالها بالمجان لطلبة بعض الثانويات الجزائرية... بحروف (تيفناغ) بحجة الأصالة (لاضفاء طابع الشرعية على هذه اللغة، بهدف إحيائها وترسيمها، كبديل مناهض للغة الوطنية، لغاية السابق ذكرها...) واليوم يلاحظ أنه بعد أقل من عشرين سنة فقط من تلقف (العملاء) الطعم ضد اللغة الوطنية،لصالح ما يسمى باللغة الأصلية للجزائريين أو بعض الجزائريين، بحروف (تيفناغ) يأتي نفس المنظرين (في هذه السنة 1989) للمطالبة بالتخلي عن الحروف (التارقية) واستبدالها بالحروف اللاتينية، والبرهان الناطق موجود في امتحان البكالوريا في فرنسا هذه السنة حيث خير الطلبة في بعض الشعب، بين اللغة العربية أو (اللغة البربرية) بالحروف اللاتينية!! و لدليل الثاني موجود في النسخة الفرنسية من جريدة «الجزائر الجمهورية» في عددها الأول الصادر في الجزائر يوم 1989/10/1، وكذلك العدد الأول من جريدة حزب «التجمع من أ جل الثقافة والديمقراطية» الصادرة في 1989/12/10.★

وهذه الخطوة التالية في التخطيط الفرنسي... ما كان لها أن تنجز قبل 20 سنة، ولم يحن أوان الافصاح عنها الا الآن! والهدف المكشوف من وراء ذلك هو اضفاء الطابع اللاتيني على جزء من الوطن العربي لفصله نهائيا ورسميا عن

★ لقد خصصت الصحيفتان بعض الصفحات فيهما لمقالات باللهجة القبائلية كتبت بحروف لاتينية (فرنسية!)

حضيرة الأمة، في انتظار الأجزاء الأخرى، مما يثبت النوايا غير البريئة وراء محاولة اصطناع أي وضع لغوي في الجزائر مخالف لما كان سائدا من تعايش طبيعي بين اللهجات (البربرية والعربية) على قدم المساواة أمام سيادة لغة القرآن منذ أن دخلت الأمة في الإسلام جماعيا قبل 14 قرنا من الزمان.

ثامنا : اعتبار اللهجات البربرية والعربية رافدا من روافد اثراء التراث الشعبي المنقول بالحروف العربية، على غرارما كان سائدا على امتداد التاريخ الحضاري المكتوب في الجزائر، حيث ظلت تكتب الأشعار الملحونة (العربية والبربرية) بالحروف العربية كما ينطقها الشاعر.. ومنها على سبيل المثال روائع الشاعر سي امحند أو محند، وكتاب «أعز ما يطلب» في الفقه المالكي الذي وضع في العصر الموحدي بغرض نقل المعنى الفقهي الى السامع باحدى اللهجات البربرية، في غياب الدراسة والدراية الكافية بالفصحى، أو الدارجة العربية، في المناطق الجبلية النائية عن المراكز الحضرية... وهذا تصرف مقبول ذو أغراض عملية، ومرحلية في ذلك الوقت، لا تشتم منه رائحة الانتحار الوطني الذاتي الواقع اليوم!

تاسعا : ان العدو المشترك بين جميع الوطنيين في الجزائر اليوم هو اللغة الفرنسية التي أحدثت الوضع الخطير الراهن، كثمرة مرة، من ثمار الاحتلال المباشر في غفلة أو تواطؤ من بعض أولياء الأمور (...).

وعليه فالولاء يجب أن يظل للغة الوطنية ضد اللغة الفرنسية وليس للفرنسية (التي يقال أنها أجنبية...) ضد اللغة الوطنية، بقطع النظر من اتقان الوطنيين لهذه اللغة أو تلك، بحكم حتمية الظروف المعروفة... والدليل على هذا الحكم هو أن جميع دعاة التمييز القومي (البربري) بكل اتجاهاتهم ونزعاتهم (اللاوطنية) لا يتفاهمون فيما بينهم الا باللغة الفرنسية، على حساب اللغة الوطنية (العامية على الأقل) والتي لا يجهلونها ويقرون، (ديماغوجيا) بأنها اللغة الوطنية، مما يجعل القضية قائمة ليس بين المعرب والمفرنس، ولكن بين الوطني الحقيقي، والوطني المزيف أو «البطني». واذا كانت المواطنة تكتسب بالحصول على الجنسية، فالوطنية لا تكتسب الا بالبذل والتضحية في سبيل دعم

أسس الوحدة الوطنية والشخصية الوطنية التي لا يمكن أن تقوم لها قائمة دون السيادة الكاملة للإسلام واللغة العربية. ولعل أفضل صورة بريئة لما يمكن أن يحل به أشكال اختلاف اللهجات باختلاف الجهات في الوطن... هو وضع اللغة العربية وقداستها في وادي ميزاب، ماضيا وحاضرا، حيث لا يوجد من الميزابيين من يتحدث بغير اللهجة الميزابية (البربرية) في البيت، وفي الحياة اليومية، مع أفراد العشيرة... وفي الوقت ذاته لا يوجد فرد من وادي ميزاب يتعامل بغير اللغة العربية (شفاهيا أوكتابيا) مع باقي المواطنين، من أفراد الأمة في كافة أنحاء الوطن وخارجه، ولا أدل على ذلك من أن أروع الأناشيد الوطنية الخالدة (فداء الجزائر... قسما...) تفجرت من قرائح أبناء ميزاب الذين عربهم الإسلام فرفعوا للعربية ذكرا وقدرا في الأنام، وفي أحلك أيام الظلام!

عاشوا : ان مصير الأمم لايقرر في كل حين، ومصير الجزائر قرر في المرة الأولى منذ دخول الإسلام واعتناقه الجماعي والطوعي من قبل السكان، وتبني لغة القرآن لسانا رسميا للأمة في شؤون الدين والدنيا، والعلم، والحضارة على امتداد القرون دون أي لسان سواه... وقد جدد هذا التقرير للمصير في هذا القرن نتيجة الكفاح المرير الذي أوجد اتفاقيات (ايفيان) التي خيِّر بموجبها، أبناء الجزائر، بكل حرية وديمقراطية، بين أن يكونوا فرنسيين مسلمين أو عربا مسلمين، فكانت النتيجة أن أكثر من 97.5٪ صوتوا لصالح استقلال الجنسية الجزائرية والشخصية العربية الإسلامية، ولم يمنع الذين لم يقبلوا بنتائج الاستفتاء (من الأهالي) من أن يحافظوا على جنسيتهم الفرنسية بالذهاب مع المحتل لخدمة العلم الفرنسي، ومجيء من كان قاطنا هناك للتمتع بالجنسية والشخصية الوطنية هنا في الجزائر، ولقد تم الفرز على هذا الأساس القانوني والمنطقي. الا أن الشيء الذي لا يقبله العقل، على الإطلاق، هو بقاء نسبة قليلة من الذين صوتوا بـ (لا) على الاستقلال الوطني ليظهروا في السنوات الأخيرة، بنوع من الطرح الجديد لتقرير المصير مرة أخرى، للمطالبة بارجاع الجزائر الفرنسية بقوة من النافذة اللغوية والثقافية : بعد أن أخرجت من الباب العسكرية والسياسية إلى غير رجعة في اعتقاد المفاوضين الوطنيين في (ايفيان).

والحقيقة أنه اذا أمكن للإنسان أن يكون مسلما فرنسيا، أو عربيا مسيحيا، فان ما لا يستقيم وضعه على الإطلاق، أن يكون الإنسان مسلما مسيحيا أو عربيا فرنسيا في نفس الوقت وهذا ما يريده بعض (المتجنسين من الكولون الجدد) في الوقت الحاضر! وهو من المستحيلات، والحل الوحيد والأمثل الذي لا محيد عنه، هو أنه مثلما طبق قانون السيادة الفرنسية على أبناء الجزائر الذين اختاروا الذهاب مع العدو للذوبان (الشخصاني) في كيانه اللغوي والحضاري... يطبق (وبدون أية مساومة على السيادة) قانون الجنسية وقانون الشخصية الثقافية والحضارية العربية الإسلامية، المنصوص عليها في اتفاقيات تقرير المصير الأخير [1] على كل من اختار البقاء، عن طواعية في الجزائر، واذا أمكن ممارسة التسامح في الدين باسم حرية الاعتقاد (التي ضمنها الدستور) فلا تسامح على الإطلاق في التمرد أو المساس بالسيادة اللغوية، لان اللغة كما رأينا هي عنوان الهوية وأساس الجنسية، وجوهر الشخصية الذي لا يقبل الازدواجية ولا اللاتكية على الإطلاق!!

حادي عشر : ان أول ما يجب أن تتضافر من أجله جهود كل الوطنيين، على غرار ما كان عليه الأمر أثناء الكفاح المسلح، هو العمل بجد وإخلاص من أجل استرجاع السيادة الوطنية من اللغة الفرنسية، بدلا من العمل على القضاء على هذه السيادة في المهد، قبل أن تتحقق... وان أية محاولة لعرقلة بسط هذه السيادة الوطنية (اللغوية) تحت أي شعار من الشعارات، هو عمل استعماري صرف، كما هو ثابت بالادلة.

ولقد كان من المفروض، لو توفر الحس الوطني، الذي كان سائدا اثناء الكفاح المسلح... هو العمل على توحيد اللهجات واللغات (حتى ولو كانت متعددة ومكتوبة) في لغة وطنية واحدة، للصمود تجاه العدو المشترك (سيادة اللغة الفرنسية)... بدلا من محاولة خلق أوضاع لغوية مصطنعة لصالح هذا العدو المشترك ذاته (كما سبق التفصيل) ولا يوجد حل آخر لتدارك هذا الوضع

(1) أنظر ابن يوسف بن خدة، اتفاقيات « ايفيان » ديوان المطبوعات الجامعية، 1987

قبل استفحاله، غير التمسك بصمام الأمان الوحيد المتمثل في بسط السيادة الوطنية باللغة الوطنية، كلغة وحيدة في الادارة والتعليم في كافة المراحل، وعبر كافة أنحاء الوطن، لتظل مثلما كانت قبل أن تعرف بلادنا الاحتلال الاستيطاني المدمر، وتبقى اللهجات المتداولة شفاهيا (عربية أو بربرية) متعايشة سلميا مع الفصحى ومساعدة لها، تأخذ منها المفردات العلمية والحضارية والثقافية الراقية، وتساعدها في التبليغ الشفاهي لدى الأوساط الأمية، مثلما كان الشأن على امتداد التاريخ الوطني العربي الإسلامي في الجزائر، وفي كافة الأقطار الشقيقة مشرقا ومغربا، ولا سيادة للغة الوطنية بدون روح وطنية ولا وطنية بدون سيادة كاملة للغة الوطنية في الوقت الحاضر كما هو الشأن لدى الأمم المعتبرة في العالم قديما وحديثا. ولا قيمة لاستقلال الجنسية لاية دولة دون استقلال كامل للشخصية مهما طال الزمن، وكل استقلال مرهون بقاؤه بالآخر، كما تعلمنا دروس التاريخ الناطق للأمم والشعوب الحية في كل زمان ومكان، ولعل سقوط «جدار برلين» أخيرا لأسطع برهان!! *.

ثاني عشر : ان اللغة الفصحى في أية أمة هي بمثابة الملكة التي لا تقبل التعدد، واللهجات أو اللغات الشعبية المحلية (أي غير المكتوبة) هي بمثابة الخادمات المساعدات للملكة في الأمور العادية اليومية (غير الرسمية) واذا أمكن أن تقوم الفصحى - عند الضرورة - بأعمال الخادمات، فانه لا يمكن للخادمات أن تنوب عن الملكة في المسائل الرسمية، لان الملكة واحدة، بينما الخادمات متعددات، يمكن أن تنوب الواحدة عن الاخرى دون أي ضرر أو اثر سلبي على حياة الدولة والأمة ومسيرتها الحضارية نحو الرقي والتقدم المضطرد، بينما لو تصبح الخادمات ملكات (!) فان أولى النتائج هو أن يصبح لكل ملكة شعب تحكمه أو تحكم به، وهذا هو معنى ترسيم الدارجات العربيات (وغير العربيات) في البلاد، والذي يعد انتحارا لوحدة أي شعب على وجه الأرض، وهو انتحار لصالح الاستعمار الفرنسي وحده في الجزائر، كما أكدنا ونؤكد دائما وأبدا دون ملل!

* أعد قراءة مقدمة الكتاب بتمعن مرة أخرى.

ثالث عشر: ان متطلبات تكوين الأمم وبقائها، هو العمل على ازالة عوامل التفرق، وتجميع عوامل الدعم والتحقق.. ومن هذا المنطلق كان لزاما على كل المواطنين من أبناء الأمة أن يعملوا على التضحية بالجزء من أجل الكل، ويجتهدوا في تجميع اللهجات المتفرقة في لغة وطنية واحدة. فضلا عن أن يتهاونوا في هذا الأمر الخطير ويغضوا الطرف عن تفتيت وحدة الأمة نحو لهجات ولغات متناحرة مع الزمن، ولعل أبرز مثال لدينا هو دولة العدو (الأول لأمتنا) التي لا تجمعها (من أصقاع العالم) سوى عقيدة واحدة كانت سببا في جعل كل اليهود المتعايشين في هذه الدولة، والذين كانوا ينتمون الى أكثر من 120 جنسية (أي 120 لغة وطنية) يتحدون ويندمجون بلغة واحدة، وفي ثقافة واحدة، هي اللغة العبرية، اللغة الرسمية والوطنية للدولة اليهودية المنبعثة من العدم، بقوة العقيدة، وقدرة القيادة، وفرض السيادة...

رابع عشر: ان مبدأ اللاتكية اذا كان معتمدا في الدين فانه لا يوجد بلد في العالم يعتمد لاتكية في اللغة، لان اللغة هي استعمال ضروري يومي لاغنى عنه على الإطلاق، كما أنه ملموس وغير قابل للتعويض الا بصنوه، أي بلغة أخرى، الى جانب أنه شامل لكل أبناء الوطن في كل حين. ومن هنا كانت ضرورة التمسك بسيادة اللغة الواحدة، ان وجدت وتوحيدها ان فقدت، لان في اللغة تكمن وحدة الوطن بالتكامل مع الدين، ان كان للدين علاقة باللغة مثل الإسلام والعربية في الجزائر، وهذا مبرر آخر إضافي للتأكيد على الدعم والتوحيد اللغوي.

خامس عشر: في الوقت الذي يفرض الإسلام نفسه في كل بقاع العالم، وينتشر تدريس لغة القرآن تبعا لذلك في كل الأقطار الإسلامية أو التي بها اقليات إسلامية، لا يعقل أن تتخلى عنها الجزائر المسلمة التي كانت سباقة الى هذه اللغة منذ فجر التاريخ الإسلامي على البشرية... وفضلا عن أن أسباب انتشار العربية في الجزائر المسلمة هي أقوى منه في البلدان الإسلامية الأخرى لعدة اعتبارات، (منها أن أية لغة غير العربية لايمكن أن تجمع الجزائريين في الوقت الحاضر، نظرا لعلاقة هذه اللغة بالعقيدة السائدة) ومثلما اجتمع الجزائريون في العقيدة المعتنقة يجتمعون نحو لغة هذه العقيدة، ومن ثم فان الوحدة الحقيقية

للأمة لا تكون الا بتوحيد لسانها بالعربية، بعد توحيد قلوب أفرادها بالإسلام، وان اي اعتراض أو عرقلة لهذا المسعى البنائي لوحدة الأمة، هو عمل هدام لوحدة الوطنية، لأنه لا وحدة وطنية حقيقية بدون وحدة لغوية ودينية على الإطلاق!

سادس عشر : ان الروح الوطنية الحقيقية تحتم على كل مدع للوطنية (وتعني هنا حب الوطن و التضحية في سبيله) ان يتقن اللغة الوطنية ويعمل على نشرها وسيادتها، ليس على الصعيد الوطني فحسب، وهو أمر واجب، وانما لاتخاذها وسيلة استراتيجية لمحاربة فرنسا في المعركة الحضارية القادمة المتمثلة في الهيمنة السياسية والثقافية والاقتصادية والتكتلات الإقليمية، وكم هي متاحة الفرصة للجزائر أن تتبنى استراتيجية التفتح نحو افريقيا الإسلامية (الفرنكوفونية والانجلوفونية) بالعربية، لغة القرآن المحايدة، التي كانت هي السائدة والسيدة وحدها، كلغة حضارة، قبل أن تعرف هذه القارة الاحتلال أو «الاستحلال» الصليبي في القرن الماضي، عن طريق البوابة الاستراتيجية مفتاح افريقيا في الخير والشر . الجزائر... هذه هي الخطة التي يجب أن تتبنى ممن يدعي الوطنية، بدلا من أن يصبح مطية لنشر الهيمنة الحضارية الفرنسية على الاشقاء في افريقيا، كما هو حاصل اليوم بكل أسف شديد!!

سابع عشر: ان عدم البت القاطع في مسألة التحرر اللغوي للأمة بتوحيد وتعليم واستعمال اللغة العربية استعمالا حقيقيا وشاملا... سيعوق اعاقة مباشرة وخطيرة تكوين وارساء دعائم الأمة القوية، المتجانسة العناصر، المستهدف تكوينها، على غرار الأمم القوية المعاصرة كالأمة اليابانية أو الكورية أو الألمانية أو الصينية، ذات التقاليد العريقة والتكنولوجية المتقدمة دون أدنى تعارض بين سيادة لغاتها المعقدة وعلمها المتقدم في جميع المجالات من جهة، واتقان اللغات الأجنبية لدى الخاصة من أفرادها للأغراض الحضارية والعلمية المتعلقة بالترجمة والانفتاح الثقافي والحضاري على العالم المتقدم من جهة أخرى، في اطار حكيم من تحقيق التوازن بين الأصالة الحضارية والانفتاح البناء الذي لا يعني على الإطلاق الذوبان في شخصيات وحضارات أخرى، وان الأمم الشخصيات مابقيت

فان هم ذهبت شخصياتهم ذابوا! وأمريكا ليست بالضرورة ذات شخصية مطابقة لإنجليترا ونفس الشيء يقال على كوبا واسبانيا، والبرازيل والبرتغال...

ثامن عشر: لقد كانت حجة «الجنرال دوقول» ضد الثورة على فرنسا وضد الاستقلال الوطني... ان الجزائر على مر التاريخ ما هي الا عبارة عن مجموعة من القبائل المتناحرة ولم تكن أمة في وقت من الأوقات، وكانت الحجة القوية لدى المفاوض الوطني هي أن الجزائر كانت أمة متكاملة المقومات (دينا ولغة) منذ قرون، أي قبل أن توجد الأمة الفرنسية ذاتها، وكانت العربية (اللغة الوطنية) رمز الأمة المتميزة عن فرنسا (المحتلة)، تدرّس تحت القنابل، وفي السجون والمعتقلات، للبرهنة على التمايز القومي عن فرنسا، ولم يطالب حينئذ أحد بتدريس البربرية في الجبال ولا في السجون، وذلك للبرهنة لديقول بأن الجزائر أمة واحدة، وليست اشتاتا من الشعوب اللامتجانسة في العرق أو الدين أو اللغة، (كما كان يدعي هو وعملاؤه من الكلون والخونة) وكان الاستقلال بفضل هذا الوعي المتقدم لدى المجاهد المفاوض الوطني... واليوم يأتي بعض الخلف ليحاول التصدق بالاستقلال والوحدة الوطنية على فرنسا بالذات، عندما يطالب بتدريس أحدى اللهجات (البربرية) في المدارس والجامعات وفرضها في الادارة الوطنية في بعض مناطق البلاد *، فلماذا لم يطالب بهذه السيادة أثناء الثورة التحريرية وقبلها؟ فاذا قيل بأن هذا المطلب قد تغاضى عنه بعضهم بحكم ضرورة الاتحاد ضد العدو لافتكاك الاستقلال من الاحتلال... نقول: وهل العدو القديم والمتجدد قد ترك السلاح ضد تفتيت الوحدة الوطنية اليوم، لتأبيد سيادة لغته وثقافته، وبالتالي سياسته في البلاد، لاجهاض استقلال الجنسية باحتلال الشخصية، أو جزء منها على الأقل، فلماذا لا يبقى نفس المنطق الاستقلالي سائدا للإبقاء على وحدة الأمة لدى كل من يدعي حب الوطن والوطنية... فلماذا لا يقبل العربية كموحد للأمة، مثلما يدعي أنه قبل الإسلام بدلا من اليهودية والمسيحية اللتين كانتا سائدتين قبل الإسلام؟؟ فلماذا نقبل الإسلام بدل المسيحية، ونرفض العربية بدل الفرنسية باسم التميز؟! تميز مَنْ عن مَنْ، أم عن

* راجع الملاحق «توصيات ملتقى ايمكورن 1980».

ماذا؟ عن الاسلام أم عن العربية؟ وهل يمكن الفصل العملي والعلمي في الجزائر بين الإسلام والعربية أو بين المسلم والعربي؟؟ (راجع الفصل السابق).

والحقيقة أنه اذا كانت المواطنة بالجنسية فالوطنية لا تكون الا بالتضحية، والباب يبقى مفتوحا لمن يدعي الوطنية أن يضحي بنزواته الشخصية من أجل أهم مقوم لبقاء الوحدة الوطنية التي ضحى في سبيلها الوطنيون بالأرواح والشرف والعرض، ويبخل عليها «الادعياء» بمجرد التخلي عن المطالبة بشيء لن يتحقق الا على حساب الوحدة الوطنية ولصالح العدو ذاته، وهو عمل بمثابة قتل للشهداء مرتين على أيدي نفس الجلادين!!

التاسع عشر: ان مفاوضات «ايفيان» التي توجت باعتراف فرنسا باستقلال الجزائر سنة 1962 كما هو معلوم كانت متسامحة في بعض الأمور (غير الجوهرية)، إلا أنها كانت متصلبة أشد التصلب في التشديد على نقطتين جوهريتين، هما: الاستقلال الوطني والوحدة الوطنية (الشعبية والترابية) وهذا ما يحتم على الجيل الوصي على الاستقلال اليوم، ان يتمسك أكثر بالوحدة اللغوية والدينية لأنها هي أساس التجانس الثقافي*، وبالتالي بقاء الوحدة الوطنية الحقيقية للأمة، وهي غير الوحدة المصطنعة على الورق والمفروضة بحد السلاح، على أفراد مشتتي الولاء، وغير شاعرين بالانتماء الى أمة واحدة...

واذا كانت الحكومة المؤقتة في مفاوضات الاستقلال متشددة في رفضها المطلق لعرض المفاوض الفرنسي عليها، بقاء مليون كولوني في الجزائر مع محافظتهم على نظام متميز (في الثقافة واللغة والجنسية المزدوجة) ادراكا منها لما تشكله هذه (القنبلة الموقوتة) من خطر على مستقبل وحدة الأمة المتجانسة (لغة ودينا) حيث تصبح هذه الأقلية الفرنسية فتيلا دائم الاشتعال، يخول لفرنسا التدخل في كل حين لانقاذهم، وتكون الجزائر بذلك لبنانا ثانية، أو كندا أو قبرص أو... واذا كانت الحكومة الجزائرية (المؤقتة) تحت الضغط الاستعماري، قد رفضت هذه المسألة رفضا قاطعا، لكونها عاملا من شأنه - لوتحقق - أن يعيد

---

* نقصد هنا مايصطلح عليه علميا بالعموميات الجوهرية الثابتة وليس الفلكلور والتراث الشعبي الشفهي التي يختلف من جهة الى أخرى داخل الوطن، انظر كتابنا سمات الشخصية الجزائرية، المؤسسة الوطنية (الجزائرية) للكتاب 1989.

الاستعمار من النافذة بعد أن أخرج من الباب، فكيف يعقل أن تقبل الحكومة ((المستقلة وذات السيادة)) أن يجعل من الجزائر بعد ربع قرن من الاستقلال (السياسي) لبنانا ثانيا، أو سودانا ثانيا، وبارادة أبنائها، جهلا أو تجاهلا، بأن التعدد اللغوي المنشود هو تحطيم للوحدة الوطنية مع سبق الإصرار والترصد، ولذلك فإن أبناء الأمة الحقيقيين يناهضون بدون هوادة هذا الاتجاه الخطير، ولو كان هذا الاختلاق موجودا بالفعل لعملت الأمة بابنائها الحقيقيين على ازالته نحو التوحد مثلما تعمل الأمم الجديرة بالبقاء في التاريخ، مثل فرنسا ذاتها التي وحدت لهجات متعددة في لغة واحدة (كما سنرى بعد حين) . وطالما ان هذا العامل المفرق غير موجود الى حد الان، ومن حسن الحظ فانها والحالة هذه ترفض رفضا قاطعا ومبدئيا أي حركة لإيجاده، تحت أي ستار كان، وفي سبيل محاربة هذا التوجه الانحرافي الخطير يحق كل جهاد وطني متواصل. فلو افترضنا -جدلا- أن اللهجات المحلية (العربية أو البربرية) انتصرت على لغة القرآن (الوطنية والرسمية) في الجزائر والبلاد المغربية عموما... فهل المشكلة ستحل؟ الا تتنازع الجزائر أو تونس أو ليبيا أو المغرب أو موريتانيا مثلا عدة عاميات، فأية واحدة منها ستفصح وترسم؟ واذا افترضنا أنه وقع الاتفاق على واحدة ولتكن أقواهن انتشارا، فمن يضمن لنا أن هذه اللهجة (المصطنعة والمرسمة) لا تتفرع هي الأخرى الى لهجات، مع مر الزمن (؟؟؟) ويصبح كل من يتحدث بفرع منها يطالب بقومية مستقلة بذاتها، ودولة ذات سيادة، مثلما يحدث للأقطار العربية في الوقت الحاضر، واذا كان لابد من وقف التقسيم اللغوي اللامتناهي الذي يفضي بالقطر الواحد الى التمزق القومي تفاديا لزوال شخصية الدولة ذات الشعب الواحد (كالجزائر أو المغرب أو السودان، أو ليبيا، أو تونس، أو موريتانيا) أفلا يكون من المنطقي أن نوقف هذا التقسيم من الأساس، نوقفه عند المستوى القومي (العربي) قبل أن يصل الى المستوى القطري الضيق، بمعنى أن نحافظ على اللغة العربية الفصحى ونقويها في أقطارنا كلغة مشتركة، فوق لهجاتنا المتباينة، لينحصر الصراع بين الفصحى والعاميات (والتي تكون الغلبة فيه للفصحى اذا وقفنا بجانبها ودعمناها بالتعريب) بدلا من أن ينتقل ذلك التطاحن الى داخل اقطارنا الضيقة ليشتد على رؤوسنا بين اللهجات المحلية ويحطم وحدتنا الوطنية

لحساب لغة المحتل ذاتها ولو فرضنا أن اللهجات العربية أو البربرية قد استقلت عن الفصحى وترسمت في اقطارنا الحالية، فهل يكف منظرو الاستعمار (الفكري) الجديد، عن الدعوة الى ترك تلك اللغات الضيقة الوليدة التي لا تساير التطور الحضاري الصاروخي... لتبني لغتهم (الحية) التي يوحون لنا بأنها هي وحدها التي تكفل لنا التقدم والتحضر.. وبذلك يتم هضمنا حضاريا وثقافيا، بعد أن فشلوا في قتلنا سياسيا، وابتلاعنا اقتصاديا، لماذا لا ننظر الى تاريخ تلك الأمم، (الاستعمارية ذاتها) التي تحافظ على عناصر هويتها في أوطانها كيف تعمل على تفادي التقسيم اللغوي، وتدعو الى التوحيد بخلق وفرض اللغة المشتركة العمومية، من أشتات من اللهجات المحلية في أقطارها...

فلنأخذ تاريخ الأمة الفرنسية التي يتخذها بعض المثقفين (من دعاة العصرنة) عندنا قدوة يحتذى بها في كل ما تقول، وليس في كل ما تفعل، مع أن الفرق بين ما يقدمه المحتلون لغيرهم من نصائح، وما يفعلونه في غالب الأحيان مع أنفسهم (وهذا شأن كل الغزاة) هو الفرق بين الموت والحياة!!

فلنأخذ العبرة والدرس المفيد في هذه المسألة الحيوية، «والمصيرية» من الأمة الفرنسية ذاتها في بلادها أو على رقعتها الجغرافية، في الماضي أو الحاضر. فبالنسبة للماضي الفرنسي القريب يقسم علماء اللغة اللهجات الرومانية الكثيرة التي كانت سائدة في المجتمع الفرنسي في عهد اللغة اللاتينية المندثرة (...) أي قبل أن تصبح لفرنسا الحالية لغة مشتركة قومية وقوية، تخطت الحدود الى ما وراء البحار لتفرض على مجتمعاتنا الأفريقية (المذبذبة الشخصية) بشتى الوسائل والطرق المتاحة للمستعمرين الفرنسيين (...) يقسمونها الى قسمين رئيسيين هما : اللهجات الشمالية واللهجات الجنوبية، ويطلق على المجموعة الأولى اسم (لهجات الأويل) ويطلق على المجموعة الثانية إسم (لهجات الاوك)، واللغة الفرنسية الحالية تمثل أرقى الدرجات التي وصلت اليها لهجات (الأويل) الشمالية، والبروفانسية الجنوبية تمثل أرقى الدرجات التي وصلت اليها لهجات (الاوك) الجنوبية، والفرق بين الاثنين كبير جدا كما نعلم، حيث أن الاختلاف بينهما يصل الى مستوى الاختلاف الموجود حاليا بين اللغة الإسبانية واللغة الإيطالية كما يقول العالم اللغوي الفرنسي الشهير (أنطوان مييه) ومن

الطبيعي أن هذا الفرق لا يترك مجالا للتخاطب والتفاهم بين اللغتين دون دراسة خاصة أو ترجمان!!

ويعود هذا الاختلاف الشاسع بين القسمين الى مدى تأثير كل من اللغة اللاتينية في الجنوب والجرمانية في الشمال الفرنسي. فاللهجة العامية التي انحدرت منها اللغة الفرنسية الحالية التي تمثل ضواحي العاصمة البارسية في الوقت الحاضر، والتي تعرف باسم جزيرة فرنسا قد تطورت وانتشرت فيما بعد نتيجة عوامل التوحيد اللغوي (الآنفة الذكر) ومن جملة الأسباب والعوامل أن المنطقة المذكورة كانت مهدا للاسرة التي أسست المملكة الفرنسية، ولذلك اكتسبت لهجاتها مكانة سياسية خاصة، مكنتها من التغلب شيئا فشيئا على اللهجات الأخرى تبعا لتوسع نطاق حكم الأسرة المذكورة.

فكلما دخلت مقاطعة من المقاطعات تحت حكم المملكة الفرنسية كانت تدخل في الوقت ذاته تحت تأثير اللغة الفرنسية، وكانت بهذه الكيفية تتغلب على اللهجات المحلية أولا في المدن، ثم باقي المناطق الريفية تدريجيا..

وقد تم انتشار اللغة الفرنسية في مناطق لهجات (الأويل) قبل مناطق لهجات (الأوك) وذلك لان التوحيد السياسي والاداري في المناطق الشمالية كان أسبق من المناطق الجنوبية التي لم تنضو تحت المملكة في توحد الجنوب مع الشمال، اذ بقيت لهجات الجنوب مصونة من سيطرة اللغة الفرنسية، مدة أطول، مما جعل آثارها متبقية الى الآن، عكس مناطق الشمال التي تفرنست في وقت مبكر، فضلا عن أن لهجات (الأويل) كانت أقرب الى الفرنسية الحالية من لهجات (الأوك) مما مكن للأولى أن تلتحم باللغة الفرنسية، قبل الثانية التي وجد الناطقون بها صعوبة في التكيف السريع مع اللغة الفرنسية، التي تختلف كثيرا عن لهجاتهم المحلية (...).

وقد كان للأدب المكتوب باللغة الفرنسية دور كبير في انتشار هذه اللغة الى جانب العوامل السياسية المذكورة... فمع مطلع عصر النهضة الفرنسية في القرن السادس عشر عرفت المملكة الفرنسية حركة أدبية وفكرية قوية على أيدي

أمثال ديكارت (الذي يعتبر أول من كتب آثاره الفلسفية والأدبية باللغة الفرنسية) وروسو وباسكال، وغيرهم من الذين الفوا مجموعة من الاثار الأدبية والفكرية الخالدة باللغة الفرنسية، مما مكن اللغة الفرنسية – نتيجة لذلك – من أن تكتسب مكانة مرموقة بين جميع الفرنسيين، واخذت في التغلغل لدى عامة الناس، والمثقفين بصفة خاصة، ومن ثمة في طرد اللهجات وتضييق الخناق عليها لتحل مكانها كلغة فكر وأدب وثقافة الواحدة بعد الأخرى، وهو نفس ما حدث من قبل للغة العربية بعد انطلاق عملية التعريب في المناطق التي شملتها الفتوحات الإسلامية الأولى في المشرق والمغرب العربيين..

الا أن ما يجدر ذكره على الخصوص هنا هو أن تلك اللهجات الفرنسية المختلفة لم تنقرض نهائيا من الواقع الفرنسي نتيجة الحركة الفكرية والأدبية المذكورة.. بل ظلت مخلفاتها محصورة في بعض المناطق الريفية (كما هو شأن البربرية في بلدان شمال افريقيا..) كما عبر عن ذلك الإمام عبد الحميد ابن باديس في مقاله الشهير (كيف صارت الجزائر عربية) حيث قال «وهذه الحقيقة (أي وجود لهجات محلية من مخلفات الماضي في أرياف فرنسا) يتعامى عنها الغلاة المتعصبون، ويحاولون بوجود اللغة البربرية في بعض الجهات وجودا محليا، وجهل عدد قليل جدا بالعربية في رؤوس الجبال أن يشككوا في الوحدة العربية للأمة الجزائرية التي كونتها القرون وشيدتها الأجيال» [1] وذلك ما استدعى اهتمام رجال الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر وجعلهم يتدبرون الأمر لإيجاد الحلول الجذرية لها، تفاديا لأبعادها المستقبلة على وحدة الأمة الفرنسية السياسية والثقافية، والاجتماعية (..) وكان مما قدمه أحد المهتمين بهذا الموضوع الى مجلس الثورة الفرنسية سنة 1790 تقريرا جاء فيه «اننا نستطيع أن نؤكد –دون مغالاة – بأن نحو ستة ملايين من الفرنسيين – ولا سيما في الأرياف – لا يعرفون شيئا عن اللغة القومية وعددا لا يقل عن ذلك – اذا عرفوا شيئا منها – فانهم لا يستطيعون أن يواصلوا التحدث بها، والذين يحسنون التحدث بها

(1) نقلا عن كتاب، التعليم القومي والشخصية الوطنية للدكتور رابح تركي، الجزائر 1975 ص. 52 .

بفصاحة لا يتجاوزون الثلاثة ملايين، وأما الذين يستطيعون متابعتها على وجه الصحة فهم أقل من ذلك أيضا.. ويضيف التقرير الذي قدمه أحد رجال الثورة البارزين قوله : أن مبدأ المساواة الذي أقرته الثورة يقضي بفتح باب التوظف أمام جميع المواطنين بدون تمييز، ولكن تسليم زمام الادارة الى أشخاص لا يحسنون اللغة القومية، يؤدي الى محاذير كبيرة (...) وحيث أن ترك هؤلاء الجاهلين للغة القومية خارج ميادين الحكم والادارة يخالف مبدأ المساواة الذي تؤكد عليه الثورة... فيترتب عليها - والحالة هذه - ان تعالج المشكلة معالجة جدية، وذلك بمحاربة اللهجات المحلية ونشر اللغة الفرنسية الفصيحة بين جميع المواطنين [1].»

وانطلاقا من هذا الاعتبار أخذ رجال الثورة الفرنسية - وعلى رأسهم «تاليران» - ينظرون الى اللهجات المحلية على أنها مخلفات من عهود الاقطاع، وقالوا بوجوب محاربتها من هذه الوجهة أيضا، مع العلم أن المقاطعات الفرنسية كانت تتمتع - الى عهد الثورة - بامتيازات كثيرة ومتنوعة وذلك حسب الظروف الخاصة التي كانت قد أحاطت بانضمام كل واحدة الى المملكة الفرنسية في تواريخ مختلفة، كما سبق الذكر وقد رأى رجال الثورة ضرورة ازالة تلك الامتيازات لدعم وحدة البلاد السياسية وتحقيق الترابط الفكري والثقافي وتعضيد اللحمة الاجتماعية، وبناء على ذلك اجمع ممثلو المقاطعات الفرنسية بعد الثورة، واعلنوا تنازلهم عن جميع الحقوق والامتيازات الباقية، من نظام الإقطاع، وسارع رجال الثورة بعد ذلك الى تغيير التقسيمات الادارية تقسيما جوهريا وتنسيقها بما يتفق مع الوضع الثوري الجديد..

غير أن اللهجات لا يمكن أن تزال بين عشية وضحاها بقرارات تتخذها الحكومة أو بيانات تصدرها المجالس التمثيلية مثل التي الغت الامتيازات المحلية، بل أن زوال اللهجات أو توحيدها (كما مر بنا في مكان سابق) يتطلب عملا متواصلا وتخطيطا دقيقا محكما ينفذ بصرامة، وقد يستمر عدة أجيال بحسب الظروف والإمكانات، ولذلك دعا مجلس الثورة الفرنسية جميع الناس الى الاهتمام بهذا الأمر، أي الاعتناء باللغة القومية المشتركة الى درجة التقديس

---

(1) عن مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق نيسان 1957 .

والتخلي أو الترفع بها عن اللهجات المحلية الضيقة.. ومن ذلك ما جاء في بيان لقيادة الثورة في شهر افريل من السنة الثانية لتاريخ الثورة حيث يقول (أيها المواطنون فليدع كل منكم الى تسابق مقدس للقضاء على اللهجات في جميع أقطار فرنسا، لان تلك اللهجات انما هي من بقايا عهود الاقطاع والاستعباد..» [1]).

وهكذا أخذت الثورة تستحث الشعب ومختلف الدوائر الحكومية والتعليمية والهيئات العلمية على بذل الجهود المكثفة والجادة لنشر اللغة الفرنسية الفصيحة وتحقيق الفرنسة الكاملة لابناء الأمة الفرنسية، وفي هذا المعنى يقول ساطع الحصري «عندما اقرت الثورة الفرنسية (مبدأ التعليم الالزامي العام) رأى رجال الفكر أن تكون مكافحة اللهجات المحلية والعامية من جملة الأهداف التي يرمي اليها التعليم بوجه عام» [2].

هذا بالنسبة لفرنسا في الماضي أما في الحاضر، فيكفي أن يلاحظ كل ذي عقل (غير محتل) أن الصراع الحزبي لعقائدي والسياسي قد يحتد ويصرخ ويزبد، حول العديد من المسائل المتعلقة بالمهاجرين (المغاربة) أو المسلمين الأفارقة بصفة عامة، أو عن قبول أو رفض اللباس الإسلامي، أو فرض (اللباس) اللائكي العلماني، على الطالبات المسلمات (الفرنسيات وغير الفرنسيات) فينتصر ذاك لهذا وينتصر هذا لذلك، ويحدث الخلاف بين لوبان وديستان وشراك ومتران... وفي الحين نفسه، رغم العداوة الظاهرة، نجدهم صفا واحدا بالنسبة لتدمير لبنان، وبالنسبة لسيادة اللغة الفرنسية داخل الوطن الفرنسي، وفي سائر بلدان السودان ومالي والنيجر والسينغال وأزمة الخليج... وحول هذا نورد النصوص الصريحة الموحدة لأبناء الأمة الفرنسية تحت لواء اللغة الفرنسية..

فهذا تصريح لميشال دوبري، (رئيس وزراء سابق في حكومة دوقول) في خطابه أمام مجمع الخالدين في بلده، على أثر اختياره عضوا عاملا فيه؟ حيث يقول :

---

(1) نفس المرجع السابق ذكره .

(2) آراء وأحاديث في اللغة والأدب، دار العلم للملايين بيروت 1958 . ص 72 - 73

« يجب أن نعلم أنه لكي تبقى فرنسا في المرتبة الأولى على الصعيد الأوروبي واتحاد الشعوب الحرة، خاصة في الوضع الراهن العالمي الذي يتسم بوضع حربي، أن الشعب الذي يعول على نفسه في بناء ذاته لا يمكن أن يقوم بهذا العمل شعب آخر في مكانه، ولايتأتى هذا الا بالتخطيط للمستقبل.

ان القوة الرادعة ليست فوق امكانياتنا المالية، والفرنسيون قادرون على رفع اقتصادهم الى المستوى الضروري الذي يؤهلهم الى احتلال مكانة مرموقة على المستوى الأوربي والعالمي :

أن التعاون الدولي في ميدان البحث في المرحلة الأولى يتطلب سياسة وطنية كبيرة في الميدان العلمي والانخفاض الملحوظ في مواليدنا لا يعتبر مصيبة، لأن وجود سياسة عائلية تحظى بالأولوية تستطيع أن تضمن لنا الحصول على نسبة كبيرة من الشباب الذي هو الشرط الأول لبقائنا.

... وعلاوة على ماسبق، فانه يجب تذكيركم أيها السادة بأهمية مسؤولياتكم تجاه اللغة والثقافة لأن ثقافة فرنسا ولغتها هي تعبير عن وجدانها.

وفي هذا المضمار، ساهمت الأكاديمية في ميدان اللغة الفرنسية بفضل مؤسسها على المحافظة على وحدة البلد، وفي القرن الثامن عشر سمحت مهمتكم في خدمة اللغة الفرنسية على بسط نفوذ فرنسا، أما في القرن التاسع عشر فان لغتنا قد أخذت مكانتها بين اللغات العالمية.

أما في القرن الحالي فقد أعيد النظر في نفوذها وللأسف، ويمكن إعادة النظر حتى في وحدتنا في القرن المقبل، الأمر الذي يجعل دراساتكم تحظى بالأهمية القصوى.

لقد هوجمت اللغة الفرنسية من قبل لغات أجنبية، لا تكمن قوتها في نوعيتها الجوهرية، بل في عدد الأفراد الذين يتكلمونها، ويجب أن تفرض (الفرنسية) على اللغات «الجهوية» حتى لا تكون ترقيتها في بعض الأحيان اصطناعية تعبر عن تفكك سياسي؛ ولهذا فالفرنسية تواجه جبهتين، وعليه فان مهمة الأكاديمية محددة الاتجاه.. أولا : ضمان نوعية اللغة الفرنسية والتذكير

بمتطلبات الإملاء، والنحو، ثم جعل وحدة اللغة تخدم نوعية الثقافة وأخيرا تشجيع استعمال لغتنا ومساندة من يفعل ذلك من الأقطار الأخرى.

فليكن زميلنا الرئيس (ليوبولد سيدار سينغور) وأميننا الدائم (موريس دريون) مشكورين على عنادهما لتأكيد الفرنكفونية، التي ستكون مهمة أساسية لكل حكومة، كما أثبتته الوزارة التي يديرها زميلنا (آلان ديكو)، ولكونها تعبيرا عن وحدتنا ونفوذنا وباختصار عن سيادتنا، إذ تدعونا الى معركة كبيرة، حيث وصف (كليمنصو) اللغة الفرنسية بلغة «الوضوح» لغة «العدالة» لغة «الصداقة» ولغة «الحرية» [1].

ومن أوجه هذا الصراع الحاد الدائر بين الأمبراطوريتين اللغويتين (الانجليزية والفرنسية) في الوقت الحاضر الضجة القائمة في فرنسا حول معهد (باستور) لاعتماده اللغة الانجليزية كلغة بحث دون الفرنسية... ورد في مقال بجريدة الشعب الجزائرية الصادرة بتاريخ 1989/5/18 مانصه «نقلت إلينا وكالات الأنباء منذ مدة خبرا مقتضبا مفاده : ان ادارة «معهد باستور» هذه القلعة العلمية الفرنسية ذات الشهرة العالميـة قررت أن تصدر حولياتها باللغة الانجليزية ولم يمر الخبر كما تمر بقية الأخبار الاخرى! - ان الموضوع حيوي ويمس السيادة الوطنية الفرنسية - فقد ثارت ثائرة العلماء والكتاب والصحفيين والسياسيين واعتبر الجميع هذا العمل خطيرا ولا ينبغي السكوت عنه - فقد شارك الاعلام الفرنسي في خوض هذه المعركة بمختلف وسائله - فهذه المجلة «جورد وفرانس» تكتب على غلافها وبعنوان بارز «اللغة الفرنسية في خطر»!! - (الجرثومة الانغلوفونية في «معهد باستور»!! - يا للفضيحة!! - بين عشية وضحاها أصبحت عناوين الحوليات السنوية للمعهد باستو ر des annales de l'institut pasteur تحمل اسما بالانجليزية أنها فضيحة - كما قال أحد الكتاب وينبغي علينا الدفاع عن اللغة الفرنسية المهددة في عقر دارها ومن طرف أبنائها!! - ان الموضوع لا يزال يتفاعل في فرنسا - فقد أقام رجال العلم والمعرفة والسياسة ولم يقعدهم بعد!!

(1) جريدة لوموند الصادرة بتاريخ 1989/1/23 .

فقد قال قائل من هؤلاء الكتاب : كيف تسمح ادارة المعهد لنفسها بأن تصدر حولياتها باللغة الانجليزية فقط، علما بأن 58٪ من المقالات والمواد التي احتوتها حوليات المعهد سنة 1987 جاءت من البلدان الفرانكوفونية!! ومع ذلك نجد أن 84٪ من هذه المواد وتلك المقالات أعيد تحريرها ونشرها باللغة الانجليزية أو بلغة شكسبير كما قال أحد الكتاب!! »

ويضيف المقال : «أما رئيس تحرير الجريدة الطبية اليومية وعضو لجنة الدفاع عن اللغة الفرنسية ويدعى (ليليان لا بلان مونتي) فقال : بأن ما أقدم عليه معهد باستور من تبني اللغة الانجليزية في منشوراته وأبحاثه العلمية – بأنه عمل خطير، ويمس بالسمعة الوطنية لفرنسا وبهيبتها، فمعهد باستور له شهرة عالمية وهذا مادفع الأكاديمية لطبية أن تشجب هي الأخرى بعنف هذا الموقف، وقد أبدت أسفها العميق لتصرفات المسؤولين في المعهد، ونحن ننتظر موقفا يتسم بالحيوية والفعالية، من جميع السلطات المعنية ومن منظمات علمية أخرى، وليعبر هؤلاء جميعا عن ارادتهم في الابقاء على حضور اللغة الفرنسية في العالم، قد يمكن اعتبار هذا الحدث حدثا رمزيا، ولكن الذي يدعونا الى اتخاذ موقف فعال ازاء هذا هو ما نلاحظه من تطورات في الساحة الدولية، حيث أصبحت اللغة الفرنسية تختفي تدريجيا من المنابر الدولية، بل أصبحت الفرنسية تختفي تدريجيا من عدة ميادين بما في ذلك القانون، والديبلوماسية، وقد سيطرت لغة واحدة على الساحة!! واذا نحن تصرفنا على غرار تصرفات معهد باستور فاننا نعطي انطباعا يوحي باننا استسلمنا وتخلينا عن تراثنا الثقافي وينبغي علينا في الأخير الوقوف في وجه المد الانجلوفوني!!

وقال كاتب آخر مناشدا الغيورين من بني جلدته من علماء ومفكرين أن ينظموا مظاهرة احتجاج أمام أبواب معهد باستور، هذا المعهد الذي نعتقد أن مخصصاته المالية ومساعداته المادية تأتيه من طرف الفرنسيين – فأنا في قضية اللغة لا يختلف موقفي مع موقف (شامفور) القائل : «ان اللغة هي الوطن فلنكن مع الوطن»، وفي الأخير طالب هذا الكاتب جميع المستشارين الثقافيين بالغاء اشتراكاتهم مع هذا المعهد تأديبا له على مواقفه المعادية للغة بلزاك » [1].

---

(1) جريدة الشعب، نفس المرجع السابق ذكره .

عشرون : وهكذا في المقابل، فان اللغة العربية الفصحى التي هي اللغة الوطنية والرسمية في الجزائر منذ الفتح الإسلامي، وقد حلت محل اللغة اللاتينية في الادارة والتعليم كما هو معلوم، وهي موجودة في البلاد ومتعايشة بكيفية تكاملية مع اللهجات العربية المتفرعة عنها بنفس الكيفية التي تتعايش وتتكامل بها مع اللهجات البربرية التي وجدتها متداولة في البلاد منذ ذلك التاريخ. أما اللغة البربرية (الأصل) فهي مضمحلة اضمحلالا كليا في البلاد، ان على مستوى التراث المكتوب أو التداول الشفهي اليومي... ولم يبق في الجزائر اليوم الا اللهجات المتفرعة عنها منذ قرون، والتي يبلغ عددها في الجزائر وحدها ما يفوق العشر لهجات وهي متفرقة عبر كافة أرجاء الوطن، مما يجعل هذه اللهجات في وضعية (من حيث هي لهجات عامية) أشبه ماتكون باللهجات العامية العربية السابقة الذكر، مع الفرق أن اللهجات العربية لها مصدرها ومورودها الذي تنهل منه المفردات للتداول اليومي، وهي اللغة المرجعية المتمثلة في اللغة الفصحى، لغة الكتابة والتفكير والتأليف والإبداع... في حين أن اللهجات البربرية ليس لها معين تأخذ منه سوى العربية الفصحى ذاتها، كما كان الأمر سائدا في البلاد منذ الفتح الإسلامي، أو من الفرنسية ذاتها كما هو الحال بعد الاحتلال الفرنسي بالنسبة للجزائر وبعض الأقطار المغربية الأخرى. ومثلما لا يمكن لأية لهجة عربية أن تستقل بذاتها عن الفصحى لتصبح لغة رسمية ووطنية في البلاد... لا يمكن ولا يعقل أيضا ولنفس الأسباب، لأية لهجة من اللهجات البربرية أن يدعي متداولوها أنها هي اللغة البربرية الأم أو الأصلية... كما أن هذه اللهجة المحلية أو تلك، مهما تكن متداولة في جهة من جهات الوطن، فهي لا يمكن أن تفرض كلغة وطنية على اللهجات البربرية الأخرى، فضلا عن اللهجات العربية بطبيعة الحال، وذلك لان أصحاب هذه اللهجات البربرية الأخرى الذين تعايشوا مع الفصحى كلغة كتابة وثقافة منذ قرون، لا يقبلون أن تسود أية لهجة بربرية لتفرض عليهم كلغة كتابة وتعليم وادارة، وهذا ما يحتم، من منظور المحافظة علي الوحدة الوطنية من جهة، ومن منظور التمسك بلغة الدين من جهة ثانية،

ومن منظور الديمقراطية التي تخضع الأقلية الى ارادة الأغلبية من جهة ثالثة، ومن منظور الأ يمكن القضاء على اللغة العربية الفصحى في الجزائر، الا بعد استئصال جذور الإسلام نهائيا، وهذا أمر مستحيل في الوقت الحاضر على الأقل!

ونظرا للاعتبارات السالفة الذكر فان الحل الأمثل لهذا الطرح المفتعل، وبعيدا عن الدوافع الاستعمارية الفرنسية، التي أشرنا إليها في فصول هذا الكتاب... هو أن تتعايش جميع اللهجات العربية والبربرية على قدم المساواة في التداول اليومي والثقافة الشعبية والفلكلور، دون أية حساسية كما كان الشأن دائما منذ الفتح الإسلامي حتى الآن.

وفي هذا المعنى نذكر جوابا لفضيلة الشيخ محمد الغزالي عن سؤال وجه اليه أثناء القاء محاضرة في مدينة تيزي وزو (بالجزائر) (ديسمبر 1989) رأيه في اللهجات المحلية؟ فأجاب بالحرف الواحد : «أنا أرى أن العربية الفصحى، يجب أن تسود، وهذا ليس بدعا، فكل أصحاب الألسنة الأخرى يفضلون الفصحى، ويعلنون أنها لغة التخاطب، وخصوصا في المجالس الجادة وفي الخطب الرئيسة، وفي المحاورات المحترمة. أما الرجوع الى اللهجات المحدودة، فهذا يكون سببا في تقسيم الأمة ونحن نريد التوحيد لا التقسيم، نعم قد تعني هذه اللهجات أصحابها وأنا لا أردهم عنها، وانما الذي يهمني هو أن تكون لغة العلم ولغة العالم هي العربية الفصحى وحدها، وعندي القرآن هو الأساس في تفضيل لغة على أخرى، فلغة القرآن عندي هي أهم لغة في الأرض لأنها لغة الوحي الخاتم» [1].

واحد وعشرون : ان الدعوة الى ترسيم اللهجات العامية في الوطن العربي ليس له سوى النتائج التالية :

أ) – القضاء على سيادة لغة القرآن في هذا الجزء من العالم الإسلامي بعد تقليص رقعة الخلافة، قبل الغائها نهائيا باسم العلمانية والوطنية (القطرية الضيقة) في أوائل هذا القرن.

---

(1) جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1989/12/25.

ب) تفتيت كل قطر عربي الى عدة دول بحسب عدد اللهجات العربية وغير العربية المتداولة بين أفراده اذا قدر لها أن ترسم وتعلم!!

ج) احياء النعرات العرقية وربطها باللهجات، بحيث يصبح لكل لهجة محلية عرق واسم وقومية تمثلها على الرقعة الجغرافية الاقليمية أو القطرية!

د) القضاء على الرابطة الأولى التي ما تزال تربط العرب في الوقت الحاضر، وتبرر وجود الجامعة العربية (ولو صوريا)، والقضاء بالتالي على أي احتمال مستقبلي لانبعاث متجدد للحضارة الإسلامية لتعود مثلما كانت عليه - لعدة قرون خلت - على اعتبار أن لا حضارة ذات طابع خاص بدون لغة واحدة. وحضارتنا التي وجدت وسادت هي حضارة إسلامية الروح والفكر، عربية اللسان والبيان، ونظرا لأن حضارات الأمم تحمل أسماء لغاتها فان تعدد الأمم يعني تعدد اللغات، والإسلام لا يعترف الا بأمة واحدة كما ورد في القرآن الكريم: **«وإن هذه أمتكم أمة واحدة»** [1].

هـ) ان التغاضي عن سيادة الفصحى في كل الأقطار الإسلامية عموما، والعربية على وجه الخصوص، معناه تكرار مأساة الاندلس مرات عديدة في البلاد العربية، حيث ستظهر من داخل هذه الأقطار وبايعاز من الخارج (...) تيارات صليبية شعوبية حاقدة على كل ما هو مسلم وناطق بالعربية، على اعتبار أنه دخيل، وتعم الظاهرة اللبنانية والفلسطينية والسودانية والقبرصية في العديد من البلاد التي تظن نفسها في مأمن من هذا الخطر المتنامي تحت السطح، سواء في المغرب أو المشرق على حد سواء، لأن العرب اذا كانوا غير مبالين، أو غافلين، فالاستعمار الصليبي الغربي والشرقي غير نائم، ولا يهدأ له بال الا عندما يتأكد من زوال شبح الأمة المحمدية الموحدة التي أقضت مضاجعه منذ وجدت حاضرة (وغائبة!!).

ثاني وعشرون: وللإجابة في الختام عن ادعاءات ومطالب أولئك الذين يريدون أن يوقفوا التاريخ ويعودوا «بالأمة» الجزائرية الى عهد الاحتلال الروماني متذرعين «بالأصالة» و «الجزأرة» و«التاريخ الوطني» و«الشخصية» أو

---

(1) من سورة الأنبياء، الآية: 92.

«الهوية» الوطنيـة التي يصرون في كل نداءاتهم، وشعاراتهم، وتصريحاتهم الرسمية وغير الرسمية، بانها ذات التركيب أو الترتيب الثلاثي :«أمازيغية عربية إسلامية» (...) نقول لهم بأننا نوافق علي هذا المطلب وهذا الطرح أو هذا التركيب أو الترتيب، بشرط أن يكون (كما هو الشأن في فرنسا ذاتها، وفي جميع البلاد العربية الإسلامية الحالية) ترتيبا عموديا في الزمان، وليس تمزيقا أفقيا في المكان!! ولتبيان ذلك للذين يهمهم أمر «الأمة» ومصيرها وتاريخها، ولتوضيح المعنى الحقيقي للاستمرارية التاريخية للشخصية، والهوية الوطنية الجزائرية (الأمازيغية العربية الإسلامية...)، فاننا نتمثل بعملية تلقيح الأشجار في العلوم الطبيعية، والتلقيح هنا ثقافي بالدرجة الأولي، وليس عضويا، لان التلقيح العضوي - ان حصل - فهو أمر ثانوي جدا (كما رأينا في الفصل السابق) وان التطعيم - كما نعلم - يتم بنقل فرع من شجرة معينة ومختارة، ليطعم به جذع شجرة أخرى لها وجود وجذور ممتدة في أعماق الأرض، ما شاء لها التاريخ أن تمتد... والتطعيم يحتمل النجاح ويحتمل العكس، كما أن له شروطا من جملتها التقارب أو التشابه في فصيلة الشجرة والنوع، أي تطعيم نوع من الشجر مع نوع من الشجر المشابه له، وليس تطعيم نوع من الشجر مع نوع من الحجر!!...

واذا مانجح التطعيم نجاحا كاملا، وكبرت الشجرة المطعمة، فيصبح جذرها من نوع، وبقية الكيان (الجذع والأغصان والثمار) من نوع آخر، بمعنى أن ماتحت التراب نوع، وما فوق التراب نوع آخر، وكما لا تستطيع الشجرة أن تنفصل عن جذرها أو تغيره ولو أرادت (على اعتبار أن التطعيم يتم في الجذع وليس في الجذر) فكذلك يظل من المستحيل أن يكون للشجرة وجود ملموس، لوقطعت من مستوى التربة (أي من مكان التطعيم الذي زالت معالمه القرون وصيرت الجذع كتلة عضوية واحدة) علما بأنها ستعطي نفس الثمار، حتى ولو شقت أو قطعت!! وتبقى النتيجة الوحيدة لعملية القطع أو الشق هي تأخر نمو الشجرة أو قتلها، وليس تغيير نوع الشجرة!! وهذا الاجراء لا يقبله إلا عقل مخرب للكيان وعدو

لوحدة الأوطان (مع ملاحظة وجود فارق هنا في التطعيم، وهو النوع العضوي الإنساني، والنوع الثقافي الرباني...).

على أنه ومن بين الاحتمالات الواردة في هذا المجال، آن تظهر من حين لآخر بعض الفروع الفاسدة أو الميتة، أو بعض الأغصان الطفيلية التي تتفتق من جذع الشجرة - أحيانا - ولكنها لا تلبث أن تخضع لعملية الزبر الموسمي (في الأحوال الطبيعية) من قبل المهندس الفلاحي (تطبيق قوانين الدستور) حتى يترك المجال لنمو الشجرة، بكيفية عادية، كبقية أشجار البستان، علما بأنه لو تترك الشجرة لمدة أطول (من اللازم) دون المعالجة، بالسقي والتهوية والزبر والأدوية، والتهذيب الضروري الذي تقتضيه كل شجرة مثمرة في هذا الوجود... فان بعض ثمارها قد تبدأ في الفساد والتدني في الجودة، شيئا فشيئا، ومع مرور السنين على نفس الحال، وفي غياب العلاج اللازم للشجرة - كما أسلفنا - قد تكثر الفروع والأغصان الطفيلية (المتوحشة) والثمار الفاسدة، وقد تصيب بعدواها - مع مرور الزمن - بقية الثمار الأخرى، أو على الأقل تقلل من مردود الشجرة من الثمار الطيبة المغذية والمفيدة!!

واذا عرفنا أن بعض الأطروحات التي لم يكن أحد يتجرأ على الجهر بها قبل ربع قرن من الزمان في البلاد، أصبحت الآن مقبولة الطرح كما هو واضح، مع رفض التطبيق... فقد يأتي اليوم الذي تصبح فيه بعض هذه الأطروحات منفذة تحت أي شكل من أشكال (التهجين) أو التطعيم على مستوى بعض الأغصان، وهو ما يهدد حتما بتغيير طعم بعض ثمار الشجرة، ان لم يكن قتل الشجرة أو تغيير شكلها على الأقل! وان قيمة الأشجار المثمرة تقاس -دوما- بنوعية ثمارها، وليس بطول أغصانها، أو كثرة ثمارها الفاسدة، والمفسدة في نفس الوقت!

وكما اثبتنا في فصول هذا الكتاب، فان فرنسا ظلت حاضرة، وواعية بكل تفاصيل الموضوع، وهي الآن تعمل على تهجين بعض اغصان الشجرة (المباركة) في غياب الزبر التلقائي المعهود على امتداد سنوات الاحتلال المباشر لتراب الجزائر، وخاصة إبان الثورة المسلحة حيث كان يتم الفرز القاطع بين كل ما هو

«قاوري أو رومي» من جهة، وعربي (الذي يعني مسلم) من جهة أخرى، وتحقق الاستقلال الأصفر نتيجة هذا الفرز الصارم بين من هو مع الوطن ومن هو مع العدو، بصرف النظر عن لهجته وجهته... وأما اليوم فتريد فرنسا أن تعكس الآية، فتجعل الفرز بين من هو «عربي مسلم» من جهة، وكل من هو «فرنسي مسلم، أو غير مسلم» في الجزائر، من جهة أخرى، وبدلا من أن تشجع هؤلاء الفرنسيين «بالشخصية أو بالجنسية أو بكليهما معا» على الذهاب الى فرنسا، والالتحاق بالشجرة الأم، مثلما حدث في الفرز الجهادي الذي تم سنة 1962م، مع الكولون، والخونة، (أو الأقدام السوداء، والعقول السوداء) أصبح اليوم يشجع مثل هؤلاء على العودة أو البقاء «في أرض الوطن» لأسباب استراتيجية مفهومة جدا!!

ونحن اذا لم يكن بإمكاننا، ولا من صلاحياتنا أن نطلب من المستعمر أن يتخلى عن وظيفته وعن «لقمة» عيشه... الا أنه يمكننا - وهذا من حقنا - ان نقتدي به، في عقر داره، فيما فعله ويفعله مع الأغصان المتوحشة، والثمار الفاسدة في «الشجرة» الفرنسية، تجاه عمليات التهجين (الألمانية والانجليزية) في الغابة الاوروبية، ومثال ذلك محاكمة الخائن «كلاوس باربي» و «معهد باستور» المذكور؛ فهذا هو الوضع الذي توجد عليه الشجرة الجزائرية ضمن البستان العربي الاسلامي في الوقت الحاضر، ويبقى كل شيء ممكنا في عالم الإنسان المتقلب - دوما - عبر الزمان والمكان من قرطبة وصقلية، الى طشقند وسامرقند، مرورا بكابول ولبنان، والقدس والسودان، وموريطانيا والسينغال والعراق وطهران...

والكلمة الأخيرة والفاصلة ستكون - ولاشك - للشعب الجزائري الأصيل الذي ماقال يوما لفرنسا، ولا لعملائها «نعم» عندما يترك حرا، أمام صناديق الاقتراع، والاستفتاء على تقرير المصير... والتاريخ - مرة أخرى - بيننا هو الشاهد الأمين.

الجزائر في: 1990/3/20



بطاقة تعريف المؤلف

- من مواليد 23/ 01/ 1944 ساورقه، ولاية تيزي وزو (الجزائر)
- نشأ في عائلة تشتغل بالتعليم العربي في المدارس الأهلية (الحرة)، خلفا عن سلف، منذ الجد الأكبر سيدي بعمان.. الذي تحمل اسمه إحدى بلديات ولاية تيزي وزو حاليا
- بدأ الدراسة على الطريقة التقليدية بحفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه (قرية الحروبة) على يد جده الشيخ المحفوظ بن بعمان، ثم عمه الشيخ الشريف حتى استشهاده سنة 1957، وبعدها على يد والده الشيخ محمد حتى استشهده أيضا سنة 1959.
- فتح عينيه على الثورة المسلحة، وتربى في أحضان رجالها الذين بدأ نشاطه معهم في سن الخامسة عشر
- ألقي عليه القبض بعد اكتشاف أمره سنة 1959، وعرف ألوانا من التعذيب في معتقل «تاورقة» الذي فرّ منه ليلتحق بصفوف الثورة كمجاهد في الولاية الثالثة، المنطقة الرابعة، الناحية الثالثة ثم الثانية حتى الاستقلال (1962).
- وضع البندقية عندما حضر القلم، فالتحق بسلك التعليم "كممرن" في الابتدائي وواصل الدراسة حتى دخل الجامعة سنة 1968
- تخرج بشهادة الليسانس في الفلسفة من جامعة الجزائر سنة 1971.
- الماجستير في علم الاجتماع من جامعة القاهرة سنة 1978
- الدكتوراه في "الأنثروبولوجيا النفسية" من جامعة القاهرة سنة 1982
- ومن أهم الوظائف التي شغلها بعد ترك مهنة التعليم هي:
- مكلف بمهمة في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية 1971- 1973
- موظف (مندوب عن الجزائر) في إطار جامعة الدول العربية بالقاهرة 1973- 1979
- مستشار بوزارة الداخلية بالجزائر 1980- 1986
- مدير الدراسات والبحوث بالمعهد الوطني للدراسات الاستراتيجية الشاملة (برئاسة الجمهورية) بالجزائر 1986- 1990 وهو الآن متفرغ للبحث والتأليف والمحاضرات داخل الوطن وخارجه

من أهم مؤلفاته

01- التعريب بين المبدأ والتطبيق في الجزائر والعالم العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981

02- كيف صارت الجزائر مسلمة عربية!؟ دار البعث، قسنطينة 1981

03- لا عروبة بدون إسلام، دار البعث، قسنطينة 1981.

04- الجهاد والثورة، دار البعث، قسنطينة 1982.

05- سمات الشخصية الجزائرية، مؤسسة الكتاب، الجزائر 1988

06- فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر (الخلفيات، الأهداف، الوسائل، البدائل)، منشورات دحلب، الجزائر 1990

07- التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي لماذا وكيف؟، منشورات دحلب، الجزائر 1991

08- مولود قاسم نايت بلقاسم (حياة وآثار، شهادات ومواقف)، دار الأمة، الجزائر 1993

09- هذي هي الثقافة، دار الأمة، الجزائر 1996

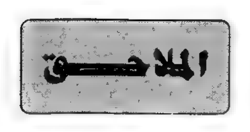
10- حزب البعث الفرنسي، دار الأمة، الجزائر 1996

11- الهوية الوطنية (الحقائق والمغالطات)، دار الأمة، الجزائر 1996

12- مفتاح اللغة العربية، دار الأمة، الجزائر 1996

وإلى جانب الوظائف الرسمية المذكورة، فهو عضو منتخب في عدة هيئات وجمعيات منها:

- عضو قيادي في اتحاد الكتاب الجزائريين
- أمين عام بالمجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر.
- عضو الجمعية العربية للعلوم السياسية بالقاهرة
- عضو مؤسس وقيادي (نائب الرئيس) في الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية
- عضو المنظمة الوطنية للمجاهدين.
- عضو المنظمة الوطنية لأبناء الشهداء.
- عضو مؤسس وقيادي، في الجمعية الجزائرية لاتحاد المغرب العربي
- حائز على جائزة الإمام عبد الحميد بن باديس للثقافة العربية الإسلامية الممنوحة من مركز المستقبل الإسلامي والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم بالرباط، لعام 1992



ملحق رقم 1 : حلقة من حلقات المقاومة ضد أنصار النزعة البربرية في باريس (حسب رواية بلقاسم راجف)

ملحق رقم 2 : حزب الشعب القبائلي (PPK) وحوادث انحادية فرنسا

ملحق رقم 3 : أطروحات منظري ومحرضي ومؤسسي وأحزاب الحركة البربرية في عهد الاستقلال.

ملحق رقم 4 : بيرفيت، المخابرات ومنطقة القبائل.

ملحق رقم 5 : مطالب الحركة البربرية من خلال توصيات ملتقاها الأول (إيعكورن، تيزي وزو 1980)

ملحق رقم 6 : بعض أطروحات الحركة البربرية المطالبة بترقية وتدريس وترسيم وتوطين وتوحيد اللهجات البربرية.

ملحق رقم 7 : لائحة رفض من المجلس التاريخي للولاية الأولى.

ملحق رقم 8 : بيان تأييد من الرئيس أحمد بن بلـة.

ملحق رقم 9 : لائحة رفض من المجلس التاريخي الموسع.

ملحق رقم 10 : رسالة من مدينة بجاية: لا للنزعة البربرية.

ملحق رقم 11 : رأي الأستاذ محمد البصري في المسألة البربرية.



ملحق رقم: 1

حلقة من حلقات المقاومة ضد أنصار النزعة البوبوية في باريس (حسب رواية بلقاسم راجف) (*)

أثناء سنتي 1947- 1948 كان عبد الله فيلالي المناضل الأسبق في صفوف «نجم شمال إفريقيا» على رأس فيدرالية فرنسا لحزب الشعب - حركة الانتصار، وبالرغم من ارادته الحسنة لم يتمكن (فيلالي) من إحراز أي تقدم يذكر لصالح الحزب، وبقي فيلالي في مستوى (المهرج) الذي يفتقر الى روح التنظيم، وكان مستبدا برأيه لا يقبل أية مناقشة، بل يذهب الى حد استعمال الشتائم في تدخلاته ضد معارضيه.

وكان يعامل الطلبة معاملة سيئة واصفا اياهم «بالمتخاذلين» مما أدّى بمحمد علي يحي (الملقب برشيد) بعد وصوله الى فرنسا إلى مساعدة بعض المناضلين على انتقاد سير الأمور في الفيدرالية التي كان يسيطر عليها فيلالي دون أية مراقبة.

وفي يوم من الأيام اغتنمت فرصة وجود مصالي بمدينة بري كنت روبير (Brie-Comte-Robert) في ضواحي باريس فقصدته رفقة جماعة من المناضلين واشتكينا من تصرفات فيلالي. وبدلا من ان يأمر بإجراء تحقيق بشأنه ويقوم بدراسة الوضع مع جميع الأطراف راح مصالي يبرر أعمال فيلالي ويدافع عنه...

وكنت شخصيا في تعاطف مع الطلبة لأننا كثيرا ما عانينا من اتهامات خصومنا السياسيين التي تصفنا «بأميين» وكنت أرى أنه من الصعب في غياب العنصر المثقف أن يحقق الحزب أي تقدم. وحيث إنّ الطلبة كانوا يتهربون من الحزب فاجتمعت بهم بمقر الطلبة بشارع سان ميشال في باريس رقم: 115 (Boulevard Saint - Michel) وقلت لهم: «إنه لا يحق لكم أن تغدروا الحزب والا كانت خيانة».

وفكرنا في عقد مؤتمر فيدرالي، فقال بشأنه مزغنة عضو القيادة الذي كان قد حل بباريس في زيارة قصيرة: «أنه من اختصاص قيادة الحزب في الجزائر» فقررنا عقد مجلس فيدرالي تطلب تحضيره مالا يقل عن خمسة أشهر وحضره يوم جلسته تقريبا (150) مائة وخمسون مندوبا ونفس

(*) أحد أقطاب الحركة الوطنية الجزائرية، ومؤسسي نجم شمال إفريقيا، وهذه الوثيقة مترجمة إلى العربية من كتاب جذور أول نوفمبر 1954 (بالفرنسية) بن يوسف بن خدة (منشورات دحلب، 1988)

العدد من مناضلين آخرين وكان ذلك في سنة 1948. وانتخب المجلس الفيدرالي لجنة فيدرالية تضم (25) خمسة وعشرين عضوا وطلب مني أن أكون من بين أعضائه نظرا لأقدميتي في الحزب فقبلت بتحفظ أن أشارك في اجتماعه بباريس بصفتي «مستشارا تقنيا» حسب ما تسمح به الظروف لأن نشاطي المهني الذي يجري خارج باريس وواجباتي العائلية لم تمكناني من ذلك بصفة دائمة.

وأصبحت «عضوا قانونيا» في المجلس الفيدرالي والتحق محمد علي يحي (رشيد) بدوره باللجنة الفيدرالية بعد أن ضم اليها.

مجلس فيدرالي انحرافي

وصل ذات يوم الى باريس الدكتور شوقي مصطفاي والـقيب الصادق سعيدي الذي إتصل بي هاتفيا في مقاطعة لا بروتان (BRETAGNE) حيث كنت مقيما وطلب مني أن التحق به ودلك ما تمحت على الفور ويومه اكتشفت مؤامرة النزعة البربرية التي كن علينا أن نواجهها. وكن قدوم مصطفاي وسعيدي الى باريس بأمر من قيادة الحزب في الجزائر للقيام بتلك المهمة وعلمت مساء، وصولي الى باريس ان اجتماعا للجنة الفيدرالية قد يعقد في الغد على الساعة الثامنة صباحا، فحرصت على أن أحضره لأطلب من منظميه اقامة حفل «شاي» على شرف مبعوثي قيادة الحزب.

ولم يكن باستطاعة أحد منعي من ذلك بصفتي «عضوا قانونيا» وتيقنت من بداية المداولات أن أفكار النزعة البربرية قد انتشرت وقطعت أشواطا وأن أمامي أناسا مصممين على أفكارهم ومتشبثين بها، فطرحت المشكلة واقترحت ادراجها في جدول أعمال الجلسة على الصيغة التالية: «الانحراف السياسي للمجلس الفيدرالي».

وعارض بعض الحاضرين الاقتراح الذي قدمت لأسباب جعلوها ذريعة ومبررا لها حيث أنهم كانوا قد قطعوا الصلة بينهم وبين الحزب في الجزائر العاصمة وبذلك فهم يرفضون استقبال مبعوثي القيادة وحتى التحدث اليهما. وألححت على أن تدرج القضية في جدول الأعمال فاحتد النقاش وأصبح صاخبا عاصفا واصطدم اقتراحي برفض عنيد ومع ذلك كنت لا أزال أحظى ببعض الاحترام ولو كان غيري في مثل ذلك الرخح لتعرض لعقاب شديد ودامت المناقشات سبع عشرة ساعة دون انقطاع.

وقبل أنصار النزعة البربرية في نهاية المطاف بمبدأ مناقشة القضية، ولا حاجة الى ذكر ما كن يتردد على ألسنتهم خلال تدخلاتهم مما يضمرونه من حقد لكل ما هو عربي وبصفة خاصة على اللغة العربية والقرآن والاسلام، وكان اقتراحي يتعلق «بادانة الانحراف السياسي للجنة الفيدرالية بما يخالف الوحدة والمصلحة الوطنية ومصلحة أصحابه الذين تهدف تصرفاتهم الى تقسيم الحزب وخدمة مصالح الاستعمار عن وعي أو غير وعي».

وجرى التصويت على الاقتراح وجاءت نتائجه على الشكل التالي:

- عدد الأصوات لصالح الاقتراح = 12 صوتا.
- عدد الأصوات ضد الاقتراح = 13 صوتا.

ورفض الاقتراح بأغلبية صوت واحد، وحين افترقنا قلت لأحد أنصار النزعة البربرية «أن الصراع لا يزال في بدايته».

المجابهة

واجتمعت بمصطفاي وسعيدي ومناضلين آخرين، وقررنا أول ما قررنا تنظيم أفواج للدفاع الذاتي والرد على الاعتداءات التي قد نتعرض لها، وبلغ مجموع عدد الأفواج 70 مناضلا. وطلبنا في نفس الوقت من الفروع تجميد الأموال التي بحوزتها وإرسال عرائض الى المجلس الفيدرالي تحتج فيها على الانحراف السياسي وتوجيه الدعوة لعقد مجلس يتكفل بانتخاب لجنة فيدرالية جديدة على أن ترسل الينا نسخ من العرائض، ولقد سمح لنا ذلك المسعى بأن نتعرف على الفروع المعادية لنا وأن نقدر قوانا، وسرعان ما وقعت المشادات وجرت المشادة الأولى بالدائرة الباريسية الثامن عشرة في شارع أوردونير (18 e arrondissement rue Ordonner) في قاعة تابعة لفندق مقهى حيث اجتمع مائة شخص بدعوة من خصومنا، وأرسلنا ثلاثين من رجالنا لحضور الاجتماع ومع الأسف وصلوا متقدمين، الأمر الذي سمح لخصومنا بأن يجمعوا مقابض معاول وقوارير من زجاج.

وبمجرد أن علمنا بذلك قصدنا المكان على الفور وكان عددنا عشرين مناضلا، وفور وصولنا هاجمنا خصومنا وحطم باب الفندق الزجاجي تحطيما وحين رجعت أدراجي رأيت شخصا يقصدني وبيده سكين جزار وخرج في تلك الأثناء صديق لي محتميا بكرسي فرماه باتجاهي فأمسكته وضربت به صاحب السكين وهو أرزقي مغيرة وهو صديق وعلي بناي فانسحب على الفور.

وفي تلك اللحظات تسلق زملائي أشجار الصنّاد وقطعوا منها فروعا ليجعلوا منها هراوات استخدمناها للدفاع عن أنفسنا ودحرنا عناصر العصابة ففر بعضهم ودخل بعضهم الى الفندق وتسببت المواجهة في عدة جرحى من الطرفين ودخل ثلاثة المستشفى، وكنت قد أبعدت من جماعتنا المنصر «العربي» حرصا مني على أن تكون القضية قضية قائمة بين أهل القبائل وحدهم حتى لا يضفي عليها طابع «نزاع بين العرب والقبائل» الذي قد يستغله أعداؤنا ضدنا.

وبعد أن انتهت المواجهة جلست الى المقهى المقابل فرأيت حافلتين مملوءتين برجال الشرطة تصلان الى المكان رفقة سيارة خفيفة. وفي الغد علمنا من الصحف أن سبعين جزائريا قد قبض عليهم ونقلوا الى مركز الشرطة وأيضا ثلاثين جريحا.

ووقعت المشادة الثانية في الدائرة التسع عشرة حيث حصلنا على قاعة الحفلات التي وضعتها البلدية تحت تصرفنا باعتبار ان الحزب حزب شرعي، ولما بدأنا الأشغال أراد بعض أنصار النزعة البربرية أن يتناولوا الكلمة بالقوة وكنت على المنصة في رئاسة الجلسة وصعد أحدهم الى المنبر وحاول نزع الميكروفون من بين يدي فامسكته من طرف بدلته وألقيته على الأرض، وحدث عراك وتبادل الضربات. وبعد اتصال هاتفي اجريناه من مقهى صديق، وصلتنا الامدادات ووصل بعدها بقليل خيضر ومزغنة.

وفي تلك الأثناء رفعنا نشيد «فداء الجزائر» ونشيد «من جبالنا» وارتكب خصومنا خطأ حين تجمعوا في زاوية وشرعوا في ترتيل نشيد لهم، وكانوا في عزلة تامة عن الحاضرين البالغ عددهم مائتين وخمسين شخصا وساعد انعزالهم رجال أمننا في أداء مهمتهم حيث تمكنوا من تطويقهم ودحرهم الى الخارج.

وأصبحت اعادة تنظيم الحزب ضرورة ملحة ومستعجلة نظراً لما لحق الحزب من أضرار وشرعنا في اعادة تشكيل الفروع. وبدأنا العمل في مدينة باريس وضواحيها في المرحلة الأولى. وتوصلنا في سياق اعادة التنظيم الى عقد 5 اجتماعات في اليوم الواحد لإجبار أعدائنا على توزيع رجالهم بين الدوائر الباريسية رقم: 13 و15 و18 وضاحيتي «لوفلوا وبيتو Levallois, Puteaux».

وفي كل اجتماع من اجتماعاتنا كان يتداول الكلمة مناضل من الفرع وطالب، وكان أغلب المناضلين من منطقة القبائل الذين وضعوا حداً لمغامرة أنصار النزعة البربرية كما هم ينتمون الى الدوائر رقم: 3 و4 و5 و14 و19 و20 بالإضافة الى المناضلين المقيمين في ضاحية كولومب Colombes.

وأما الفروع التي كانت تناصرنا فتوجد في الدوائر رقم: 3 و4 و5 و6 و19 وكانت جميعها في حالة استعداد للتدخل عند الحاجة. وفي الأقاليم الفرنسية الأخرى، لم تجد حركة المنشقين مساندة في مدينة ليون (Lyon) ومقاطعة الألزاس (L'Alsace) ومنطقة الشمال.

وقررنا أيضا استرجاع عتاد وجريدة «النجم الجزائري» وكان العتاد يوجد بمحل في شارع بيسو (Bisson) وتوجهت رفقة شوقي مصطفاي الى المحل وفتحه شوقي وأخذنا عتاد الطبعة والورق وبطاقات الانخراط في الحزب ونقلنا الكل على متن سيارات الأجرة ووضعناه عند مناضل تونسي من حزب الدستور الجديد السيد الطاهر قيقة الذي كان مقيماً بشارع هافر كومارتان (Havre-Caumartin).

وأما فيما يتعلق بالنجم الجزائري جريدة الفيدرالية وكيلها السيد مولاي من قرية واضية وهو مناضل قديم انتقل الى خصومنا بعد ما أليبوه ضدنا.

وقد قصدني يوماً وطلب مني أن أدفع له مبلغ 150.000 فرنك الذي كان يطالبه به صاحب المطبعة فأجبته «اذا احتفظتم بالجريدة فعليكم أن تدفعوا دَيْنَها وإذا سلمتموها لنا فإننا ندفع ما عليها من دين فرفض الاقتراح الأخير وتوقفت الجريدة عن الصدور وأصدرنا الأوامر الى المناضلين ليجمدوا الأموال التي بحوزتهم فأصبح مجلس الإدارة والجريدة ذاتها في وضع خانق.

وفي إطار إعادة تنظيم الحزب حصلنا على مقر جديد لصالح حزب الشعب – حركة الانتصار، والمقر عبارة عن عمارة توجد بشارع (قزافيه بريفاس) (Xavier Privas) رقم: 22 بحي الطلبة شارع سان ميشال، وقد باعه لنا صاحبه المناضل حسين آشنو بمبلغ قدره 650.000 فرنك دفعناه بالكامل بفضل ما حصلناه من مال من عملية الاكتتاب الذي قمنا بها لدى الجزائريين. وكانت العمارة تتضمن أربعة طوابق، وجعلنا من الطابق السفلي مطعماً يتردد عليه العمال والطلبة وكان من بين الطلبة من لا يقدر على دفع ثمن الوجبة فكنا نقدمها لهم مجانا لسد رمقهم وكان من الطلبة من يعمل ليلا في سوق الخضر والفواكه مقابل 500 فرنك لليلة الواحدة ويقتصر عملهم على شحن وتفريغ الصناديق لأن السلطات الفرنسية لم تقدم لهم في ذلك العهد أية إعانة.

وبعد وصول أمحمد يزيد وموسى بولكروة الى باريس بعد اطلاق سراحهما من السجن وأخذا بزمام الأمور في الفيدرالية لم يعد الطلبة يتهربون من الحزب ولم يعد المثقف يصف العامل بأنه «راع»

ولم يعد العامل بدوره يصف المثقف بالمتخاذل. وزالت الفكرة التي يعتقد على أساسها كل منهما أنه الوحيد الكفيل بتحرير البلاد دون مساعدة الآخر وحلت محل هذا الاعتقاد وحدة العمل بين الاثنين مما زاد الكفاح قوة.

وكان الرهان على فيدرالية فرنسا في إطار النضال من أجل استقلال الوطن رهانا أساسيا، ولا ننسى أن الحركة الوطنية التحريرية نشأت بالفيدرالية وأن أنصار النزعة البربرية حاولوا من منطقتها تأسيس قاعدة ينطلقون منها للاستيلاء على الحزب في الجزائر ولو كتب لهم النجاح لأقبلوا على تحطيم الحزب وقطع الصلة بما يخدم مصالح الاستعمار.

نداء الى الوحدة:

وقبل أن أختتم كلامي أريد أن أضيف ما يلي:

لكل جزائري الحق في أن يتغنى ويتحدث بلهجته الخاصة عن منطقته ولا يحق لأي كان أن يؤلب جزءا من السكان على الجزء الآخر بزرع الحقد ومحاولة اثارة البلبلة والنزاعات في صفوف شعب واحد وجره الى حرب بين الإخوة، وكفانا من أرامل وأيتام آخرين ولا يستفيد من مثل هذه الفرقة اليوم كما كان الشأن بالأمس الا عدونا الذي قد يدفع أي ثمن ليتدخل في بلادنا انتقاما من الهزيمة التي كبدناه إياها بفضل ما ضحى به الجزائريون في فرنسا والجزائر من دماء سخية وقد تصبح جميع مكتسباتنا عرضة للضياع من جراء ذلك وسيخسر اتباع الفلاوي الجدد هم الآخرين المعركة.

وأن كافة الجزائريين يجمعهم قاسم مشترك يتمثل في الإسلام وفي لغة القرآن الكريم ويتعين عليهم جميعا أن يتحدوا لمواجهة كل العديدة التي تواجههم وأن الاتحاد هو الوحيد الذي قد يمكنهم من المضي قدما في درب التقدم وفقا لما ليتطلع اليه الوطن وشهداؤنا.

ملحق رقم 2

حزب الشعب القبائلي
(P. P. K : Parti Populaire Kabyle)

لقد كانت أرض فرنسا المكان الملائم (ومازالت) لأنصار النزعة البربرية الذين شرعوا في نشاطهم هناك، ففي ربيع 1948 التقى بناي بوده رئيس منظمة الحزب على المستوى الوطني وتحدث معه عن طالب «تطارده» الشرطة الفرنسية حسب زعمه ويرغب في الالتجاء الى فرنسا قصد متابعة دراسته، وهو في حاجة الى تزكيته لدى قيادة الفيدرالية، وهذا الطالب ما هو الا أمحمد علي يحيى الذي سوف يكتشف لاحقا بصفته محرضا على النزعة البربرية بفرنسا.

ربحسن نيته وافق بوده على طلب بناي، وبهذه الطريقة فالتحق محند علي يحيى (المدعو رشيد) بفرنسا حيث أدمج في المنظمة، والمعروف عليه انه يتميز بالنشاط والجرأة، اذ سرعان ما ارتقى مراتب المسؤولية حتى أصبح عضوا في اللجنة القيادية الفيدرالية لحزب الشعب – حركة الانتصار بفرنسا.

وعندما انفجرت أزمة النزعة البربرية في ربيع 1949 توصل الى دفع اللجنة الفيدرالية الى انتخاب لائحة تدين «أسطورة الجزائر العربية الاسلامية».

وأمام هذه المناورات ثارت القاعدة ضدهم وأخبرت قيادة الحزب بالجزائر العاصمة للاحتجاج ضد من يصفونهم بالعناصر «الملحدة» التي «تحارب الاسلام والعروبة». وفور ذلك اوفدت القيادة شرقي مصطفاوي الى باريس وهو عضو في المكتب السياسي وصادق سعيدي شخصية من الحزب معروفة بمنطقة القبائل، وفي عين المكان انضم الى الموفدين من القيادة محمد خيضر نائب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في البرلمان الفرنسي وبلقاسم راجف. فاعترض سبيل الأربعة أشخاص من أنصار النزعة البربرية كانوا يحتلون موقع قوة داخل الحزب، فمنعوهم من الاتصال بالقاعدة.

وقدرت نسبة وحدات المنظمة التي انساقت الى طرف «رشيد» بـ 80/ تقريبا، هكذا أصبح التصادم أمرا لا مناص من وقوعه، وفي باريس وضواحيها كانت بعض فروع النواحي والمحافظات مثل «كولومب Colombes» والدائرتين 19 و 20 تعتبر نقاط ارتكاز لدى المجموعة الجديدة لاعادة تشكيل المنظمة المفككة. وأغلبية سكان هذه الجهات مهاجرون من القبائل الصغرى. اما الأقاليم الأخرى بفرنسا فإن المنظمة الجنوبية الشرقية قاومت وصمدت بصفة فعالة أمام ضربات أنصار النزعة البربرية بفضل بشير بومعزة في مدينة ليون وأحمد حدانو المدعو (الكابا) في مدينة مرسيليا.

(*) بن يوسف بن خدة، نفس المرجع السابق ذكره.

وقد اكتست المواجهة بباريس خاصة طابع المشادات العنيفة كالضرب بالأيدي والمشاجرة وفي نهاية الأمر وبعد معركة قاسية استطاع مندوبو قيادة الحزب استرجاع المحلات بفضل هجمات أفواج (Commandos) مغاوير من المناضلين تحت إمارة بلقاسم راجف، وقد تمكنوا من الأخذ بزمام الأمور، ولم يتم التوصل الى هذه النتيجة إلا بعد المرور على كل محافظة وضاحية ومدينة الواحدة تلو الأخرى، لإعادة جمع أعضاء الحزب وهيكلة الفصائل والقسمات وإعادة تشكيل فيدرالية فرنسا لحزب الشعب – حركة الانتصار– من جديد، وذلك ما تطلب ثمانية عشر شهرا من العمل المتواصل.

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة الى نقطتين:

الأولى: الاسهام الإضافي والنهائي والحاسم لحل الحرب الذي قدمه أعضاء فرع طلبة الحزب أثناء السنة الدراسية 1948-1949 نذكر من بينهم مصطفى الأشرف، عبد المالك بن حبيلس، علي مرداسي، محي الدين حفيز، صغير مصطفاي، محمد بن قطاط، وطالبين تونسيين هما: الطاهر قيقة، ومصطفى العفيف. وإضافة إلى ذلك كان هؤلاء الطلبة المناضلون يشكلون لجنة التحرير «للنجم الجزائري» لسان حال الفيديرالية.

الثانية: إعداد طبيعة النهج السياسي الذي يكون متبعا، وذلك حسب النتائج المتحصل عليها وحتمية السير الطبيعي للأشياء، وكان ذلك يرتكز على مفهومين:

أولهما: إبطال الأساس العرقي للنزعة البربرية أو «الآرية» بوضوح، دون إعادة النظر في المحتوى الثقافي البربري.

ثانيهما: نداء إلى الضمير الوطني من أجل معارضة هذا المنحى وذلك لتحقيق الانسجام والالتزام بدون غموض أو هوادة.

إن بقاء النزاع مثل الذي عشناه كان سيؤدي حتما الى إحداث انكسار داخل الحركة التحريرية الوطنية لفائدة الاستعمار وحده.

ونتيجة لما سبق قررت قيادة الحزب طرد محند علي يحيى وكل الذين شاركوا في العمل الانعزالي، وتضامنوا معه، وقررت توقيف جريدة «النجم الجزائري» التي كانت تحت سيطرة رشيد وجماعته.

وبعد استعادة التحكم في فيدرالية فرنسا تأكدت قوة ومقدرة التنظيم لهذه الأخيرة في أول ماي 1950 أثناء تظاهرة جماهيرية جمعت بباريس أربعين ألف جزائري ومئة ألف في باقي أقاليم فرنسا، وبذلك اكتسحت هذه التظاهرة «الكونفيديرالية العامة للشغل»(CGT) كما أعطت الجزائريين الفرصة السانحة للقيام بمسيرة ضخمة مع رفع علمهم الخاص تحت قيادة حزب الشعب – حركة الانتصار.

كان قادة الحزب الشيوعي بالجزائر العاصمة لا يخفون فرحتهم لما حدث في حزب الشعب، متوهمين بنوع من التسرع أن حزب الشعب – حركة الانتصار يتجه نحو الانفجار. لهذا كان مندوبوهم أثناء المحادثات حول الوحدة مع مندوبي حزب الشعب – حركة الانتصار يظهرون دون مواربة كبرياءهم وازدراءهم للطرف الآخر.

لقد كانت قيادة الحزب على علم بالأفكار التي نشرها أنصار النزعة البربرية ولم تقدم بعد على اتخاذ أي قرار حتى تمكنت من الحصول على دليل مادي للمؤامرة التي حيكت، وكان ذلك بفضل حصولها على رسالة قد بعثها عمر أوصديق من السجن المدني بالجزائر العاصمة (سركاجي) الى وعلي

بناي وقعت في أيدي قيادة الحزب، مما مكنها من اكتشاف وجود حزب باسم «حزب الشعب القبائلي» (.P.P.K) الذي كان يتهيكل داخل حزب الشعب - حركة الانتصار. وقد كشف التحقيق عن منشطي هذا العمل المشتت وهم: وعلي بناي، عمر أوصديق، عمار ولد حمودة، وصادق هجرس، فعوقبوا ليس على أفكارهم المسموح بها الى حد ما، ولكن على مؤامرتهم التجزيئية

وعقب ذلك كلف كريم بلقاسم بمسؤولية المنظمة في ناحية القبائل الكبرى وأوعمران في القبائل الصغرى، وقد سارع أكثر المبعدين الى الانضمام الى الحزب الشيوعي الجزائري ومنهم الصادق هجرس بينما اكتفى الآخرون بالنشاط في فلكه، وبعد الاستقلال أصبح الصادق هجرس أمينا عاما لحزب الطليعة الاشتراكية (ح.ط.إ PAGS) التسمية الجديدة للحزب الشيوعي الجزائري.

لم ينل نشاط أنصار النزعة البربرية موافقة الجماهير، ففي منطقة القبائل من بين اثنتي عشرة قسمة انضمت اليهم واحدة فقط، وهي عين الحمام (ميشليه سابقا Michelet) معقل ولد حمودة، وبقيت تحت نفوذهم سنة على الأكثر.

والمعروف أن الثقافة البربرية والتحدث بالقبائلية كان مسموحا بهما ولم يطرح أي مشكل داخل الحزب، بدليل أن خطباء نجم شمال افريقيا أو حزب الشعب الجزائري أو حركة الانتصار للحريات الديمقراطية من أبناء المنطقة كانوا يستعملون اللهجة القبائلية. وهم الذين يمتلكون ناصيتها بفصاحة وكذا الأغاني والأناشيد التي تثير الحماسة والنشاط داخل اجتماعات المناضلين أو التجمعات الشعبية. ولم يكن أحد يرى في ذلك غرابة. فقد كانت هناك أخوة صادقة تربط بين المناضلين بغض النظر عن جهاتهم وحتى أولئك الذين يجهلون القبائلية كانوا يرغبون في معرفتها ويستمتعون بالكلمات القليلة التي يعرفونها، وكان استعمال اللهجات البربرية مقبولا بشرط عدم إعادة النظر في المبدأ العربي الإسلامي الذي هو الدعامة الايديولوجية للحزب، فالنشيد الوطني لحزب الشعب الجزائري (فداء الجزائر) الذي كان ينشده كل المناضلين كتبه جزائري من بني ميزاب ألا وهو مفدي زكرياء شاعر الحرب آنذاك، وهذا لم يمنع من التأكيد على ان الغاية أو مسعى الكفاح الوطني هو الاعتراف باللغة العربية كلغة وطنية ورسمية في الجزائر المستقلة.

وفيما يتعلق بعبارتي «الجزائر العربية» و «الجزائر الفرنسية» فإن أنصار النزعة البربرية فضلوا «الجزائر الجزائرية» والتي لا تعني أي شيء. وذلك بقصد إخفاء هدفهم. فهل يدعو الفرنسيون الى «فرنسا الفرنسية» أو الألمان الى «ألمانيا الألمانية»! فشعار «الجزائر الجزائرية» لا يمكن فهمه إلا كمحاولة لتجريد الأمة الجزائرية من شخصيتها العربية الإسلامية.

إن رد فعل قيادة الحزب بمعاقبة محرضي أنصار النزعة البربرية كان سريعا وقويا ومبرّرا، إذ أنه لا يعقل أن تسمح أية قيادة لنفسها بوجود مجموعة منظمة داخل حزبها تتنافى وايديولوجيا وكان المكتب السياسي يهدف من وراء اتخاذ تلك الاجراءات الى تفادي التقسيم الذي كان الاستعمار يستهدفه ويغذيه باستمرار في الوقت الذي كان الحزب بأكمله مجندا لتطبيق قرارات زدّين: تدعيم المنظمة الخاصة من حيث العتاد والأسلحة، الاتصال بالقادة التونسيين والمغاربة وكذا القادة العرب بالقاهرة من أجل مساعدة ملموسة (ماليا وماديا) للكفاح المسلح.

كيف كان موقف حسين آيت أحمد الذي كانت قيادة الحزب تشتبه في كونه الدماغ المفكر والمدبر للنزعة البربرية؟ ومن أجل الاستفسار والإيضاح. أوفدت له قيادة الحزب عضوين وهما: أحمد بوده والحاج محمد شرشالي اللذين تحدثا في الموضوع: فرد آيت أحمد بالعبارات التالية: «هذه مؤامرة

مدبّرة من طرف قيادة الحزب ضد مسؤولي منطقة القبائل» وأمام طلب إتخاذ موقف خاص بمساندة أو الاعتراض على النزعة البربرية، التمس مدة للتفكير «للتحقيق في القضية» على حد قوله، ثم توجّه الى منطقة القبائل، ولما عاد صرح لنفس المندوبين «ما أخبرتماني به صحيح وعليه فاني أتبرأ من هذه العناصر» (أي ذوي النزعة البربرية).

ورغم هذا الانكار بقيت الشبهات تلاحقه وكان يومئذ القائد الوطني للمنظمة الخاصة، فقرر المكتب السياسي آنئذ ابعاده عن هذا المنصب الحساس جدا ولكونه أيضا محل متابعة من طرف الشرطة الفرنسية، وحفاظا على أمنه بالجزائر، أرسلته قيادة الحزب الى القاهرة، حيث انضم الى مندوبي الحزب الشاذلي المكي ومحمد خيضر.

ولقد أكدت بوضوح أحداث ما بعد الاستقلال فكرة آيت أحمد، وشبهات القيادة تجاهه، وذلك من خلال كتابه «مذكرات مكافح» الذي صدر سنة 1983 حيث يقول فيه: «وفيما يخص الشباب الذين بادروا بطرح مطلب اللغة البربرية والذين وجهوا الينا اللوم بأننا لم نستطع أو بالأحرى لم نعرف كيف نعرض هذه القضية في المؤتمر (مؤتمر حزب الشعب – حركة الانتصار – المنعقد في فيفري 1947) أجيبهم بأننا لم نتوقف قط عن المطالبة بذلك، وهويتنا البربرية رافقت حياتنا، فكنا نعيشها، واذ لم تر – عن خطإ بدون شك– وجوب المطالبة صراحة بحق كتابة اللغة البربرية وحق تعليمها، فان الحزب لم يكن بوسعه عمليا ان يمنحها هذا الحق ولو أراد ذلك».

ولو طرحت هذه المسألة للنقاش داخل الحزب في ذلك العهد لانجر عنها رد فعل عنيف من طرف دعاة العروبة وما أكثرهم وطالما أن التطرف يولّد التطرف فان ذلك كان سيؤدي الى نزاع وخيم العواقب بين المتشددين من الجانبين يزيد في خطورته الفقر الايديولوجي لهؤلاء، وتكون النتيجة الضربة القاضية على غرار ما وقع في فرنسا.

ليس بيني وبين آيت أحمد أية حزازة شخصية. أعرف جيدا أنه التحق بحزب الشعب الجزائري في سن مبكرة، وكان من رواد بث فكرة الاستقلال والتنظيم بمنطقة القبائل وهما مبدآن عزيزان على الحزب في تلك الأيام العصيبة من سنتي 1945-1946. ولم يكن يتردد في التضحية بدراسته والارتماء في خضم النضال ومشاركة المطاردين من طرف الشرطة، والظروف الخطرة التي كانوا يعيشونها في الجبال وفي حدود السرية، وللحقيقة أن في سلوكه وأفكاره ميلا للاعتزاز بمنطقة القبائل التي هي مسقط رأسه على حساب الجزائر كوطن للجميع، وقد ذهب في كتابه الآنف الذكر الى حد القول: «بعد أفريل 1946 أخذت أشارك في اجتماعات المكتب الوطني للتنظيم بصفتي ممثلا لمنطقة القبائل، وقد كشفت حينها أن من بين 14.000 منخرط في الحزب بالتقريب أكثر من 10.000 من منطقة القبائل فضلا عن المتعاطفين. وأن الحزب ما كان ليعيش ماليا لولا مساعدتنا». ونلاحظ تناقضا صارخا بين هذه الأرقام وأرقام أخرى يذكرها المؤلف في نفس الكتاب، حيث يقدر عدد المناضلين بمنطقة القبائل غداة 8 ماي 1945 بـ 800 مناضل على أحسن تقدير (ص:36) ملاحظا بنفسه أن هذا العدد «تبخر» تماما في 19 ماي عندما أذنت ساعة العمل الثوري.

ويضيف: «أن أغلب المناضلين الذين تم احصاؤهم كانوا في الواقع متعاطفين بالمعنى الوجداني للكلمة» (ص: 37). فكيف يجزم بعد ذلك أن عددهم في أفريل 1946 «يتجاوز 10 آلاف مناضل في منطقة القبائل فضلا عن المتعاطفين» (ص: 67).

فأية معجزة هذه التي جعلت عدد المناضلين يتضاعف في أقل من سنة واحدة (من ماي 1945 الى أفريل 1946) من 800 الى أكثر من عشرة آلاف أي أكثر من عشر مرات؟!

وقد طلبت من بوده تدقيقا في هذه المسألة على أن يمنحني بعض التوضيحات فكان جوابه: وكنت رفقة محمد الأمين الدباغين نعقد - بصفتنا عضوين في المكتب السياسي 1946 و1947 - اجتماعات بمسؤولي الناطق لتسوية المشاكل التي تواجههم وتبليغهم توجيهات القيادة في نفس الوقت، ولم يكن آيت أحمد ممثلا لناحية القبائل يومئذ. بل كان وعلي بناي، وقد كنت آنذاك مسؤول التنظيم على المستوى الوطني.

وكان عدد المناضلين بهذه الناحية بالتقريب ألفا ومئتي مناضل، بينما كان عدد مناضلي العاصمة وحدها أربعة آلاف مناضل وحتى 1948 ارتقى العدد الاجمالي للمناضلين الى عشرين ألف في كل القطر، لكن ما لبث أن تقلص هذا العدد مرة أخرى في أعقاب القمع الذي سلطته إدارة نيجلان (Naegelen) على الحزب في أفريل من نفس السنة».

ونجد شهادة بوده ما يدعمها في شهادة السعيد عمراني عضو قيادة الحزب سنتي 1944-1945 الذي يقول: «في سنة 1945-1946 كنت مسؤولا عن عمالة وهران بينما كان على رأس عمالة قسنطينة بلوزداد ومنطقة القبائل بناي وجنوب الجزائر الوسطى امحمد بن مهل. وقد كنا نجتمع شهريا كلجنة تنظيم بحضور عضو من اللجنة المديرة، وكان عملنا يتلخص في تقديم عروض حول مختلف النشاطات ودراسة الأوضاع المستجدة مع تبليغ توجيهات القيادة، ومن بين النقاط التي كنا نتعرض لها دوريا المسائل المالية وتعداد المناضلين». ويؤكد عمراني بخصوص النقطة الأخيرة: «ان العدد الاجمالي للمناضلين بين 1945 و1946 كان يتراوح ما بين 9 و 12 ألفا موزعين كالتالي:

- 4.000 بالعاصمة أي الثلث.
- بمنطقة القبائل ما بين 800 و1.200.
- عمالة قسنطينة وتأتي في الطليعة مدينتا سكيكدة وعنابة، وأخيرا جنوب ووسط الجزائر. وكان أقل عددا عمالة وهران باستثناء مدينتي وهران ومستغانم.

أما المداخيل المالية فيؤكد عمراني أنها ولم تتجاوز أبدا مليون فرنك (سنتيم)، ومصدرها اشتراكات المناضلين والمتعاطفين وهبات بعض الأعضاء المحسنين. وكان المسؤول الدائم يتقاضى شهريا 5.000 فرنك (قديم)».

مشادات بين المناضلين وراء قضبان السجن:

وفي السجون أيضا يكتب تاريخ الاحزاب الثورية، حيث كثيرا ما يحتدم الصراع بين مختلف التيارات. فقد كان في سجن تيزي وزو قرابة مائة مناضل يتصدرهم الطاهر المعجوزي الناطق باسمهم لدى إدارة السجن، وهو مناضل قديم سبق أن تحمل مسؤولية حزب الشعب - حركة الانتصار بناحية البويرة والأخضرية 1946-1947 ورشح في انتخابات المجلس الجزائري التي جرت في أفريل 1948، وأثناء الحملة الانتخابية تم اعتقاله وحكم عليه بثلاث سنوات سجنا وبعشر سنوات نفيا، مع غرامة مالية قدرها أربعمائة ألف فرنك (قديم) ولم يفرج عنه الا في 3 أفريل 1951.

كان للعجوزي تأثير على رفاق المحنة وذلك لما كان يتميز به من شخصية قوية ويقظة دائمة وجنوح الى العدل والانصاف. وبحكم منصبه هذا وجد نفسه داخل دوامة المناورات السياسية لدعاة النزعة البربرية المسجونين معه، وهم وعلي باي وعمارولد حمودة وعمر أوصديق وآيت مدّري والسعيد أوبوزار وعلي فرحات والسعيد ساحلي مرشح الحزب عن دائرة عزازقة في انتخابات أفريل 1948. فقد كان هؤلاء يقومون بحملة ارجاف مكشوفة تجاه السجناء عامة، وخاصة المقبوض عليهم في الجبال، وبالأخص منهم جماعة 1945، وكانت الحملة تستهدف ضرب قيادة الحزب اذ كانوا يستغلون أبسط الأسباب لإيغار صدور السجناء عليها والنيل من سمعتها بينهم.

ولم يكن بعضهم يتحرج من الادعاء بأن قيادة الحزب قد تركت المساجين وشأنهم، والترويج لدعاية مسمومة مناهضة للعرب والمسلمين يستمدونها من أدبيات الشيوعية وآراء الدارسين المهتمين بالبربرية، ويغذونها – لسوء الحظ – بهزيمة العرب في فلسطين ومما كانوا يرددونه في هذا الصدد: «ان هذا الدين – الاسلام – هو الذي حال بيننا وبين التقدم بالإضافة الى العرب ولغتهم، فهذه الديانة هي سبب مآسينا، انها ديانة شعوب في طريق الانحطاط».

إن هذه الدعايات الكاذبة استهدفت عامة المساجين، وأكثرهم أميون ومنهم من نجا من مجزرة 8 ماي 1945 ومنهم من كان مطاردا بتهمة محاولة اغتيال شخصيات إدارية، ومن ألقي عليه القبض بمناسبة انتخابات أفريل 1948. ولحسن الحظ فإن هذه الدعاية (المناهضة للعروبة والإسلام) لم تؤثر في أغلبية المعتقلين وإن أحدثت شيئا من البلبلة في الأذهان نظرا لسمعة مروجيها ومقدرتهم على الاقناع، ومرد هذا الفشل الى أنّ أكثر المعتقلين كانوا مسلمين ملتزمين انحدروا من مناطق يقدس سكانها القرآن الكريم ويحبون اللغة العربية، ومن ثمة لم يتأثروا بهذه الدعاية الكاذبة. والواقع أنه لا فرق بين العروبة والاسلام سواء بالجزائر أو في باقي أقطار المغرب على عكس ما هو سائد بالمشرق، حيث هناك فرق بين العروبة والاسلام لكون العرب في المشرق منهم المسلمون ومنهم المسيحيون.

غير أن حملة التشهير بقيادة الحزب وجدت صداها لدى لسجناء الذين اقتنعوا بسهولة بدعوى إهمال القيادة لهم، وهو ما بعث فيهم الكآبة والغم بالإضافة الى ما كانوا عليه من بؤس وعوز. فبعد وحشية استنطاقات أجهزة الشرطة ومعاناتهم لعذاب حبس لا يبدو له نهاية، يتطلب منهم جهدا دائما ومستمرا، كان هؤلاء المساجين المناضلين – أحيانا – يغرقون في دوامة الشك حينما ينظرون الى خطورة التهم المنسوبة اليهم (العديد منهم كانوا متهمين بعدة جرائم). وعلى ذلك فإنهم ما فتئوا أن أصبحوا ضحية الريبة وعدم الثقة خاصة وهم يجدون أنفسهم وسط المشاجرات المرتبطة بوضعية السجون ونظام السجون.

فنجم عن ذلك جو خانق من الريبة والكراهية والاحقاد بين مجموعة العجوزي التي تمثل الأغلبية ومجموعة النزعة البربرية. هذه الوضعية جعلت السجناء يعيشون تحت الضغط في حالة استنفار دائم، حتى إن الرجل كان ينام وتحت فراشه أيّة أداة معدنية حادة تمكنه من الدفاع عن نفسه في حالة لاعتداء عليه. ومن الطبيعي أن تتأجج العواطف في مثل هذا الجو المشحون طالما أن المرض كان حقيقيا وعميقا وقد وجدت إدارة السجن الفرصة لاقحام نفسها في الصراع ومحاولة استغلاله.

وهكذا داهم ذات صباح رجال الدرك وشرطة الاستعلامات السجن وأخرجوا المعتقلين من الزنزانات وبطحوهم على بطونهم بعد تجريدهم من ثيابهم ثم أخذوا يمزقون كل ما لديهم من كتب ودفاتر ورسائل، يكسرون مواعينهم ويبعثرون أمتعتهم المتواضعة، ويخلطون مؤنهم بالمواد غير القابلة للاستهلاك. كان الهدف من هذه العملية التي أشرف عليها المحافظ هافار (HAVARD) من شرطة الاستعلامات هو إهانة الجميع والتراجع عن بعض الحقوق، كان المعتقلون قد حصلوا عليها بفضل كفاحهم المرير وآلامهم القاسية. وأمام هذه الإهانة لم يجد المعتقلون بدا من الوقوف صفا واحدا في مواجهة إدارة السجن.

وفي خارج السجن وقع حادث مؤسف بين حنفي فرنان مسؤول حزب الشعب - حركة الانتصار في منطقة القبائل المتابع من طرف الشرطة، وعلي فرحات المعروف بميوله البربرية، وهو مناضل قديم بنجم شمال افريقيا، وهو من تيزي راشد، أعيد الى الحزب بعد أن فصل منه في السابق، وكان يتميز بعجرفته وقساوته، وقد استفز ذات يوم سي الحنفي وتحداه بمسدسه فكان مسؤول الحزب أسرع منه فأصابه في كتفه إصابة نقل على إثرها الى مستشفى تيزي وزو.

هذا الحادث أثار ضجة كبيرة يومئذ لأن إدارة الاحتلال كانت على علم بالتوتر القائم بين الحزب ودعاة النزعة البربرية.

والجدير بالذكر أن الأغلبية الساحقة من مناضلي منطقة القبائل لم تتأثر بهذا العمل الايديولوجي التخريبي، لأن إشعاع الزوايا ظل قويا بالمنطقة لاسيما أنها كانت من أحسن المدافعين عن الاسلام واللغة العربية ومع ذلك مست الأزمة بعض أعضاء المنظمة السياسية والمنظمة الخاصة.

العروبة و الإسلام:

نحاول الآن تقديم بعض التوضيحات حول مفهوم جوهري ألا وهو مفهوم العروبة الذي هو مفهوم ثقافي أساسا، فهو لا ينحصر في سكان الجزيرة وحدهم، إذ أنه لا يقوم على العرق أو اللون، ذلك أن هناك شعوبا سمراء مثل الشعب السوداني تعلن انتماءها للعروبة، حيث أن السودان عضو في جامعة الدول العربية فالعرب يشعرون بالانتماء الى ثقافة واحدة شأن الأنجلوسكسون (بريطانيا، أمريكا الشمالية) أو اللاتينية (فرنسا، ايطاليا، اسبانيا، لبرتغال، أمريكا الوسطى والجنوبية) الذين يشعرون أن تيارا ثقافيا مشتركا يربط بينهم.

لاشك أن شمال افريقيا قبل مجيء العرب كانت عامرة بالأهالي الذين قاوموا غزاة كثيرين، ومازال التاريخ يذكر الكفاح المتواصل والحروب التي خاضوها ضد الرومان، وذلك تحت إمارة ملوك، نذكر على سبيل الشهرة ماسينيسا ويوغرطا، وقد كان الاحتلال الفرنسي أشبه ما يكون بالاحتلال الروماني، ولا أدل على ذلك من كونه اتخذه مرجعا له.

واللاحظ أن الجزائريين والفرنسيين لم يكوّنوا مجتمعا مندمجا، بل ظلوا يكونون مجموعتين متمايزتين في تعايش طيلة أزيد من قرن وربع قرن دون أن يحدث بينهم تواصل واندماج، وكانت العلاقة بينهما علاقة غالب ومغلوب، مسيطر ومسيطَر عليه، تماما مثلما كان الأمر في العهد الروماني، أي على طرفي نقيض لعلاقات التواصل التي يدعو اليها الاسلام في إطار رؤية جديدة قائمة على المساواة المطلقة والتضامن والأخوة بين الناس وبين الشعوب، وبفضل الدين الاسلامي

الحنيف انصهر العرب والبربر في بوتقة واحدة انصهارا عميقا وخصبا لم يسبق له مثيل، وقد تيسر ذلك بفضل تعاليم الاسلام العامة لكافة الناس جنسا ومكانا وزمانا. ورسالته الداعية الى الحرية والعدل، وكذا انتشار اللغة العربية لغة القرآن الكريم التي أصبحت لغة الحضارة الاسلامية بدون منازع. واذا كان الجزائري يريد أن يتعرف على الفترة الزاهرة من تاريخه فقد كان يتعين عليه أن يبذل جهدا فرديا ومضنيا في البحث والتقصي من أجل الاطلاع على مؤلفات بعض المؤرخين الفرنسيين القلائل الذين كانت تتوفر فيهم صفة النزاهة والموضوعية. ويجدر بنا أن نذكر في هذا الصدد وجود المدرسة الفرنسية للناطقين بالقبائلية والناطقين بالعربية، وكذلك بعض المؤرخين الاستعماريين الذين كانوا يعتبرون البربري «آخر همجي أبيض» ويتحدثون بكل بساطة عن «الثوابت» البربرية المتمثلة في الانقسام والتقهقر. لقد تعرض المغرب العربي كله الى سلب شخصيته حيث حاولت الكنيسة تنصير المسلمين، ففي المغرب الأقصى كان إصدار الظهير البربري سنة 1931 يستهدف إقصاء التشريع الإسلامي عمن سكان جبال الأطلس، كما قامت الديبلوماسية الفرنسية من جهتها بعزل المغرب والجزائر خاصة عن العالم العربي الاسلامي، وكانت الفرنسية هي اللغة الرسمية. ولم تكن الجزائر في نظر فرنسا سوى بلد لا تاريخ له ولا ثقافة ولا تقاليد، وسكانها عبارة عن فسيفساء من مجموعات عرقية متخلفة ومتمردة ليس أمامها غير اختيار واحد هو إمّا الوقوع في أحضان فرنسا وإمّا الفناء.

ولاشك أن هناك فرقا لغويا بين الناطقين بالعربية والناطقين بالبربرية لكن هذا الفرق دأبت سياسة الاستعمار على تضخيمه.

وفي هذا السياق تتجلّى النزعة البربرية كمشكلة مفتعلة اختلقها الاستعمار منذ أن وطئت أقدامه أرض الجزائر. إن المشكلة لم يسبق أن طرحت من قبل، وقد لفقها من أجل تقسيم وحدة الشعب الجزائري «فرق تسد». وأثناء الحرب التحريرية ومع وصول الجنرال ديغول الى الحكم في فرنسا، كان أول اجراء اتخذه هو اللجوء الى تطبيق سياسة التفرقة. وفي 19 سبتمبر 1959 أعلن عن فكرته الخاصة بمبدأ تقرير المصير.

مبدأ تقرير المصير

ان نضال شعبنا البطولي بعد خمس سنين من حرب ضروس والضغط الدولي ألزما ديغول باقتراح اجراءات ملموسة لحل القضية الجزائرية التي أصبحت تكلف فرنسا أكثر فأكثر وتهددها في صميم وحدتها الوطنية، لكن كيف؟ أعن طريق تقرير المصير، بتنظيم استفتاء على ثلاثة اختيارات: اما الاستقلال، واما المشاركة مع فرنسا، واما الفرنسة (Francisation).

رفض ديغول الاستقلال والفرنسة واختار المشاركة بحيث تكون «حكومة الجزائريين من الجزائريين والاتحاد وثيق معها (أي فرنسا) فيما يتعلق بالاقتصاد والتعليم والدفاع والعلاقات الخارجية»: أي الحكم الذاتي الذي يعني السيادة المحدودة، وبما أن هذه (السيادة) لايكتفي بها ديغول فلقد عمد الى تجزئة الأمة لاضعافها. يتصور ديغول مناطق ذات حكم ذاتي على أساس مجموعات عرقية مبنية على نظام فيدرالي. كما يقول ديغول: «تجد هذه المجموعات المختلفة- الفرنسية والعربية

والقبائلية والمزابية الخ، التي تتعايش في هذا البلد، ضمانات تتعلق بحياتها الخاصة وإطارا للتعاون فيما بينها». ذلك هو النظام الفيدرالي الذي هو امتداد للقانون الأساسي لـ لانييل (Laniel)، 1958، الذي يهدف في الواقع الى تجزئة الجزائر.

واجهت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية المفوّضة آنذاك باسم جبهة التحرير هذا المفهوم التجزيئي بمفهوم الأمة الجزائرية المكونة من شعب واحد منذ عصور عديدة، ذي تاريخ واحد وثقافة عربية اسلامية أعطت الجزائر وجهها الحقيقي وشخصيتها القوية في كفاحها ضد الاستعمار. والى جانب هذا الشعب توجد أقلية مسيطرة، ألا وهي الأقلية الأوروبية حيث اتخذها ديغول ذريعة لابقاء امتيازات المعمرين. ولابد أن يجد هذا المشكل حلا في اطار دولة جزائرية موحدة.

وقد تجلى دور الإسلام هنا بوضوح اذ هو الذي شكل الهوية الثقافية للجزائر، كما تجلى بصورة أكيدة دوره الأساسي في تحطيم الحواجز العرقية والاجتماعية بين الأفراد، وكان المصدر الأساسي للوعي الوطني وتطوره لدى المواطنين.

لقد نادى دعاة النزعة البربرية (البربريست) بعد الاستقلال علانية بالاعتراف بالعربية والبربرية كلغات وطنية رسمية. وفي الحقيقة فانه لا توجد لغة بربرية واحدة وانما لهجات بربرية تتضمن نسبة عالية من الكلمات ذات الأصل العربي فهناك اللهجة القبائلية المستعملة في منطقة القبائل الصغرى والقبائل الكبرى مع بعض الاختلاف، وهناك الشاوية (الأوراس) والشوية والتارقية (الهقار) والمزابية وهلم جرا. فأيا منها نختار؟ وكيف نبرر اقصاء اللهجات الأخرى اذا أردنا أن ترسم احداها؟ ان هذا لم يفت متخصصي وخبراء اللهجات البربرية ولذلك فهم يقترحون لغة واحدة هي "تامشقت" التي مازال التوارق يتكلمونها في الهقار ويستعملون حروف "التيفناغ" لكتابتها. هذه الحروف التي يحاول هؤلاء المتخصصون احيا ءها من جديد. ويحاول علماء اللغة واللسانيات الفرنسيين أن يثبتوا ويجددوا هذه اللغة على مستوى المفردات والنحو والصرف واخراجها من طي النسيان لخدمة القضية. و«الاكاديمية البربرية» في باريس تبث دروس البربرية في أوساط المغتربين الجزائريين في فرنسا. وكذلك «معهد اللغات الشرقية» في باريس ومعاهد أخرى. أما اللهجة العربية الدارجة فهي تنحدر من العربية الفصحى التي بعد أن كانت لغة الحضارة الاسلامية فقد ضعف استعمالها لدى العامة عبر قرون الانحطاط والظلامية، وأدخلت ابان الاستعمار كلمات الى الدارجة من أصل فرنسي واسباني وإيطالي. وأصبحت هي لغة التواصل بين العامة مع اختلافها من ناحية الى اخرى. وقد ذهبت الدولة الاستعمارية الى حد تعليمها في المدارس الثانوية كبديل للعربية الفصحى وذلك لتمكين الأوروبيين الذين يرغبون في دراستها للمتاجرة مع أهل البلد الأصليين (Indigènes) وقد كانت العربية (سواء العامية أو اللغة الفصحى) تعتبر لغة ثانية بعد الفرنسية التي كانت الوحيدة حيث تعتبرها من اللغات الحية بينما تعتبر العربية الفصحى لغة ميتة على غرار الاتينية واليونانية القديمة. هذه الدارجة الفقيرة والهجينة العاجزة عن نقل حضارة عظيمة (مثلها مثل البربرية الموسومة بالأمازيغية) هي التي يقترحها اليوم دعاة النزعة البربرية كلغة وطنية. ومع العربية العامية فان العرب المثقفين لن يستطيعوا لا قراءة ولافهم تراثهم الثقافي. وسينقطعون نهائيا عن الشعوب الاسلامية الأخرى التي تحتاج، من أجل دوافعها الدينية الى تعلم لغة القرآن. وبفضل القرآن الكريم

انتشرت اللغة العربية بافريقيا الشمالية وأصبحت على مر الأيام لغة كافة أقطار المغرب الذي أضحى منذ الفتح الاسلامي جزءا لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي.

لقد عرفت منطقة المغرب العديد من النزاعات بين العروش والأسر المالكة وبين العشائر والقبائل، لكن هذه النزعات لم تشكك بأي شكل من الأشكال لا في الاسلام ولا في العروبة كمبادىء أساسية لا محيد عنها.

وكان كفاح الجزائر للظاهرة الاستعمارية في التاريخ المعاصر جزءا لا يتجزأ من كفاح البلاد العربية بالمشرق. فهذه البلدان التي كنا نحس ونتأثر من أعماقنا بكل ما يجري بها من أحداث، فحزب الشعب - حركة الانتصار كان يتابع باهتمام بالغ التطورات السياسية في هذه الأقطار لاسيما المناقشات الكبرى التي كانت تجري في رحاب الجامعة العربية. فقد ندد بتقسيم فلسطين منذ الإعلان عنه سنة 1947 ولم يكن هناك جزائري أبي لا تهتز مشاعره عند استماعه لأناشيد البلاد العربية، والمعروف أن فرنسا دأبت منذ احتلال الجزائر وبصفة منتظمة على تطبيق سياسة مسخ شيعة للشخصية الجزائرية، وذلك حيث حاولت بواسطتها هدم الاسلام باعتباره الركيزة الأساسية للمجتمع الجزائري، فوظفت لتحقيق هذا المشروع الضخم تاريخ البلاد والشعب وجعلت المؤرخين الاستعماريين يهبّون لرد الاعتبار الى الماضي اللاتيني (ما قبل الاسلام) للمنطقة، بتمجيد عصر الكنيسة التي استغرق عدة قرون كملة متجاهلين تماما أهمية إسهام الحضارة الاسلامية، وبأسلوب التزييف والتعتيم هذا أصبح التاريخ من أدوات الاستعمار الثقافي بالجزائر، فكثيرا ما يرد ذكر مرحلة ما قبل الاسلام للتنويه بالخصال الحربية للكاهنة لا لشيء إلا لأنها قاومت الفتح الإسلامي، ولا يخجل هؤلاء المؤرخون بتشبيه العهد الاسلامي «بالعهود المظلمة لمطقة المغرب، بسبب النزاع الأبدي بين العرب والبربر»، وهذه الأكذوبة الصارخة، ولسوء الحظ فعلت فعلها في نفوس وعقول بعض مثقفينا بالفرنسية.

إن هيمنة الايديولوجية الاستعمارية على التاريخ أدت الى تشويه العهد العربي الاسلامي لشمال افريقيا تشويها مستمرا، والتنكر لخصوبة تراثه الحضاري، بل تجاهل شخصيات بارزة مثل طارق بن زياد الذي فتح الاندلس، وبالتالي أوروبا للحضارة الاسلامية. وذهب التاريخ الاستعماري الى حد فرض مؤامرات صمت حقيقية على الممالك الكبرى كدولة المرابطين في عهد يوسف بن تشفين ودولة الموحدين في عهد المهدي بن تومرت وعبد المؤمن بن علي، ويرجع السبب في ذلك الى كون هذه الدول العظمى والعديدة بتلك الرموز الشامخة، كانت تمثل العصر الذهبي للمغرب الذي يشكل مع الأندلس دولة واحدة مزدهرة وقوية حيث كان يشعّ نور العلم والمعرفة والثقافة كأقوى ما يكون الاشعاع.

والواقع أننا لا نملك إلا استحسان كل ما يتعلق بشمال افريقيا وماضيها التاريخي الحافل بالانتصارات والآثار والمعالم الشهيرة المتناثرة عبر المطقة والتي تشكل مفاخر سكانها. لكن عندما يسخّر هذا الماضي التاريخي لتشويه الوجه الحقيقي لشمال افريقيا ومحاولة توجيهه وجهة مناقضة لشخصيته وهويته الثقافية أي جعله يتنكر لعقيدته الإسلامية وعروبته لصالح الهوية اللاتينية التي ما انفكت تترصده، وهذا دفعه إلى إدماج جديد، وتنكر لتراثه المشترك لصالح قيم ثقافية مستوردة. إننا نقف بثبات ضد هذا المسعى لأن مثل هذه التيارات تدفع به حتما نحو اللبننة.

ويمكن القول إن الأحداث التي تميز بها تاريخ الجزائر منذ أزمة النزعة البربرية قد أكدت صواب موقف قيادة حزب الشعب – حركة الانتصار. فالإسلام كان أهم دافع لحرب الاستقلال التي استغرقت سبع سنوات ونصف سنة، وكان العرب خلالها أحسن حلفائنا، وقد استعادت اللغة العربية مكانتها الطبيعية في الجزائر المستقلة. إن الاسلام دين عالمي يستوعب الثقافات واللغات التي تتميز بها الشعوب المختلفة التي تكون الأمة الاسلامية، لا يمكن أن يقبل دعوات تنطلق – مثل الدعوة البربرية – من رؤية جهوية متعصبة ومفرقة وقصيرة النظر، ورؤية تختلف اختلافا جذريا عن روح التسامح التي تمتاز بها العقيدة الاسلامية، هذه العقيدة التي تبدو أكثر ما تكون أصالة عندما تسمو لتحتوي اللغات والأجناس والأمم المختلفة. فاللهجات البربرية المستعملة في بعض مناطق الجزائر يمكن أن تدرّس أو تكون موضوع أبحاث علمية على مستوى التعليم العالي، والحالة هذه أليس من الأنسب أن تكتب بالحرف العربي عوض الحرف اللاتيني باعتباره عامل تقارب روحي ووطني؟

إن المغـرب بكامله – مـثل باقي أنحاء العـالم الثـالث – مـازال يرزح تحت نير الغـزو الفكري الغربي في أخبث أشـكاله الثقافية ووسـائله التكنولوجيـة الهائلة الأكثر تطورا، فلنعرف كيف نـصون وننمي هويتنا الثـقافية في ظل الوحـدة، حتى نتمـكن من مواجهة التحديات العديـدة والضخـمة التي تواجهـها.

ملحق رقم 3

اطروحات منظري ومحرضي ومؤسسي وأحزاب الحركة البربرية في عهد الاستقلال (من خلال النصوص والوثائق)

مجموعة من الوثائق الصادرة عن الأكاديمية البربرية (في باريس) التي أنشأتها فرنسا سنة 1967 بعد استقلال الجزائر. لخلق التيار المعارض للتعريب، ودعمه بالدعوة الى تعلم اللغة البربرية وإذكاء النعرات الطائفية والعرقية بين أفراد المجتمع الجزائري.

وتحتوي هذه المجموعة على خمسة وثائق (+ منشور سري عن الحركة البربرية). نلخص ترجمتها في الآتي:

الوثيقة رقم: (1):

«.. إنه لمن المؤسف - حقا - أن اللغة البربرية مهددة من جميع النواحي (الكلام موجه من الأكاديمية البربرية الى بعض أفراد المجتمع الجزائري) تارة بسياسة التعريب التي تهدف الى استئصال البربرية من جذورها.. وتارة بإهمال البربر أنفسه للغتهم.

إنه على الرغم من الغزوات اللغوية المتتالية، التي استهدفت بلاد (الجزائر) من (فنيقيين ووندال، بيزنطيين، وعرب، وإسبان، وأتراك، وفرنسيين) فإن اللغة البربرية ما انفكت تقاوم من أجل البقاء في هذه الأثناء، بدليل أنها ما تزال تتحدث بين 45٪ من سكان الجزائر (*) و60٪ من سكان المغرب و1٪ في تونس و30٪ في ليبيا.

ولقد واكبت، ونقلت اللغة البربرية إحدى أقدم الحضارات في العالم، وها أنتم اليوم ترون الحالة التي هي عليها، فلا داعي الى أن نحدثكم عنها، فتعليمها منعدم تماما في الابتدائي والثانوي، وفي جامعة الجزائر تدرس - مع الأسف - على نحو شبيه بطرق التدريس في الزوايا، فضلا عن أن الطلبة في آخر السنة الدراسية لا يجتازون الامتحان لنيل أية شهادة في اللغة البربرية، وذلك خلافا لموسكو، وفيلادلفيا، ولندن، وباريس، حيث تدرس اللغة البربرية ويمكن للطلبة أن يجتازوا الامتحان ويحصلوا بمقتضى نجاحهم على شهادة في اللغة البربرية، وهو ما يجعلنا نطرح التساؤل، هل يجب على البربري أن يذهب الى روسيا، أو أمريكا ليحصل على شهادة في اللغة البربرية؟

إن تاريـــخ شمـــال إفريقيـا كـما يدرس الآن، كله تزييف وتحريف، ويجب على البربر أن يتحـدوا ضـد جريمة اسمهـا العـروبة، وبالنسبة لنا جميعا (لسان حال الأكاديمية البربرية) هي مسألة شرف وكرامة.

وعليه فإن الأكاديمية تطبع نشرة شهرية تتناول فيها مسائل النحو، والتاريخ، والحضارة البربرية تتخذها كوسيلة موجهة للتحرر الثقافي للشعب الجزائري.

الإشتراك السنوي في هذه المطبوعات يعادل قيمة (14) دينارا جزائريا، بالعملة الفرنسية.

إننا نعتمد على تفهمكم، ومساهمتكم لتحقيق هذا الهدف، حتى نتمكن من أن نحتفظ للبربر بتراثهم الثقافي.

تحيا اللغة البربرية.

الأكاديمية البربرية، باريس في 1973/01/25.

(*) هذا رقم مبالغ فيه جدا، والرقم القريب من الواقع بالنسبة للجزائر هو يتراوح ما بين 12 و18٪ على أكثر تقدير.

الوثيقة رقم: (2) منشور سري:

أيها البربر استيقظوا!

أفيقوا من نومكم العميق الذي ظللتم تغطون فيه لقرون عديدة، دون أن تشعروا بأن هناك من يتربص بكم، لقتلكم شر قتل، دون أن تأخذوا حيطتكم.

إنهم يحاولون أن يفصلوا عنكم أبناءكم، وإذا لم تتداركوا هذا الأمر (أي التعريب)(*) فإنه سيتنكرون لكم (أي أبناؤكم)(*) بعد وقت ليس ببعيد، بل يصيرون أعداءكم.

حان الوقت لكي تفتحوا أعينكم قبل أن تفوتكم الفرصة (أي قبل تحقيق التعريب)(*) ولا تنفعكم الندامة حينئذ.

من جهة أخرى، انهم يزيفون (أي العرب)(*) تاريخكم دون أن تبالوا، ودون أن تدركوا أن الشعب الذي يضيع ماضيه لا مستقبل له تحت الشمس، ويخدرونكم دون أن تبدوا أية مقاومة، فأوشكتم أن تضيعوا روحكم.

تفرض عليكم عقائد، ومبادىء تتعارض مع تقاليدكم وحضارتكم العريقة.

يحاولون أن يطفئوا نوركم، ويحقنوكم بعقار يتلفكم، لأنه سيحولكم الى أناس لا ذاكرة لهم، ولا انتماء ولا ارتباط.

أليس الكثير منكم أصبح الآن لا يتلفت الى الوراء، الى ماضيهم الذي يستحيون منه وكأنه ليس من دواعي الفخر والإعتزاز أن يكون الفرد بربريا!!..

لقد أرقنا دماءنا (الضمير عائد على دعاة البربرية)(*) كثيرا من أجل قضايا لا تخصنا. كفى؟ لقد ظللنا مجرد مرتزقة في خدمة مختلف الأقوام الذين احتلوا ارضنا (يقصد هنا العرب وهو بيت القصيد)(*) لقد غزونا إيطاليا لحساب أمجاد حنبعل، وفتحنا إسبانيا وجنوب فرنسا لحساب العرب الذين ما نزال نشبهه بهم، يجب علينا (الضمير عائد على دعاة البربرية المعادين للتعريب)(*) أن نضع حدا لهذا اللبس (أي عدم التفريق بين العرب والبربر في الجزائر)(*).

إننا لسنا عربا ولا حتى ساميون.

قاوموا، عارضوا، قبل فوات الأوان! ذلك أن اليوم الذي يمر، يقربنا -أكثر- من الاضمحلال والزوال!.

الأكاديمية البربرية (1973)

(*) أن لكلام المدرج بين قوسين في النص هو من تعليق المؤلف وليس موجودا في النص الأصلي المرسل باللغة الفرنسية من باريز إلى بعض الجزائريين داخل الوطن.

BERBERES, MES FRERES !

De tout temps, nous avons donné notre sang en abondance, et pour des causes qui n'étaient pas les nôtres. Ce faisant, nous n'avons été que des mercenaires au service de nos divers occupants . Nous avons en effet envahi l'Italie ... pour la gloire d'Hannibal. Nous avons également conquis l'Espagne et le Midi de la France ... pour le compte des Arabes avec lequels on continue à nous confondre .

Cette confusion doit cesser .

Nous ne sommes pas des Arabes, ni même des sémites .

Réagissons ! Réagissons donc pendant qu'il est encore temps ! Car, chaque jour qui passe nous rapproche du néant où l'on veut nous engloutir .

**VIVRE , SANS HONNEUR ETAIT
CHOSE IMPENSABLE POUR NOS AIEUX .
MONTRONS-NOUS DIGNES D'EUX , ET NOUS
SERONS SAUVES.**

AGRAW IMAZIGHENE, 5, Rue d'Uzès 75002 PARIS tel: 236.08.49

BERBERES, REVEILLEZ-VOUS !

Sortez de ce long sommeil où vous vous êtes plongés depuis de longs siècles. Du reste, ne vous rendez-vous pas compte que l'on est en train de vous tuer brutalement, sans même prendre la précaution de vous insensibiliser ? Et vos enfants qu'on s'active à séparer de vous et de tout ce que vous représentez ! Si vous ne réagissez pas maintenant, vous ne vous reconnaîtrez plus bientôt en eux . Ils deviendront même vos ennemis. Aussi, est-il temps que vous ouvriez les yeux, car demain il sera trop tard .

Par ailleurs, on falsifie votre histoire et vous restez passifs, ignorant qu'un peuple séparé de son passé n'a plus d'avenir propre . On vous drogue à cet effet, et vous vous laissez faire au risque de perdre votre âme, si noble et si ardente. On vous impose des doctrines, des principes qui jurent avec vos traditions et votre civilisation plusieurs fois millénaires. On cherche à éteindre votre lumière intérieure et on injecte dans votre organisme, pourtant si solide, un sérum qui vous perdra, parce qu'il donnera naissance à un autre être que vous, un être sans mémoire et sans attâches. Beaucoup d'entre vous, ne commencent - ils pas déjà à ne plus regarder derrière eux, à tourner le dos à leur passé dont ils ont honte ? Comme si ne pas être BERBERE constitue une promotion ?

الوثيقة رقم: (3):

أبجدية البربرية (*)

وإذا كان العرب يدينون (في وضع حروفهم الهجائية)(*) بالفضل للأراميين، والأوروبيين يدينون للفينيقيين.. فإن البربر لا يدينون لأحد، في وضع الحروف الهجائية للغتهم.. أي أنهم قد اخترعوا - إذن - هذه الحروف التي ترجع الى عهد ضارب في القدم (3000 سنة) والتي حافظ لنا عليها إخواننا التوارق في الصحراء»..

الوثيقة رقم: (4):

«الكثير من الناس يعرفون أن العرب أتوا الى بلادنا في القرن السادس الميلادي، حيث نعرف أن بلادنا كانت دولة قوية... (هذا غير صحيح، فقد كانت البلاد مستعمرة بيزنطية)(*) ونستطيع أن نتساءل، هل كان أسلافنا لا يحسبون بلغتهم؟ (أن الحساب الآن في لهجات اللغة البربرية، كله بالعربية، ماعدا منطوق الرقم: 2،1)(*).

من حسن الحظ أن التوارق، والميزابيين والشلوح.. ما يزالون يحسبون باللغة البربرية، واليكم فيما يلي هذا الترقيم، آملين أن نكون قد لبينا رغبة قرائنا».

تعليق المؤلف:

الأرقام مثبتة في الوثيقة رقم: (4) مع العلم أنها غير مستعملة، ومجهولة تماما لدى من يدعون أنهم بربر في الجزائر أو في بلاد المغرب العربي كلها (باستثناء التوارق) وهي أعداد تلفظ ولا تكتب، أي لا تستعمل الترقيم البربري إلا في الحديث الشفوي، وإذا أراد أحد أن يرقم شيئا فعليه أن يكتب منطوق العدد كاملا مثلا: إذا أراد كتابة (1129) يكتب: (ألف ومائة وتسعة وعشرون بالحروف البربرية) (!!)

* ملاحظة:

كل الكلام الوارد في النص بين قوسين (....) هو من إضافة المؤلف كتعليق على مضمون النص. أما الحروف الواردة في الوثيقة (3) فلقد تعذر نقلها بالآلة، لأنها تكتب باليد فقط، وهي شبيهة الى حد بعيد بالهيروغليفية، والصينية!

الوثيقة رقم: (5):

وهي عبارة عن مجموعة من الأقوال المنسوبة إلى بعض الكتاب والباحثين والمؤرخين الفرنسيين.

«إن جهل فرنسا لماضي شمال إفريقيا، أمر سيذهل أحفادنا».

لويس، بيرتران (من الأكاديمية الفرنسية)

«هل تعرفون أن من بين الـ 600.000 جزائري الذين يعملون في فرنسا، حوالي 400.000 منهم لا يتكلم اللغة العربية وبالتالي فهم ليسوا عربا، بل "قبائل" (أو بربر)؟»

«يجب الأخذ في الاعتبار، الوضع الذي خلقته فرنسا نفسها، والذي نظن بموجبه أن الجزائريين عرب... والحقيقة أن نسبة العرب في الجزائر لا تتجاوز 3 أو 4٪، وأن الجزائريين هم في الواقع بربر أو (قبائل)».

ج. لـ. دي شومان

(تاريخ جبهة التحرير الوطني، ص 21).

«عموما يجهل الناس أن سكان تونس والجزائر والمغرب هم تقريبا كلهم بربر، إلا أننا نصفهم بكل وقاحة عرب»!!

أ. جوليان

(تاريخ شمال إفريقيا) (ص: 10)

«يبدو لدى الكثير أن شمال إفريقيا ما هو في الحقيقة إلا امتداد أو فرع من الجزيرة العربية، ولا يهمهم إذا كان في جزئه الأكبر، يقع غرب خط الزوال لباريس، لماذا؟ من أجل الإسلام؟ ألم تأت المسيحية من المشرق أيضا؟ لماذا لا نعتبر أيضا الفرنسيين والأنجليز مشارقة»؟

حسين مترقي

(نظرة عامة من التاريخ البربري، ص: 19).

«إن سيطرة الدين الإسلامي واللغة العربية التي هي وسيلة نقله، جعلت الأوروبيين يظنون، وخاصة بعد دخولهم الجزائر، إن شمال إفريقيا يقطنها العرب لوحدهم.. ولكن في الأخير اتضح أن شمال إفريقيا، هي بربرية حقيقية، حيث فئة ضئيلة عربية تهيمن على أغلبية محلية لم تتغير كثيرا»

أوجان قيروتي

(البربرية الإسلام وفرنسا)

" L' IGNORANCE FRANCAISE DU PASSE DE L' AFRIQUE DU NORD EST UNE CHOSE QUI STUPEFIERA NOS DESCENDANTS "

LOUIS BERTRAND, de l'Académie Française

"Savez-vous que, sur les 600.000 Algériens qui travaillent en France, 400.000 environ ne parlent pas l'arabe et ne sont donc pas des Arabes, mais des Kabyles (ou Berbères)? "

" Aujourd'hui on ignore généralement que la population de la Tunisie, de l'Algérie et du Maroc est presque exclusivement formée de Berbères que l'on qualifie audacieusement d'arabes."

C.-A. Julien
Histoire de l'Afrique du Nord page 10.

" Il faut tenir compte du fait créé par la France elle-même, qui veut que les Algériens soient Arabes ... alors qu'il n'y a pas plus de 3 à 4 % d'Arabes en Algérie ; que les Algériens sont en réalité des Berbères (ou Kabyles)."

J.-C. Duchemin
Histoire du F. L. N., page 21.

" La prédominance de la religion musulmane et de la langue arabe qui lui sert de vehicule, avait fait croire aux Européens, en particulier à l'époque de la conquête de l'Algérie, que l'Afrique du Nord était exclusivement peuplée d'Arabes . Mais on a finalement reconnu que cette Afrique du Nord est véritablement une Berbérie où une mince couche arabe repose sur un substratum autochtone à peine modifié."

Eugène Guernier
La Berbérie, l'Islam et la France .

" Pour bien des esprits, l'Afrique du Nord n'est qu'un prolongement, une sorte de tentacule de l'Arabie : peu importe qu'elle se situe, dans sa plus grande partie, à l'ouest du méridien de Paris. Pourquoi ? A cause de l'Islam?

Mais le Christianisme, lui aussi, ne vient-il pas d'Orient, et les Français et les Anglais sont-ils pour autant des Orientaux ?"

Hocine Mtouggui
Vue Générale de l'Histoire Berbère, page 19.

«انظروا الى البلادن التي فتحها العرب: غابت فيها الحضارة، وحتى السكان، وحتى الثرى يبدو عليه تغيير طبيعته»
ابن خلدون [*]

«لقد أعطى البربر لروما أباطرة كانوا في الريادة ضباطا عظماء، وكان لديهم رجال ممتازون: ماسينيسا، أبولي، بوبا الثاني، القديس أغسطين...».
الجنرال بريمون (بربر وعرب)

«إن عبقرية البربر هي التي وضعت ولأول مرة قاعدة العقلانية (القديس أغوستين) وهي أول من طالب بحرية الفكر (ابن رشد)»[*].
(أوجان غيرني)

«إن البربر لا يُقيّدون لا عن طريق الخوف، ولا عن طريق الإحسان».
(سالوستر - مؤرخ لاتيني)

---

[*] لم يشر النص الى مصدر هذا لقول «المغرض» المنسوب لابن خلدون (؟!). فهل قاله في المقدمة أم في التاريخ أم في..؟!

[*] متى أصبح ابن رشد من أعلام الأكاديمية «البربرنسية»؟!

" Voyez tous les pays conquis par les Arabes : la civilisation en a disparu, ainsi que la population ; le sol même parait avoir changé de nature ."

Ibn khaldoun
Prélogomènes .

" C'est le génie des Berbères qui, le premier, a formulé l'axiome du rationalisme (Saint Augustin) et revendiqué la liberté de la pensée (Averroès)."

E.Guernier
opuscule cité.

" Les Berbères ont donné à Rome des empereurs qui furent parmi les meilleurs, de grands généraux, Ils ont eu des hommes remarquables : Massinissa, Apulée, Juba II , Saint Augustin..."

Général Brémond
Berbères et Arabes .

" Le Berbères ne s'enchainent ni par la crainte ni par les bienfaits."

Salluste, historien latin
86-35 avant J.-C.

" C'est l'épée des Berbères qui a décidé de la victoire à Cannes."

Tite-Live
59 avant, 17 après J.-C.

Communiqué de l'Académie Berbère - Agraw Imazighène
5, rue d' Uzès - PARIS 2e - Tél : 236 - 08 - 49

الوثيقة رقم: (6):

نداء الى طلبة الثانويات (*)
أفريل 1980 - أفريل 1987

إن يوم 20 أفريل 1980 والأحداث الدامية التي اتسم بها تبقى راسخة الى الأبد في ذاكرة كل الجزائريين التقدميين، لأنها تمثل منعطفا تاريخيا في التاريخ السياسي والثقافي للبلاد.

في الواقع، هذه هي المرة الأولى التي تتجرأ فيها الجماهير الشعبية، بعد انتظار طويل، لتسعى الى تحررها من نظام تافه يدعي مؤيدوه بأنهم يدافعون عن مصلحة الشعب. ومن خلال خطبهم الديماغوجية لا يتوقفون عن تأكيد عروبة الجزائر. وهذا يمكن دحضه لأنه يستند على أسس تاريخية صحيحة من الناحية الإنثروبولوجية أو اللغوية...

نؤكد لكم أن حركتنا ليست عنصرية ولا انعزالية.

أيها الأخوة الطلاب والطالبات، سواء المعربون منكم أو البربروفون Berberophones لا يجب أن تنخدعوا بمن يدعون أننا عنصريون أو انعزاليون لغرض تفريقنا والسيطرة علينا أكثر.

نعم للاشتراكية العلمية.

نعم للوحدة الوطنية.

لا للسيطرة العربية الإسلامية.

نعم لحرية التعبير.

(*) هذا النداء عبارة عن منشور (سري) للحركة البربرية موجه الى الطلبة في ذكرى مظاهرات 1980 والمنشور موجه بالفرنسية وحدها (تعريب المؤلف).

ملحق رقم 4

علاقة المخابرات الفرنسية بالحركة البربرية في الجزائر هذه مجموعة من الوثائق الرسمية والتعاليق الصحفية عليها، وهي منشورة ضمن ملف خاص انفردت به مجلة ليبراسيون الفرنسية في عددها الصادر يوم 1980/07/08.

(الترجمة للمؤلف)

جريدة ليبراسيون: 8 جويلية 1980

الركن السياسي

«بيرفيت» المخابرات ومنطقة القبائل (العنوان الأول)

بمناسبة انعكاسات قضائية لقضية قديمة، ومناورات مؤسسة قديمة (الأكاديمية البربرية)، نلاحظ تسرب شبح المخابرات الفرنسية والجزائرية. وضمن هذا الديكور، فوجئنا!! بتوقيع الآن بيرفيت، حافظ الأختام نفسه، على وثيقة أقل ما يقال عنها أنها عبارة على تدخل خطير في شؤون القضاء في فرنسا من جهة، والشؤون الداخلية للجزائر من جهة أخرى، وهذا يؤكد حتما، أن الاهتمام بالحركة البربرية .الهوية الثقافية القبائلية كبير في أوساط الحكومة الفرنسية.

عندما "يهتم" حافظ الأختام وزير العدل والمخابرات الفرنسية والجزائرية بالحركة البربرية

إن حافظ الأختام رجل غير حذر، فرغم تكذيبه الخبر المتعلق بوثيقة حررت بيده، وكشفت خيانة أصدقائه من التجمع من أجل الجمهورية أر بي أر، إلا أنه لا يستطيع إقناع الرأي العام، وننشر هذه المرة وثيقة يتهم من خلالها وزير العدل بالتدخل الواضح في الشؤون الداخلية .لجزائرية، إذ أن الأمر يتعلق، لا أكثر ولا أقل، بالاستغلال الأمثل للخصوصية البربرية في فرنسا لخدمة مصالح باريس، وينوي وزير العدل في الأخير التدخل في ملف جنائي يوجد في مرحلة التحقيق.

ضحيتان جديدتان ستهم من دون شك «الإليزي» (الرئاسة)، و «الكي دورسي»:

PEYREFITTE , BARBOUZES ET KABYLIE

Peyrefitte, les barbouzes

et les Kabyles

A l'occasion des retombées judiciaires d'une vieille affaire et des mésaventures d'une vieille institution - l' Académie berbère -, on voit se profiler les ombres des barbouzes françaises et algériennes. Et dans ce décor - oh ! surprise - apparaît la signature d'Alain Peyrefitte, le Garde des Sceaux lui-même, au bas d'un document qui constitue une grave ingérence dans les affaires de la justice française comme dans les affaires intérieures de l'Algérie. Décidément, du côté du gouvernement français, on s'intéresse beaucoup au mouvement berbé-rophone et à "l'identité culturelle" des Kabyles.

Quand le Garde des Sceaux, le SDECE et les services algériens " s'occupent " du mouvement berbèrophone

Le Garde des Sceaux est un homme imprudent. Ses démentis affichés, au sujet d'un document rédigé par lui et mettant en lumière la "trahison" de ses propres amis du RPR n'avaient pas convaincu l'opinion. Cette fois, nous publions un document où le ministre de la Justice se rend coupable d'ingérences à peine déguisées dans les affaires intérieures de l'Algérie, puisqu'il s'agit ni plus ni moins d'utiliser au mieux le particularisme berbèrophone en France pour les intérêts de Paris . Enfin le ministre de la Justice se propose d'intervenir dans un dossier pénal en cours d'instruction. Deux nouvelles casseroles qui intéresseront à la fois l'Elysée et le Quai d'Orsay

LIBERATION 8 JUILLET 1980 .

حافظ الأختام
وزير العدل
أ. ج/د. ه

باريس في 31 ماي 1978

سيدي المحترم،

لقد اهتممت كثيرا بمذكرتكم حول أهمية الظاهرة البربرية في المغرب، والمنفعة التي تستطيع بلادنا أن تجنيها إذا عرفت كيف تلعب بالخصوصية البربرية.

أنتم فعلا على حق، وأنا متيقن من ذلك، وباستطاعتنا أن نأخذ بعين الاعتبار هذه الخصوصية، خاصة فوق التراب الوطني (الفرنسي).

سأبعث بنسخة من مذكرتكم هذه الى كل من وزير الداخلية ووزير الشؤون الخارجية.

وفيما يتعلق بوضعية السيد محند بسعود، سأطلع على الملف وسأرى فيما إذا أمكن إعادة النظر فيها!

تقبلوا سيدي، أسمى عبارات مشاعري.

آلان بيرفيت

السيد «جاك بينات»
رئيس بلدية «بوسك - لو - هارد».
5، شارع فافان،
75006، باريس

Le Garde des Sceaux
Ministre de la Justice

PARIS, le 31 MAI 1978

AB/DD

Monsieur,

J'ai été très intéressé par votre note sur l'importance du phénomène berbère au MAGHREB et le bénéfice que peut en retirer notre pays s'il sait jouer de la spécificité berbère.

Vous avez raison, j'en suis convaincu et nous pouvons sur le territoire national surtout, tenir compte de cette spécificité.

Je communique votre note au Ministre de l'Intérieur et au Ministre des Affaires Etrangères.

En ce qui concerne la situation de M. Mohand BESSAOUD, je vais m'informer, et compte tenu du dossier peut-être sera-t-il possible de réexaminer son cas ?

Veuillez agréer, je vous prie, Monsieur, l'expression de mes sentiments les meilleurs.

Alain PEYREFITTE

Monsieur Jacques BENET
Maire de BOSC-le-HARD
5, rue Vavin

75006 PARIS

جنح تدخل في شؤون الغير، وجنح أفضلية من إمضاء «آلان بيرفيت»

إن هذه الوثيقة المؤرخة بتاريخ 31 ماي 1978 والموقعة من طرف حافظ الأختام تستدعي التعاليق التالية:

1 - هذه المراسلة تثبت أنها صدرت فعلا عن أمانة الأختام، لأن شكل الرقن خاص بمصالح ديوان أمين الأختام أولا، ثم أن الخط والإمضاء للرسالتصادران عن «آلان بيرفيت» ذاته. وأخيرا فإن الرموز أ. ج./د. د AG/DD مستعملة فعلا من طرف المصالح الراقنة للوزارة، ولما سئلت عن الموضوع، فإن أمانة الأختام لم تؤكد الخبر، كما لم تنفه!

2 - أن المرسل إليه، السيد جاك بينات، قد أكد مصدر الوثيقة وأثبت شرعيتها، كما أنه أعترف بتسليمه نسخة منها الى السيد بسعود.

3 - فيما يخص الفقرة الأولى، والواضحة وضوح الشمس، هل يعقل أن يكون أمين الأختام يجهل شخصية السيد جاك بينات ومهامه؟ فإن هذا الأخير قد اتهم في سنة 1976 من طرف الصحافة والعدل الجزائريين، بانتمائه الى المخابرات الفرنسية، يكون السيد جاك بينات قد كلف من طرف «السداك» (المخابرات الفرنسية) ابتداء من سنة 1973 «بتوظيف» عناصر تائهة للعمل تحت إشراف مولود كعوان «معارض» للدولة الجزائرية، تحركه المخابرات الفرنسية، وجاك بينات، الذي كان يعتبر اختصاصيا في الشؤون الجزائرية تم التبليغ عنه كعميل مكلف بالتجنيد من طرف المتسببين في الانفجارالذي هز مقر القنصلية الجزائرية بمرسيليا في 29 ديسمبر 1973 والذي أسفر عن خمسة قتلى (5)، وفي الثالث من جانفي 1976، على الساعة التاسعة و45 دقيقة مساء تم الكشف عن محاولة اعتداء بالقرب من ورشات المجاهد اليومي بالعاصمة الجزائرية، وأكد مرتكب هذه الجريمة، المدعو روسو أنه كان بمثابة منفذ فقط لأوامر جاك بينات، ضابط في المخابرات ويعمل تحت غطاء مديرية التخطيط ثم وزارة التعاون.

4 – أن أمين الأختام يؤيد التحاليل التي يراها أحد أعضاء المخابرات الفرنسية فيما يتعلق باستخدام الخصوصية البربرية فوق التراب الوطني الفرنسي، هل أمين الأختام يجهل أن وكيل النيابة بمرسيليا أعطى الأمر بفتح تحقيقات وتشكيل لجان استثنائية في هذه المدينة، وفي «تولون» قصد استدعاء أحد المدافعين على الخصوصية البربرية «خاصة» وهو «مولود كمران» قائد منظمة «جنود المعارضة الجزائرية»؟ هذا الأخير، كله ولاء لجاك بينات أشرف على تدبير سلسلة من الاعتداءات ضد الممثليات القنصلية الجزائرية في عدة بلدان أوروبية.

5 – فيما يتعلق بقضية السيد: محند بسعود فإن حافظ الأختام قد أعاد النظر فيها بالفعل، فبعد اعتقاله في 24 مارس 1978، أفرج عنه بعد هذه الرسالة بقليل، أي في 26 سبتمبر من نفس السنة، وقد حكم على السيد بسعود بالسجن القطعي (الحبس) في شهر فبراير 1980. وفي شهر جويلية من نفس العام، يستفيد مرة أخرى بحكم العدالة، إن حافظ الأختام بغض النظر عن مواهبه الاستراتيجية في مجال الشؤون الخارجية، وميوله الملحوظ الى التدخل في الشؤون الجزائرية، يعرف كذلك كيف يحمي المتعاملين معه، من أجل المصالح الفرنسية رغم أنف «الكي دورسي» (الخارجية) مستغلا لحسابه، كل الخيوط والتسهيلات التي يوفرها له منصبه، وذلك بالرغم من أن القضية مقضي فيها:

آلان دوفران، وفريديرك لوران.

باريس: يا منطقة القبائل: أنت محل اهتمامي

كانت تمثل الجزائر، في عهد ديغول، حجر الزاوية لسياسة فرنسا الخارجية في إفريقيا وفي عهد جيسكار ديستان ظهر نوع من الغموض، فكانت في البداية، وبحكم الديماغوجية زيارة رئاسة رسمية زينت بتغطية إعلامية ضخمة، وكانت كذلك فترة تميزت بالمناورات المدسوسة والمؤامرات الخبيثة، خبيثة وأحيانا قاتلة مثل الاعتداء بالمتفجرات ضد القنصلية الجزائرية بمرسيليا في 29 ديسمبر 1973 **(الذي خلف خمسة قتلى وعشرة جرحى)**، كانت هذه نقطة الانطلاق لسلسلة من الجرائم التي تعرضت لها الممثليات الجزائرية في أوروبا والمحلات التابعة للودادية في باريس والمقاطعات الأخرى.

وأكد اعتقال مديرية العدوان على **«المجاهد»** في الجزائر، شيئا وهو أن فرنسا كانت تسلح وتنظم **«الجنود»** حتى **«ميشال بونياتوفسكي»** ذاته دخل الحلبة بتقمصه دور **«ماكيافيل»** المخطط لاستراتيجية التوتر هذه، ومع مرور الزمن تقلص النزاع الفرنسي – الجزائري، غير أن عهد **«ديغول»** قد ولى الى الأبد، واسترجعت فرنسا شيئا فشيئا كثاني زبون للجزائر، بينما تحاول هذه الأخيرة أن تبيع غازها لباريس بأحسن ثمن، إلا أنه من السذاجة التصديق بأن الخناجر قد أغمدت... فإن الأصالة القبائلية والمطالبة الملحة بالخصوصية البربرية، هي وسيلة تفرقة في أيدي المستعمر ولا زالت تجلب ما يسمى **«بالأوساط الفرنسية»** أن السلطات في باريس استطاعت في وقت ما، مساعدة وحماية، ظهور مطالب بربرية، وإن كانت ثقافية فقط، غير أن انكشاف الغطاء لن يخدم الأكاديمية البربرية **«للرائد بسعود»** في المستقبل حيث فقدت مصداقيتها في أعين الأجيال القبائلية الجديدة.

كما تبين الوثيقة التي ننشرها اليوم، فإن النوايا الفرنسية ونوايا حافظ الأختام سنة 1978 لم تتغير. وهكذا فإن الانتفاضة الديمقراطية لتيزي وزو، التي حللت وقدمت في فرنسا تحت شكل تمرد جهوي، أن الحملة الإعلامية المغالطة تهدف اليوم الى ترجيح النزعة البربرية كوسيلة بإخفائها الأسباب التي أدت الى أحداث **«ربيع منطقة القبائل»**.

مناورات قضية الأكاديمية البربرية

إن رسالة «آلان بيرفيت» هذه تجعلنا نحلم، إذاً، أننا نشعر وكأننا عدنا الى سنة 1830، رغم أنها ليست مزورة، بما أن المرسل إليه أكد لنا ذلك، وحتى طلب منا أن لا ننشرها إلا أننا لما علمنا، بعد تقاطع، أن المحترم جاك بهنات، رئيس بلدية نورماندية صغيرة، على مقربة من التقاعد، هو في الحقيقة عضو في «السداك» (المخابرات) الذي ندد الجزائر بتورطه في اعتداء جنود المعارضة الجزائرية ضد جريدة «المجاهد» في ديسمبر 1976، راجعنا موقفنا من هذا الأمر، ذلك أن رأي الجالية المناضلة القبائلية بباريس، كان أهم في نظرنا، ذلك أنها كانت على علم بوجود هذه الوثيقة منذ شهور، وكانت تخشى من أن تنشر، لأن نشرها يدعم أطروحة «المؤامرة الدولية التي كانت وراء أحداث منطقة القبائل» التي طرحتها حكومة الشاذلي - غير أن الخيط لم يكن موثوقا، خاصة إذا كان الشخص الذي سلمنا هذه الوثيقة وألح على نشرها، هو السيد عبد العزيز صايبي... وهو إنسان غريب له هيئة شرطي في ثياب مدنية، وعيناه تتنقل من مكان لآخر، تدخل في الميكروفون يوم الظاهرة التضامنية مع طلبة مدينة تيزي وزو، وهي المظاهرة لتي نظمت أمام مقر السفارة الجزائرية بباريس في السابع من أفريل 1980، وقد حرض في تدخله المتظاهرين على احتلال العمارة (مقر السفارة) بالقوة - وأعاد الكرة بمناسبة الحفل الغنائي للمطرب «إيدير بقاعة الأولامبيا» أين استطاع أن يوصل الى حلبة القاعة برقية قرئت على المتفرجين هذا نصها:

«إخواني القبائل، كونوا بأعداد غفيرة في الموعد يوم الثلاثاء 8 جويلية على الساعة الواحدة والنصف زوالا أمام الغرفة الحادية عشر لمجلس قضاء باريس، أين سيحاكم أباؤكم بنذالة، والتزموا بالانضباط».

ما نوع المحاكمة التي ستفتح؟ إنها محاكمة أربعة مسؤولين عن الأكاديمية البربرية وهم: «الرائد» بسعود (الملقب بمحند أعراب)، وسليفي، والهواري... والمدعو صايبي، والتهمة الموجهة لهم هي اختلاس أموال التجار القبائل للعصامة (الفرنسية).

أنشئت الأكاديمية البربرية سنة 1967 من طرف مجموعة من الأعيان ذوي اتجاهات مختلفة وهم: السيد: رحماني، ضابط سابق في الجيش الفرنسي، ثم التحق بجبهة التحرير الوطني إبان الحرب التحريرية، والسيد: حنوز، ثري أخذ على عاتقه تمويل المشروع، وسليمان هازم، مغني قبائلي قديم، وحميسي، منشط سابق لحصة «القبائل بلدي الجميل» بالإذاعة والتلفزيون الفرنسية، ويجتمع الأربعة في ميزة واحدة: كلهم يحملون الجنسية الفرنسية. ثم التحق بهم جزائري «أصيل» هو «الرائد» بسعود، شخصية «بارزة» تتميز بنشاط حثيث، رغم الصعاب التي اعترضت طريقه، كان عضوا في «الولاية الثالثة» التي كان على رأسها «عميروش» ثم لجأ الى الحدود، أين ثار سنة 1958 ضد «استبداد» بومدين وبوصوف ونشر فيما بعد كتابا تحت عنوان «سعداء هم الشهداء الذين لم يروا شيئا» وكان من الأوائل في صفوف «جبهة القوى الاشتراكية» للسيد آيت أحمد، سنة 1963، ثم أنسحب من هذه الحركة آخذا عليها «ماركسيتها المغالية» ونشر في ذلك كتابا تحت عنوان «جبهة القوى الاشتراكية: أمل وخيانة»، وأعاد تنظيم الأكاديمية، معطيا إياها دفعا جديدا: اكتشاف حروف تيفناغ القديمة، نشر مناشير تنظيم محاضرات حول «الحضارة» البربرية دروس مسائية وبالمراسلة، فأصبحت الأكاديمية مكأنا تلتقي فيه عدة أجيال بربرية متعطشة لاسترجاع هويتها، إلا أن الشباب منهم، سرعان ما احتجوا على الوضع ورأوا في المسؤولين القدماء للأكاديمية ميولا كبيرة للفرانكوفونية، فأنشأوا سنة 1973 مجموعة دراسية منافسة «فانسان»، فأتهموا بسعود بالولاء الى الصين، فأفرغت الأكاديمية من طاقاتها الحية، بفعل هذا الانكسار، وبدأت تضمحل، حتى الوصول «السعيد» لصابيي سنة 1975، فاقترح مناهج صارمة: إرغام التجار القبائل على دفع الاشتراكات «كما كانت تفعل الاتحادية بفرنسا أيام حرب التحرير». فسرعان ما اشتهرت المؤسسة «المحترمة» باختلاس الأموال وفي نهاية 1975 تعقدت الأمور: أتهم مولود كعوان (مسؤول منظمة جنود المعارضة الجزائرية) الأكاديمية، بتزويدها بالأموال الضرورية، عملية الاعتداء ضد اليومية «المجاهد»، فنصب أحد المشتركين المتطوعين كمينا لبسعود، وفي 24 مارس 1978، كان السيد أوقاسي في انتظار «الرائد» في إحدى وكالاته السرية الثلاثة، الكائنة بشارع «دوراناتو» ليسلم له مبلغا كبيرا- كان قد

وعده به – وبمجرد وصول بسعود، رفقة صايبي حتى تصاعد الشجار بينهم، فتدخل شرطيان من الشرطة القضائية وأدركا بعد تفتيش سريع المتنازعين يحملون أسلحة بدون رخصة، فاعتقل الجميع، أحتج بسعود أن يعامل كقطاع الطرق، وشرع في إضراب عن الأكل رغم معاناته من داء السل، وزاد غيضه سبب آخر: فقد علم أن أوقاسي عضو هام في الأمن العسكري الجزائري بباريس، ومن خيط لآخر تأكد من تسرب عنصر آخر بينهم وأقر أنه صايبي، ألم يكن هو الذي شجعه على حمل السلاح دون أي سبب؟ وأفضى بسعود بأسراره لصديق له منذ زمان طويل، فقال إنه يعرف «جاك بينات» منذ التحاقه بالمقاومة مع جبهة القوى الاشتراكية، كان هذا الأخير يزعم أنه خبير شغوف في التاريخ البربري وقد درسه في الجامعة!! وكان السعيد رحال (ميلياردير جزائري كان أخوه متورطا في قضية «دوبراي» فيما بعد) هو الذي عرف بسعود بجاك بينات وكان قد عرض عليه الأسلحة، وعلى إثر زيارته له في سجن «فران» اقترح «بينات» لبسعود أن يكلم «آلان بيرفيت» في الأمر، وكان جواب الوزير واعدا، بالفعل، ففي 26 سبتمبر 1978 خرج كل من بسعود وصايبي من السجن بطريقة غريبة، إذ لم يتحصلا على حرية مؤقتة من المحكمة، أو قرار منع محاكمة، في محاكمة نوفمبر 1979 لم يمثلا أمام المحكمة.

وبعد التأجيل حكم على بسعود في فبراير 1980 بسنتين سجنا، وثمانية عشر شهرا لصايبي، إلا أنه لم يلق عليهما القبض وطعنا في الحكم من جديد، ومحاكمة جديدة وتغيب جديد في شهر أفريل 1980، وأثناء الأحداث التي كانت مدينة تيزي وزو مسرحا لها، تحصل صايبي يا للغرابة! على قانون «لاجي- سياسي» بينما لم يستطع بسعود من تحقيق ذلك حيث قوبل طلبه بالرفض!.

ملحق رقم 5

مطالب الحركة البربرية من خلال توصيات ملتقاها الأول المنعقد بمنطقة إيعكورن بولاية تيزي وزو في صائفة 1980 بعد أحداث تيزي وزو، الواقعة في شهر أفريل من نفس السنة. النصوص كانت كلها باللغة الفرنسية. (الترجمة للمؤلف)

ملتقى إيعكورن
(من 1 الى 31 أوت 1980)

ملخص التقرير

إن حركة تيزي وزو في ربيع 1980 التي كان لها أثر «عميق» في كل أرجاء الوطن أثارت مشكلة في غاية الأهمية تعود أسبابها الى ما يلي :

- البحث عن هوية جزائرية حقيقية.
- العمل على ترقية لغتي الوطن (الأمازيغية والعربية الجزائرية).
- الثقافة.
- حق التعبير عن الرأي.

هدف هذا الملتقى يتمثل في طرح مشكلة الثقافة في الجزائر مرة أخرى وبصورة أوضح لدحض الادعاءات الكاذبة التي نشرتها مؤخرا الصحافة الوطنية والتي كادت أن تؤدي الى ما لا تحمد عقباه.

إن محاولة تحريف المشكل ونسبه الى جهة معينة من الوطن في حين يعتبر مشكل الشعب الجزائري بأسره، وإن كانت جهة ما تعني من هذا المشكل أكثر من الجهات الأخرى قد كشفت عن العواقب الخطيرة الناجمة عن احتكار الاعلام من طرف اللامسؤولية والطائفية والتعسفية.

إن ملتقى «ياكورن» يهدف الى خلق الحوار ورفع الحظر المفروض على النقاش الديمقراطي للمسألة الثقافية، ويأمل أن مناقشة الملف الثقافي التي وعد بها رئيس الجمهورية ستكون مناقشة شعبية وأن السلطات المعينة ستأخذ بعين الاعتبار رأي المواطنين في ذلك.

مشكل الثقافة في الجزائر يرتبط بثلاثة محاور رئيسية :
- مشكلة الهوية الحقيقية للشعب الجزائري والاعتراف ارسمي بلغته الأمازيغيه والعربيه الجزائريه
- مشكلة حرية التعبير.
- مشكلة الثقافة في تنمية المجتمع.

1) مشكلة الهوية الثقافية للشعب الجزائري :
من المؤكد أن التعريف الرسمي لهوية الشعب الجزائري لا يتضمن الحقيقة الأمازيغية والسبب في إبعاد الأمازيغية عن هذا التعريف يعود الى الحركة الوطنية الجزائرية التي تميزت بسيطرة الإيديولوجية العربية الإسلامية على حساب أي بعد أمازيغي للأمة.
آمتدت هذه السيطرة الى ما بعد الاستقلال لتصبح المنطلق لكل محاولة للتعريف بالشخصية الجــزائرية، والخلط بين ARABITE والذي يعتبر إحدى الحقائق الثقافية للوطن والعروبة ARABISME الإيديولوجية العربية ككل. بدأ يسيطر شيئا فشيئا على الحياة السياسية الوطنية ليصبح المنطلق الوحيد لأي تحليل للشخصية الوطنية. والجدير بالذكر أن الإحصاء العام للسكان لعام 1966 قد أهتم - ولو بصورة محدودة جدا - بالتركيبة الأمازيغية لشعبنا في حين لم يذكرها بتاتا إحصاء 1977.
وقد كان لهذه النظرة عواقب نذكر منها على الخصوص :
أ - عدم الاعتراف بلغتي الشعب الجزائري : الأمازيغية والعربية الجزائرية بحجة أن هاتين اللغتين غير قادرتين على خلق « ثقافة كبيرة ».
أنه لمعترف به علميا الآن أن مفاهيم « اللغة الكبيرة » و « اللغة الصغيرة » هي عبارة عن خرافات، لأن المعيار الوحيد الذي يحدد استمرار لغة ما، هو مدى استعمالها في الحياة اليومية للشعب. ولهذا فإنه من الصعب أن نقول أن الأمازيغية والعربية الجزائرية قد تجاوزهما الزمن لأنه بإمكان أي لغة أن تصبح قوية. كل هذا يتوقف على الوسائل المتوفرة للنهوض بها.
الوسائل المتوفرة للنهوض بها.
هنا يتدخل عامل أخر في تقدم أو تأخر لغة ما وهو الإرادة السياسيه للدوله للنهوض باللغه أو لقمعها، والأمثلة على ذلك كثيرة، فهناك دول عديدة في الشمال والجنوب والشرق والغرب انطلقت من لغات أضعف من لغاتنا ومع ذلك استطاعت أن تحقق بلغاتها تقدما اجتماعيا ملحوظا.
ومن جهة أخرى، إذا أردنا فعلا ضمان تعليم سليم لأطفالنا فإن الطفل يجب أن يبدأ دراسته بلغته (الأم) حتى لا يتعرض الى مشاكل تعرقل نموه. وفي هذا الصدد فإن المدرسة الأساسية تنطلق هذه السنة. فهل خصصت جزءا من برنامجها الى لغات الشعب ؟ والجواب مع الأسف بالنفي وخاصة فيما يتعلق بتامازيغت.
والسؤال الذي يبقى دائما مطروحا هو : هل تبقى لغات الشعب دائما مهمشة ؟
ب) تحريف تاريخ الجزائر نظرا لسيطرة الإيديولوجية العربية - الإسلامية. ويوجد هناك قصد في الكتابة الرسمية للتاريخ لإخفاء أو تشويه الوقائع والشخصيات التي تمثل الحقيقة التاريخية.

فالنظرة التاريخية نظرة «أجنبية» و «حديدية» و «منقصة» تعتمد على السيطرة العربية في الدول العربية. والسؤال المطروح هو معرفة ما يمكن أن تحمله للوطن هذه الإيديولوجية التي هي نقيض للأمة الجزائرية نفسها.

وكما لا يجب النظر إلينا كمنتوج للتاريخ العربي، فاختلافنا هو إمكانياتنا في المستقبل، وكل تحليل للهوية الوطنية، يجب أن يتناول مفهوم الاختلاف بكل وضوح وبكل شرف، ولا يجب أن يتناول كسمة من سمات التراث القبلي.

ج) إبعاد أغلبية الشعب الجزائري من الثقافة التي تعتبر حكرا على نخبة تتقن الفرنسية أو العربية الفصحى.

2) مشكلة حريات التعبير الثقافية :

إن غياب حرية التعبير الثقافية أدى الى خنق ثقافة الشعب الجزائري وجعلها مجرد فولكلور وبالتالي تكريس فراغ ثقافي.

وهناك جهود فاشلة متواصلة لتعريف و« اقتراح » ثقافة وطنية عربية إسلامية على أساس العصر الذهبي للإسلام.

إن المشاكل التي يتخبط فيها المسرح الجزائري الناشيء، وخنق الإنتاج السينمائي واستحالة نشر أي شيء بالأمازيغية أو العربية الجزائرية والعراقيل التي تعترض الأغنية... كتمازيغت، هذه كلها تعتبر مؤشرات لسياسة تهدف الى كسر كل المبادرات الثقافية للشعب.

3) الثقافة في سياسة التنمية :

إن السياسة الثقافية في الجزائر المرتكزة على التعريف العربي - الإسلامي والمتجاهلة للتعبير الأمازيغي، تترجم في الميدان بالتعريب. وأقل ما يمكن أن نقوله هو أن هذه السياسة :

- تؤدي الى الفصل بين المثقف الجزائري وشعبه، لأن العربية الفصحى ليست اللغة (الأم) لكل جزائري ولهذا فإن المدرسة، عوض أن تكون امتدادا للوسط العائلي ولمحيط الطفولة الجزائرية، أصبحت إطارا للإنقطاع والصراع.
- تبقى التبعية التكنولوجية للبلاد بالنسبة للشركات متعددة الجنسيات. وبهذا فإن العمال يصبحون ثقافيا خاضعين لتكنولوجية مستوردة لا يستطيعون التحكم فيها، ومحيطهم الثقافي خال منذ البداية من أي نشاط وطني منظم.
- تناقض اللغات الشعبية بالخطب الكاذبة تعتمد على « التحديث المعادي للتقاليد ».
- تعتمد على إيديولوجية لا تتفق مع مصالحنا المتعلقة بالديمقراطية والاشتراكية وقيمنا الخاصة.
- ويتفاقم المشكل مع غياب حريات التعبير، وتتشكل جماعات ضاغطة مأجورة من الخارج، حول المفهوم العربي- الإسلامي، مع التجاهل التام للأمة الجزائرية، وإملاء على البلاد سياسة ثقافية نتائجها مفجعة منذ الآن.

وهكذا وبمعزل عن الجانب النوعي الذي لا يمكن إنكاره، فإن ديمقراطية التعليم خيالية.

– وعلى سبيل المثال، تكفي الإشارة، أنه عكس ما نسمع، فإن نسبة التمدرس عموما في انخفاض منذ 1976.

– لكن المشكل الثقافي بالجزائر جد واسع، فالهياكل الاجتماعية القديمة تم حشدها أو جمعها أو حوربت صراحة (الجامعة تحت المراقبة، انفجار حياة الحي بالمدن).

– لم ينجز أي عمل يسمح بتلاؤمه مع التحولات الهيكلية التي تميز مجتمعنا الحالي، فهناك أزمة اجتماعية بالجزائر.

– إن فشل سياسة التعريب، إعاج التعبئة الثقافية على جميع المستويات، تضاؤل العادات، فالاحتجاج الشعبي يبين ضرورة إعادة تحديد السياسة الثقافية بالجزائر تبعا لانشغالات الشعب الجزائري. وتدخل الاقتراحات التي تفرضها للمنافسة في هذا الإطار.

ملخص الإقتراحات والمطالب
« لجنة حريات التعبير والثقافة »

نظام الإعلام:

استعمال لغات الشعب الجزائري (العربية الجزائرية والأمازيغية) في منظومة الإعلام على الأقل في الراديو والتلفزة أولا. وفي الصحافة المكتوبة بعد التطورات اللغوية والتقنية.

السينما:

تشجيع الخلق والإبداع في ميدان السينما باللغتين العربية الجزائرية والأمازيغية، إستيراد الأفلام التي تساعد على تطوير الوعي السياسي الاشتراكي.

المسرح :

يجب تشجيع الخلق والإبداع المسرحي باللغات الشعبية وإعادة فتح قاعات المسرح المغلوقة (سطيف، معسكر..).

الإبداع الأدبي:

تشجيع الإنتاج الأدبي باللغات الشعبية وترجمة الكتب الى الأمازيغية والعربية الجزائرية، كما يجب إعادة النظر في سياسة استيراد الكتب، بحيث يجب مراعاة الإختيار الإشتراكي.

ميدان الموسيقى:

حق وجود الفرق الموسيقية وإلغاء الرقابة على الأغاني الملتزمة وحرية استعمال اللغات الشعبية.

الراديو والتلفزة:

الراديو :

القناة الأولى :

- البث بالعربية الشعبية الجزائرية.
- الأخبار بالعربية الشعبية الجزائرية.
- دور رئيسي للثقافة الشعبية.
- ديمقراطية الالتحاق بالقناة.

القناة الثانية :

- حجم الساعات وقوة البث يجب أن تكون متساوية مع القناة الأولى.
- بث برامج لكل الجهات البربرية في الجزائر (شاوية، التوارق، شنوي، مزاب، القبائل)
- ديمقراطية الالتحاق بالقناة.

التلفزة

- استعمال نظامي للغات الشعبية الجزائرية.
- إلغاء البرامج الأجنبية الرجعية.
- إعطاء مكانة رئيسية للثقافة الشعبية الجزائرية.
- تطوير الإنتاج الفني مع الأخذ بعين الإعتبار مشاكل الشعب الجزائري.
- إنشاء قناة ثانية للثقافات الجزائرية مع إستعمال اللغات الشعبية فقط.

الثقافة وتنمية المجتمع:

محو الأمية في اللغات الشعبية :

يجب إنشاء مطابع جهوية، وتكوين إطارات مؤهلة وتحقيق التعليم بالمراسلة ونشر برامج تعليمية بواسطة وسائل الإعلام.

يجب استعمال لغات الشعب في كل المجالات : في التدريس والبحث والتكوين المهني.

يجب البدء في إحصاء عدد المعلمين الذين يحسنون اللغات الشعبية.

يجب إنشاء لجنة لغوية وطنية تتكون من باحثين وأساتذة في مختلف الإختصاصات.

يجب أن تكون هيكلة هذه اللجنة كما يلي :

- مدير مكلف بالتنسيق.
- لجان فرعية كل واحدة تتكلف بلغة معينة.
- مراسلين جهويين.

استعمال اللغات الوطنية في الإدارة :

إن تطوير اللغات الشعبية الى لغات رسمية يعتبر شرطا من شروط التقدم الاجتماعي ولكن حتى يتحقق ذلك يحق لكل مواطن لا يعرف اللغة الرسمية الحالية أن يتقدم عند الحاجة الى مسؤول أو عون إداري بلغته الأصلية ويحق له أن يحصل على الرد باللغة التي يحسنها ويمكن للمواطن عند الحاجة أن الراديو:

يطلب ترجمة للنص المتعامل به.

كما يجب توفير قواميس للغات الشعبية حتى يسهل انتشارها.

كتابة الوثائق الرسمية باللغة الرسمية وبلغة أخرى حسب الجهة.

وفي ميدان القضا - يجب حضور مترجمين للغات الشعبية.

يجب كتابة كل المعلقات والملصقات والشعارات وغيرها بالإضافة الى اللغة الرسمية بلغة الجهة الموجودة فيها - مع الرجوع الى استعمال الأسماء الأصلية للمنطقة.

ملحق رقـــم 6

بعض أطروحات الحركة البربرية المتعلقة بالمطالبة بترقية وتدريس وترسيم وتوطين وتوحيد اللهجات البربرية في لغة واحدة، وفتح فرع لهذا الغرض في جامعة تيزي وزو..

تحت عنوان بارز « من التيفيناغ الى برامج الإعلام الآلي » ورد نقلا عن وكالة الأنباء الجزائرية في جريدة « المساء » مقال، أو تصريح مطول منشور بتاريخ 1990/01/09 جاء فيه :

«قوة أو معجزة. اللغة الأمازيغية تنجو من الموت وتظهر الى العلنية بعد أن أطلق سراحها في الجو الديمقراطي الجديد مكتوبة، بل ومصحوبة بأول صحيفة في تاريخها تتمثل في (أسالو) التي يصدرها حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية لتشكل إحدى الأحداث الساخنة لما تثيره من نقاش في الأوساط السياسية والثقافية على الصحة الوطنية ».

والملاحظ هو أن ظهور هذه اللغة الى العلنية لقي ارتياحا من قبل أهلها والمطالبين بها، إلا أن هذا الحدث رافقته أيضا تساؤلات استفسارية من قبل البعض الآخر بأن هذه اللغة وإن لم تغب يوما عن الحياة الإجتماعية فإنها لم تسعفنا الظروف قبل اليوم من جهة أخرى بأن تعترف بنفسها إلا في السرية التامة. أو خارج حدود الوطن بسبب المنع غير الرسمي الذي ظل مفروضا عليها.

كما أن الوثائق الكثيرة المتوفرة حول الموضوع صعبة المنال على المستوى الوطني لكون معظمها نشرت في الخارج.

فما هي إذن اللغة الأمازيغية.. وما هو سر صمودها وبقائها.

من هم أشهر الكتاب والباحثين فيها. ما هو رصيدها. وما هي آفاقها المستقبلية..

السيد عبد النور عبد السلام باحث ومدرس هذه اللغة وعضو في المجلس الوطني للتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية يحاول الإجابة على كل الأسئلة المتعلقة بالأمازيغية التي ومما لا شك في ذلك أن التجمع يعلم بأنها اللغة الأصلية لشعوب بلدان شمال إفريقيا وتمتد الى النيجر ومالي وجزر الكناري.

في البداية يقدم الباحث لمحة تاريخية حول هذه اللغة فيقول :

« أن اللغة الأمازيغية من أقدم لغات الإنسانية حروفها الأصلية تسمى «التيفيناغ» المتفرعة عن اللغة الليبية العريقة. ولكن عدم استعمالها في الديبلوماسية وفي الإدارة بصفة عامة منذ عصور إذ لم تستعمل حتى في عهد «ماسينيسا » لأسباب تاريخية معينة منحها طابع اللغة الشفوية ومع ذلك

فقد تمكنت الأمازيغية من تسجيل حضورها الدائم في الحياة الاجتماعية للشعوب الناطقة بها وهذا بالرغم من اللغات التي ما فتئت تزاحمها بفعل الغزوات التي تعرضت لها منطقة شمال إفريقيا التي تنتمي الى حوض المتوسط الذي يشكل بدوره ملتقى الحضارات.

وحول سرصمود الأمازيغية وبقائها يسترجع السيد « عبد السلام » عبارة للأستاذ الأديب الراحل «مولود معمري» الذي قال: «أن العجيب لا يكمن في بقاء هذه اللغة الى يومنا بدون كتابة فحسب وإنما المدهش هو أنها بقيت محتفظة، بكل ثرائها وقواعدها النحوية».

ويشير الباحث في هذا الصدد الى ان هذه القواعد موحدة للأمازيغية حيثما وجدت وأما التنوعات في النطق وفي الألفاظ وكذا الاختلاف في إستعمال بعض الكلمات من منطقة الى أخرى فذلك يشكل مصدر ثراء هذه اللغة.

ويستطرد السيد عبد السلام أن صمود اللغة الأمازيغية لعواطف الغزوات والقمع والمنع والسرية يرجع لعدة عوامل تأتي في مقدمتها كونها لغة نابعة من الشعب ومستمدة منه تشبث بها وحفظها وتوارثتها الأجيال عبر العصور لتبقى لنا اليوم.

ويتمثل العامل الثاني في خاصيتها الشفوية التي ساعدتها كثيرا على البقاء لأنها حسب قوله لوكانت الأمازيغية مثلا مكتوبة واحتفظ بها في مكتبة دون التحدث بها لاتلفت مثلما يحدث للمعالم الأثرية والثقافية بصفة عامة، خاصة إذا راعينا الظروف الصعبة التي مرت بها.

وأما العامل الثالث الذي ساعد على إثراء الأمازيغية فيتمثل في عدم رفضها للدعم الذي يأتيها من اللغات الأخرى عن طريق الاحتكاك ببعضها البعض.

ويوضح الباحث أن اللغة الأمازيغية شأنها شأن جميع لغات العالم أثرت وتأثرت، من الخطأ العلمي أن يقول أحد أنه توجد في العالم لغة صافية تماما، وعليه فقد أدخلت عليها كلمات من أصل أجنبي لكن دون أن يؤثر فيها ذلك سلبا لأن من مميزات هذه اللغة أنها تملك نوعا من القدرة في استيعاب الكلمات الأجنبية فيكفي مثلا إضافة بعض الحروف عليها لأن تدمج نهائيا الى درجة أنه يصعب على أحد أن يتبين الكلمة الأجنبية من مجموع النسيج اللغوي للأمازيغية التي تتمتع ببنية لغوية وتقنية قوية تمكنها من حماية نفسها من الاندثار والدليل على ذلك هو أنها كانت ولا تزال موجودة».

وعن مايجب القيام به في مجال التكفل بهذه اللغة في الوقت الراهن وبعد أن تحررت يجيب السيد «عبد السلام» أن ما يتعين القيام به هو إثبات هذه اللغة بالكتابة التي تعد الوسيلة الوحيدة التي تضمن لها الاستمرارية والإنتشار والبقاء لا سيما في عصرنا المتميز بالتكنولوجيا والتطور السريع إذ أن اللغة الشفوية في هذا العصر بكل متطلباته محكوم عليها بالفناء.

ويضيف أن اهتمامنا باثبات هذه اللغة بالكتابة لا يعني أننا ننوي إهمال خاصيتها الشفوية بل بالعكس، فبالتوازي مع الكتابة سنعمل أيضا على تطوير الجانب الشفوي الذي لا يقل أهمية خاصة في عصر يشهد تطورا كبيرا في مجال التكنولوجيا السمعية البصرية.

ويضيف الباحث أن عودة الكلمة الشفوية بقوة في العالم قد يرجع للدور الكبير الذي يلعبه الخطاب المباشر في إقناع لناس وفي تحقيق التقارب بعضهم البعض، بينما الكتابة تبعدهم عن بعضهم.

وعن سبب استعمال الحروف اللاتينية في كتابة الأمازيغية يؤكد الباحث أن إتفاق وإجماع علماء اللسانيات على هذه الحروف التي أصبحت دولية أملته الضرورة لأسباب لغوية وتقنية موضحا «أن الأمر هنا لا يتعلق باختيار نظام كتابة أو حروف معينة على أساس عاطفي أو سياسي بقدر ما يتعلق براعاة مصلحة هذه اللغة ومساعدتها على استدراك مافاتها والالتحق بركب التطور والمعصرنة ومسألة اختيار الحروف أو نظام كتابة من مهام الاختصاصيين في اللسانيات لكونهم أدرى بما تتطلبه لغة ما «والاختيار يكون على أساس علمي».

وبالإضافة الى هذا يذكرنا الباحث بالمراحل التاريخية وبالظروف الصعبة التي مرت بها هذه اللغة والقائمين على خدمتها حيث يقول « أن الأوائل الذين أنقذوا الأمازيغية من موت مؤكد عملوا في ظروف صعبة جدا بسبب القمع والسرية، فبغض النظر عن عدم تمكنهم من العمل في راحة واطمئنان لم يجدوا بحوزتهم الوسائل اللازمة لعملهم غير الإرادة وآلات راقنة قليلة بالحروف اللاتينية ومع ذلك فقد تركوا لنا تراثا غنيا في مجال الكتابة والبحث لا يمكن الاستغناء عنه اليوم.

ويحدثنا عن وجود كمية كبيرة من الوثائق والمؤلفات بالأمازيغية في مركز التوثيق (الأربعاء ناث إيراثن) تتناول مواضيع متنوعة مثل التاريخ والجغرافيا والأدب والجيولوجيا ويرجع تاريخ تأليفها الى مراحل ما قبل وبعد الثورة التحريرية.

ويشير الى أن هذه المؤلفات تعرضت مرارا لمحاولات الإتلاف. وعن أشهر الكتاب والباحثين في الأمازيغية يقول السيد « عبد السلام » أن عددهم كبير فمن بين الأوائل نجد «سعيد بوليفة» الذي جمع في سنة 1900 قصائد الشاعر «سي محند ومحمد» وبلعيد آيت علي» الذي يعد الزول الذي كتب مؤلفا أدبيا بالأمازيغية يقع في 430 صفحة وهذا الكتاب ألف في سنة 1945 ونشر في سنة 1961 ومقسم الى ثلاثة أجزاء. وبعدهما جاء «الأديب الراحل «مولود فرعون»، ثم «مولود معمري» الذي التف حوله الشباب الباحث في هذا الميدان.

وأما في السنوات الأخيرة فقد ظهرت حركة كبيرة ونشيطة من الشباب المثقف من الاختصاصيين في اللسانيات والباحثين والكتاب أنجزوا أعمالا كثيرة تتمثل في بحوث ودراسات ومعاجم وكتب كثيرة لا يمكن سردها ومعظم هذه الأعمال نشرت في الخارج.

ويذكر من بين هؤلاء الكتاب والباحثين الأستاذ «سالم شاكر» و «رمضان عشاب» و « الدكتور سعدي سعيد» الذي كتب قصة بالأمازيغية تحمل عنوان «اسكرتي»

والمتحدث الذي قام كذلك بعمل في هذا المجال.

ويضيف أنه فضلا عن الكتابة فالشباب الذي يعمل بدون هوادة وبإرادة على ترقية اللغة الأمازيغية والثقافة بصفة عامة أدخل الأمازيغية في عالم الإعلام الآلي. ويشير الى وجود برامج للإعلام الآلي (لوجي سيال) بالأمازيغية.

ويؤكد السيد «عبد السلام» أن جميع الكتاب بهذه اللغة منذ «بوليفة» أجمعوا على الحروف اللاتينية للأسباب السالفة الذكر.

والخلاف الوحيد الذي يمكن تسجيله في هذا المجال هو أن لكل واحد منهم طريقته الخاصة في الكتابة فمن بينهم مثلا من عبر على لفظ بحرفين ومن عبر عن لفظ بحرف واحد. وباختصار فلم يعملوا طبقا لدراسة نحوية وآستمر الوضع كذلك الى أن ظهرت الى الوجود في السبعينات الدراسة التي أنجزها الأديب الراحل « مولود معمري » الذي كرس جزءا كبيرا من حياته لخدمة الأمازيغية وهي الدراسة التي غيرت مجرى الأمور بحيث أصبحت مصدرا يعتمده الكتب والمهتمون والمدرسون بهذه اللغة فيما بعد.

واليوم يمكن القول أنه بإستثناء الفوارق الطفيفة جدا المذكورة والناجمة عن تشتت جهود الباحثين بسبب العمل في السرية فإن نظام كتابة الأمازيغية موحد على المستوى الوطني.

ويضيف الباحث وعندما فسح لنا المجال للعمل في العلنية رحل عنا «مولود معمري».

وعلى سؤال يتعلق بما إذا كانت للباحثين الجزائريين اتصالات وعلاقات مع الباحثين في نفس المجال في البلدان المجاورة يرد السيد « عبد السلام » أن ما نفكر فيه بالدرجة الأولى في الوقت الراهن هو تحقيق مالم يتمكن من تحقيقه في ظروف السرية قبل اليوم ويتمثل في الاتفاق الوطني النهائي حول نظام كتابة هذه اللغة.

وفي هذا السياق أفصح الباحث عن التفكير في تنظيم ملتقى وطني في الجزائر في منتصف السنة الجارية يضم الباحثين الاختصاصيين وعلماء اللسانيات والكتاب وجميع المهتمين بهذه اللغة تستدعى حضوره منظمة اليونيسف كملاحظ.

والهدف من اللقاء هو بحث الوسائل الكفيلة بإنشاء أكاديمية اللغة الأمازيغية في الجزائر باعتبارها المؤسسة الوحيدة الكفيلة بتقرير نظام كتابة نهائي موحد للأمازيغية يتميز بالفعالية والعقلانية على أساس الأعمال والبحوث المتوفرة والعمل المشترك والمنسق بين المتخصصين في الميدان.

كما ستقوم الأكاديمية بترسيم التقنيات والقواعد الخاصة بهذه اللغة وإعدادها للتعليم ويوضح الباحث أننا لا نتسرع الى تعليم الأمازيغية قبل أعدادها الجيد وأتقانها.

وعن الآفاق المستقبلية للغة الأمازيغية يؤكد السيد « عبد السلام » على ضرورة رفع الشلل الدستوري عنها بمراجعة المادة الثالثة من الدستور التي تهمشها في عقر دارها موضحا « المطلوب هو الاعتراف بهذه اللغة التي أثبتت قدرتها بصمودها كلغة وطنية الى جانب العربية والإرادة والعزم متوفران لخدمة وترقية اللغة الأمازيغية التي غالبا ما تثير حيرة الباحثين فيها أنها تفقدهم لاتهتهم.

وتحت عنوان « 3 سنوات للحصول على الماجستير » ورد في استجواب أجرته جريدة « المساء » بتاريخ 1990/5/8 جاء فيه :

« يحرص الطالب بجامعة تيزي وزو على تعلم اللغة الأمازيغية، حرصه على اكتساب مختلف العلوم الأخرى، وقد آنطلق مشروع تعليم هذه اللغة منذ نهاية السبعينات، وكان الطلبة يتلقون درسا ليليا بالحي الجامعي مرة كل أسبوع».

ويشير الطالب «ابن صدوق كمال» من معهد العلوم الاقتصادية الى أن الأستاذ «رمضان عشاب» كان يلقي دروسه خلال سنة 1987 تاريخ انضمامه الى تعلم الأمازيغية، وبعد اجتماع اللجنة الطلابية للمعهد، طالبت بإعطاء درسا آخر في النهار حتى تحضره الطالبات والطلبة غير القاطنين في الحي الجامعي. فوافق الأساتذة المشرفون على تعليم اللغة الأمازيغية كما وافقت الإدارة، إلا أن الطلبة يواجهون مشكل انعدام الوقت للمشاركة في هذه الدروس التي يركز فيها على تعلم الحروف الهجائية المتكونة من 28 حرفا وبعدها تلقن القواعد الابتدائية التي أختار لها بعض الإختصاصيين من إكاديمية اللغة الأمازيغية بفرنسا الأحرف اللاتينية لكتابتها مدخلين عليها بعض التغييرات لموافقة النطق الأمازيغي.

وقد تغلغل حب تعلم الأمازيغية في نفوس الطلبة مما دفعهم للتطوع لإلقاء الدروس لدرجة أن أصبح بكل معهد فرع لها، كما اهتم آخرون بإعطاء دروس في القرى والمداشر حسب توفر الظروف والإمكانيات.

ويقال أن الكاتب «مولود معمري» كان أول من تطوع لتدريس الأمازيغية وساعدته في ذلك أكاديمية اللغة البربرية بفرنسا، بتوفير قاموس وكتب منها كتاب تحت عنوان «تجرومت دا المولود» بمعنى حروف مولود وكتاب آخر « لرمضان عشاب» «ثيرانت تزيفت » بمعنى كتابة اللغة الأمازيغية.
ومما يقال أيضا أن السيد « سعيد سعدي» رئيس حزب (الأر. سي. دي) كان الطالب الوحيد لمولود معمري في بداية السبعينات وما كان من هذا الأخير إلا أن أقترح عليه الحضور لبيته لأخذ الدرس لكن السيد سعيد سعدي رفض الاقتراح وأصر على البقاء في إحدى مدرجات الجامعة ولو بمفرده وذلك لإثبات وجود هذه اللغة.. التي تجري من أجلها تصالات بين المختصين في الأمازيغية من جزائريين ومغاربة من أجل تطويرها باعتبارها كما قال الطالب « ابن صدوق كمال » اللغة «الأم» التي تعرعت منها « الشلحية » الموجودة في المغرب و « الشاوية » و « الميزابية » و « الترقية » في الجزائر وذلك بتأليف المزيد من الكتب والحرص على إدخال تلك التي صدرت في الخارج.

هذا ما يجري على مستوى القاعدة الطلابية. أما في الإدارة فقد أكد لنا مدير الجامعة بتيزي وزو السيد حمديوس الصالح عن تأسيس فرع اللغة الأمازيغية لما بعد التدرج في جانفي الماضي الذي سيفتتح مع الموسم الدراسي المقبل، ويهتم بتكوين الأساتذة في إطار البحث في اللغة والثقافة الأمازيغية والذين سيقومون فيما بعد بمهمة تعليم الأجيال القادمة، وتدوم مدة الدراسة 3 سنوات يتحصل بعدها الطالب – الحامل لشهادة الليسانس في أي تخصص – على شهادة الماجستير في اللغة الأمازيغية.

ويعتمد هذا المشروع في إنطلاقته الأولى على بعض الكتب الموجودة في الجزائر، في انتظار الحصول على كتب من فرنسا وبريطانيا، كما يساهم في تدعيم هذا الفرع عشرون أستاذا تم جمعهم من داخل وخارج الوطن بعد عملية بحث وتقص دامت سنوات.

ومن جهة أخرى صرح مدير الجامعة عن إنشاء المجلس العلمي المتكون من 14 أستاذا والمناط به مهمة وضع البرامج الدراسية لطلبة الماجستير في اللغة الأمازيغية ووضع الحروف الهجائية العلمية الإصطلاحية.. وتسيير دائرة هذه اللغة، كل هذه المهام سيعلن عنها رسميا خلال الأيام الدراسية التي ستقام من عشرة الى الثاني عشر ماي الجاري (1990).

أما فيما يخص تمويل المشروع يقول مدير الجامعة: « أن الوزارة قد منحتنا الأموال التي سوف نضيف اليها ما لدينا من إمكانيات مادية سواء بالعملة الصعبة أو بالدينار الجزائري ».

كما أبدى ديوان المطبوعات الجامعية استعداده لتقديم يد المساعدة فيما يخص توفير الكتب.

وتحت عنوان « الأمازيغية بالعربية واللاتينية » ورد بجريدة « المساء » ليوم 90/5/13 كتغطية للملتقى المذكور آنفا جاء فيه :

« أختتم الملتقى الأول للغة الأمازيغية أشغاله يوم 1990/5/9 وهذا بالمصادقة على ثلاث لوائح تدعو الى إعتبار اللغة الأمازيغية لغة وطنية رسمية مع الدعوة الى توفير كل الإمكانيات اللازمة لتجسيدها وبالتالي السماح لكل المختصين بالعمل على تدعيم هذه اللغة وتطويرها تمهيدا لتعليمها في المدارس.

وتنص هذه اللائحة في انتظار توحيد الأنماط اللغوية على العمل أكثر لإعداد كتابتها بالحروف العربية واللاتينية وعلى ضرورة تنسيق الجهود مع كل المختصين في هذه اللغة على المستوى المغاربي والدولي، ومن أجل وضع قواميس لها ثم لائحة التوزيع والإنتاج، فهي تلح على تنمية هذه اللغة من حيث الإنتاج، كتوفير الكتاب البيداغوجي والقواعد والمحادثة مع نشر كتب ذات تخصص علمي وتكنولوجي، فضلا على نشر المجلات المتخصصة والبحوث وإعادة نشر وتوزيع الكتب العلمية الموجودة، وتشجيع الترجمة من اللغة ووضع برامج تلفزيونية ذات طابع ثقافي وتربوي وتوسيع بث القناة الثانية، حتى تصل الى مختلف أنحاء الوطن، كما تؤكد اللائحة على تدعيم الإنتاج الثقافي بهذه اللغة كالمسرح والسينما، وفنون الرسم والبحث والصناعات التقليدية، زيادة على اعتماد الأعلام الآلي وإنشاء مكتبات محلية وفيديو مكتبات، كما دعت اللائحة الى ضرورة إنشاء مجمع للغة الأمازيغية وقد شكلت لذلك لجنة تحضيرية في انتظار عقد الملتقى المقبل في غرداية.

وتنص لائحة التعليم والبحث في إنتظار توحيد كتابة اللغة الأمازيغية على مواصلة العمل باللغات المعمول بها حاليا ووضع قاموس ابتدائي يساعد المتعلمين على استيعاب هذه اللغة ووضع ألفاظ لها بالإشتقاق من الكلمات الموجودة وتنظيم حملات لمحو الأمية يشترك فيها تنظيم دروس بالمراسلة والتركيز على النوعية قبل الكمية، وتكوين المكونين، خاصة إذا علمنا أن هناك دوائر للغة الأمازيغية على مستوى بعض الجامعات والتي يأمل الملتقى أن تعمم الى كل جامعات الوطن.

وتقترح اللائحة أيضا إدراج اللغة الأمازيغية في الأقسام الأولى من التعليم الإبتدائي.

وقد ميز هذا الملتقى جو ثقافي بهيج تمثل في إلقاء أشعار وعرض مسرحيات لفرقة تجيبلات.

وتجدر الأشارة الى أن مسألة حظر وثائق أمازيغية بمكتبة الكاردينالية منذ 1973 قد طرحت في الملتقى، وطالب المؤتمرون بضرورة رفع الحظر عليها.

ملحق رقـــم 7

لائحة رفض
من المجلس التاريخي للولاية الأولى

نحن أعضاء المجلس التاريخي للولاية الأولى - أوراس النمامشة - وأمناء الولايات الإدارية لكل من (باتنة، تبسة، خنشلة، أم البواقي، سطيف، برج بوعريريج) ومندوبو النواحي للمجاهدين لولاية-باتنة، المجتمعون في مقر الأمانة الولائية للمنظمة الوطنية للمجاهدين، شارع ابن باديس، يومي السبت والأحد11 و12 ذو القعدة 1416هـ، الموافق لـ 30 و31 مارس 1996م.

وبعد النقاش الواسع والتحليل المستفيض، حول أسباب ودوافع وأهداف الحركة الأمازيغية، وقضية عقد المهرجان أوالمؤتمر العالمي حول الأمازيغية في باتنة، عاصمة الولاية الأولى التاريخية، وفي هذا الوقت بالذات.

ودعوة ما يقارب ألفين.من دعاة الأمازيغية، لحضور هذا المؤتمر، وتخصيص الملايير من أموال الشعب التي كنا نود أن تنفق في صالحه، وليس لتغطية تكاليف هذا المهرجان أوالمؤتمر، الذي يخفي من ورائه مشروعا تخريبيا يهدد البلاد في وحدتها الوطنية، ويحارب اللغة العربية والإسلام نيابة عن فرنسا، ضمن مشروع تآمري على وحدة الشعب التاريخية واللغوية، تحت إشراف المكتب العالمي للأمازيغية، وتكوين جمعيات وطنية ومحلية تحظى بالدعم المطلق المادي والسياسي، ولايمثل أصحابها إلا أنفسهم.

وقد سبق لعدد كبير من الجمعيات التاريخية والثقافية، والمنظمات والاتحادات الطلابية، أن قدمت بيانات شديدة اللهجة، قوية الحجة، إلى رئاسة الدولة، والحكومة،في شأن خطر الحركة الأمازيغية، مثلا: بيان 21 نوفمبر1994،

وبيان 16 ماي 1995، والرسالة الموجهة لرئيس الحكومة في 15 جانفي 1995، وددنا لو أنها أخذت بعين الاعتبار.

وبعد تأكّدنا من الدوافع والأهداف الخطيرة لهذه الحركة المشبوهة، التي تسعى إلى زرع وتغذية الفتنة اللغوية، قصد إيجاد طرف ثالث في الصراع اللغوي، لتكريس هيمنة اللغة الفرنسية، والمساس باستقرار الأمة.

فإننا نؤكد، باسم سكان ومجاهدي الولاية الأولى التاريخية – أوراس النمامشة – ما يلي:

1 – الرفض القطعي لعقد هذا المؤتمر أوالمهرجان العالمي في مدينة باتنة، عاصمة الأوراس، في هذا التاريخ، أوغيره فيما بعد.

2 – التصدي لهذه الحركة الأمازيغية ومقاومتها في منطقة الأوراس، بكل الوسائل الممكنة، على مستوى الولايات الإدارية؛ مع دعوة مختلف الجمعيات والمنظمات والاتحادات إلى التصدي لها ومقاومتها دون هوادة، ومناشدة جميع ولايات القطر الجزائري، إلى القيام بنفس الدور، لحماية الشعب الجزائري، في وحدته الوطنية واللغوية والدينية والتاريخية، وسيادة دولته الفتية.

3 – تمسكنا باحترام اللهجات البربرية كتراث شعبي مشترك، عبر العصور، واعتبارها رافدا للغة العربية، ونرفض تحويل هذا التراث، إلى مشروع تخريبي، تحت تسيير المحافظة السامية للأمازيغية، بإشراف المكتب العالمي للأمازيغية.

4 – التأكيد على أنه لايمكن بأي حال من الأحوال، أن تفرض لغة أخرى على الشعب الجزائري، إلا باستشارته عن طريق الاستفتاء، تجنبا للمس بثوابته ووحدته، واحتراما لسيادته، لاسيما في القضايا المصيرية.

عن المجلس التاريخي للولاية الأولى وأمناء الولايات الإدارية ومجاهديها ومندوبي النواحي لولاية باتنة.

الموقعون على اللائحة:

- العقيد الحاج لخضر عبيد	رئيس المجلس التاريخي للولاية الأولى
- محمد الهادي مسعوداني	الأمين الولائي للمجاهدين، باتنة
- العقيد عثمان سعدي	عضو المجلس التاريخي، تبسة
- أحمد زمولي	عضو المجلس التاريخي، تبسة
- حفظ الله أحمد	الأمين الولائي للمجاهدين، تبسة
- محمد الهادي رزايقية	عضو المجلس التاريخي، خنشلة
- الطاهر بوشارب	عضو الأمانة الولائية للمجاهدين، خنشلة
- عباسي بوزيد	الأمين الولائي للمجاهدين، خنشلة
- ملاح محمد الصالح م/عمار	عضو المجلس التاريخي، باتنة
- الرائد مصطفى مرارده	عضو المجلس التاريخي، باتنة
- محمدالشريف عباسي(جارالله)	عضو المجلس التاريخي، باتنة
- مصطفى بن عبيد م/مسعود	عضو الأمانة الولائية للمجاهدين، باتنة
- عمار معرّف	الأمين الولائي للمجاهدين، أم البواقي
- مختار فيلالي	عضو الأمانة الولائية للمجاهدين، باتنة
- محمد بزيان	عضو الأمانة الولائية للمجاهدين، باتنة
- العربي مومن	مجاهد، باتنة
- عبد الحميد غنام	مجاهد، باتنة
- الحاج السعيد بن أحمد	عضو الأمانة الولائية للمجاهدين، برج بوعريريج
- أحمد برّي	عضو الأمانة الولائية للمجاهدين، باتنة
- بلقاسم بوشارب	عضو الأمانة الولائية للمجاهدين، سطيف
- بخوش الصديق	مندوب ناحية المجاهدين، أولاد سلام
- رابحي الصغير	مندوب ناحية المجاهدين، اشمول
- بن فتالة محمد الصالح	مندوب ناحية المجاهدين، ثنية العابد
- محفوظ حريقة	مندوب ناحية المجاهدين، أولاد سي سليمان
- أحمد شلوى	مندوب ناحية المجاهدين، راس العيون
- عبد المجيد بن عمر	مندوب ناحية المجاهدين، مروانة

– محمد حقني	مجاهد، باتنة
– عبد الرحمن عطية	مجاهد، باتنة
– منصوري بلقاسم	مندوب ناحية المجاهدين، أريس
– الواعي محمود	رئيس جمعية أول نوفمبر، الأوراس
– عبد الحميد حارك	مندوب ناحية المجاهدين، الجزائر
– عموري الدراجي	مندوب ناحية المجاهدين، الشمرة
– عمار بلعقون	عضو المجلس التاريخي، باتنة
– مشتّي الجمعي	مندوب ناحية المجاهدين، عين التوتة
– محمد ثاري	مندوب ناحية المجاهدين، بريكة
– قهدوم معجوج	أمين قسمة المجاهدين، بريكة
– محمد جمرة	مندوب ناحية المجاهدين، تكوت
– بن دحمان صالح	مندوب ناجية المجاهدين، باتنة
– حنقوسي الطاهر	مندوب ناحية المجاهدين، عين جاسر
– موسى حجيرة	عضو الأمانة الولائية للمجاهدين، باتنة
– خبزارة صالح	مندوب ناحية المجاهدين، نقاوس

ملاحظة:

– أيدتها بيانات الولايات التاريخية: الخامسة، السادسة، القاعدة الشرقية.

ملحق رقم 8

بيان تأييد من الرئيس أحمد بن بله

اجتمعت الولاية الأولى التاريخية (أوراس النمامشة) في مدينة باتنة، يومي 30 و31 مارس 1996، وأصدرت لائحة حول المسألة الأمازيغية تتفق مع تاريخنا، ومع بيان أول نوفمبر. ومنطقة هذه الولاية تضم (الشاوية) أكبر تجمع أمازيغي بالجزائر، وأكثرهم أصالة من الناحية الأمازيغية، ولا تستطيع أية فئة أخرى أن تزايد عليهم في هذا الميدان، ولهذا فإن هذه اللائحة تعبر عن الأمازيغ الأحرار، الوطنيين، الذين لم تشوههم دسائس الاستعمار.

لقد استعمل الاستعمار الفرنسي القديم ورقة الأمازيغية في نهاية الأربعينيات من أجل تدمير حزب الشعب الذي أعد للثورة المسلحة. وتمكنا من إفشال مؤامرته، وطردنا من الحزب العناصر التي استعملها، فلجأت إلى الحزب الشيوعي، وبقيت خميرة (البربريزم) حية إلى ما بعد الاستقلال، فالتقطها الاستعمار الفرنسي الجديد، وأسس عليها الأكاديمية البربرية في جامعة (فانسان) بباريس سنة 1967، من أجل التآمر على هويتنا المتمثلة في الإسلام والعروبة، وذلك بتدمير الوحدة الوطنية، بواسطة خلق لغة وطنية ثانية تدخل في صراع مع العربية، حتى تبقى الفرنسية مهيمنة تلعب دور الحكم في هذا الصراع.

إن سائر الأمم الحية المتقدمة تعتمد على قاعدة: (لا وحدة وطنية بلا وحدة لغوية)، وتعدد اللغات يعني تعدد الأمم، ومثل يوغوسلافيا، والاتحاد السوفياتي شاهد على ذلك. ولهذا فإن لائحة (أوراس النمامشة) قدمت التناول السليم للمسألة الأمازيغية، وذلك باعتبار تراث اللهجات الأمازيغية رافدا للغة العربية وللثقافة العربية.

وبناء على ذلك فإنني أؤيد بقوة هذه اللائحة، وأهنئ أمازيغ أوراس النمامشة الذين سموا فوق النعرات العرقية، وقدموا لنا المفهوم الصحيح لهذه القضية، التي لوحت في السنوات الأخيرة بخطر تمزيق وحدتنا الوطنية، بل وجر بلادنا إلى حرب أهلية على أساس عرقي، على غرار ما يجري الآن في يوغوسلافيا.

فهنيئا لإخوتنا بالأوراس النمامشة، على هذا الموقف الوطني الذي لايعتبر غريبا عنهم، ألم تنطلق ثورة أول نوفمبر من الأوراس؟

أحمد بن بله
الجزائر في 28 أفريل 1996

ملحق رقـــم 9

لائحة رفض
من المجلس التاريخي الموسع(*)

نحن رئيس وأعضاء المجلس التاريخي للولاية الأولى «الأوراس النمامشة»، وأعضاء الأسرة الثورية بولاية باتنة، ومسؤولي وممثلي المنظمات، والجمعيات، والاتحادات الطلابية، والشخصيات التاريخية والعلمية والثقافية، والمجتمع المدني بصفة عامة، المجتمعين بمقر الأمانة الولائية للمجاهدين بباتنة، يوم الأربعاء فاتح ربيع الأول 1417هـ الموافق لـ 17 جويلية 1996م والموقعين أدناه.

1 - بناء على البيان الصادر في 21 نوفمبر 1994 عن لجنة الدفاع عن الوحدة الوطنية وثوابت الأمة، المنبثقة عن الأسرة الثورية والمنظمات والجمعيات والاتحادات الطلابية بولاية باتنة.

2 - بناء على المراسلة الموجهة من لجنة الدفاع عن الوحدة الوطنية وثوابت الأمة، إلى السيد رئيس الحكومة في 15 جانفي 1995 والمتعلقة بالقضية الأمازيغية.

3 - بناء على لائحة المجلس التاريخي للولاية الأولى، بتاريخ 31 مارس 1996، والمتعلقة برفض عقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.

4 - بناء على البيان الصادر عن الندوة الجهوية للولاية الأولى التاريخية، المنعقدة بباتنة يومي 16/15 ماي 1996 في إطار التحضير للمؤتمر التاسع للمجاهدين والمتضمن رفض عقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.

5 - بناء على مصادقة المؤتمر التاسع للمجاهدين، المنعقد بقصر الأمم من 29 إلى 31 ماي1996، على موقف الولاية الأولى، من قضية رفض عقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.

(*) تراجعت المحافظة السامية للأمازيغية، وأصدرت بيانا في 1996/8/3، أعلنت فيه إلغاء عقد ملتقى الأمازيغية بباتنة.

6 - بناء على مساندة الولايتين التاريخيتين الخامسة والسادسة، والقاعدة الشرقية، وأسرة الثورة بولاية عين الدفلى، وجمعية محافظة وترقية التراث الثقافي لبلدية بجاية. والعديد من الأحزاب والجمعيات والشخصيات الوطنية، لموقف الولاية الأولى التاريخية الرافضة لعقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.

بناء على ما سبق نسجل ما يلي:

1 - نشيد بموقف الولايات التاريخية، وبعض الأحزاب والجمعيات والشخصيات التاريخية والعلمية، وكل المساندين والمؤيدين لموقف الولاية الأولى التاريخية، كما نشيد بما ورد في التوصيات الصادرة عن الملتقين الوطنيين المنعقدين بباتنة وهما: ملتقى التعريب، وملتقى المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم، وكذا توصيات المؤتمر الجهوي للاتحاد الوطني للنساء الجزائريات، والمتعلقة برفض عقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.

2 - نستنكر تصرفات المحافظة السامية للأمازيغية، التي تريد أن تتحدى موقف الأسرة الثورية، والمجتمع المدني، والشرائح الواسعة من أبناء الولاية الأولى التاريخية، وباقي الولايات والجمعيات والمنظمات، والمساندين من مختلف جهات الوطن، للموقف الرافض لعقد مؤتمر الأمازيغية في باتنة عاصمة الأوراس الأشم.

3 - إيمانا منا بالدفاع عن الوحدة الوطنية والحفاظ على الثوابت الوطنية، والتمسك بمبادئ وقيم ثورة أول نوفمبر 1954، وتحسبا لما يترتب عن المؤتمر المزمع عقده بباتنة من فتن، وإثارة للنعرات، فإننا نرفض رفضا قاطعا عقد هذا الملتقى في مكانه وزمانه، حتى لاتتحول باتنة، رمز الوحدة الوطنية، إلى حقل للتجارب السياسية، وقاعدة للمخططات التخريبية.

4 - مرة أخرى، نؤكد أمام الله والتاريخ، وأمام الشعب الجزائري وسلطات البلاد، أن الأوراس لايتحمل العواقب، التي تنجم عن انعقاد هذا الملتقى في باتنة من 24 إلى 30 أوت 1996، أو في موعد آخر، ويبقى المصرون على عقده يتحملون وحدهم النتائج السلبية التي قد تنجم عنه، والتي نحن في غنى عنها.

عن الموقعين/ الأمانة الولائية للمجاهدين - باتنة.

ملحق رقــم 10

رسالة من مدينة بجاية:

لا للنزعة البربرية(*)

تجري هذه الأيام في مدينة بجاية أحداث في غاية الغرابة، بجاية المدينة التاريخية بآدابها وتقاليدها ولغتها وأهلها.

ظهرت في السنوات الأخيرة عناصر مريبة تعمل على تشويه تراث بجاية العتيد باسم النزعة البربرية في القرن الخامس عشر الهجري، بعد أن امتزج البربر بالعرب المسلمين في القرن الأول الهجري، وصاروا يكونون أسرة واحدة، عقيدتها الإيمان بالله الواحد الأحد لاشريك له، ولغتها لغة القرآن الكريم، اللغة العربية التي قال عنها رسول الله ﷺ - بمناسبة سوء سلوك بعض المنافقين تجاه بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي رضي الله عنهم لأنهم ليسوا عربا - : «ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي» صدق رسول الله ﷺ.

عاش أجدادنا نتيجة هذا التمازج في وئام تام في ظل التعاليم الإسلامية المجيدة، فأنشئوا حضارة مزدهرة في المغرب والأندلس شهد بعظمتها ويشهد العدو قبل الصديق، ثم وبدون استئذان، دخلت عناصر مشبوهة في ساحة حياتنا وهي تعمل على تنغيصها بما تنادي به من أفكار غريبة لا صلة لها بمجتمعنا وعقيدتنا وتاريخنا.

تنطلق أصوات تلكم العناصر المشبوهة من الادعاءات الآتية:

(*) الرسالة صادرة عن جمعية المحافظة وترقية التراث الثقافي لمدينة بجاية، وموقعة من رئيسها الأستاذ سيد أحمد الطرابلسي. نشرتها «الشروق العربي» في عددها 1996/6/18.

1 – العرب المسلمون كانوا مستعمرين ولم يكونوا فاتحين!

2 – اللغة العربية لغة القرآن لغة فرضت علينا، وليست لغتنا، والإسلام دين غريب عنا!

3 – اللغة الفرنسية والفرنسيون أقرب إلينا من اللغة العربية والعرب.

1) العرب المسلمون كانوا مستعمرين!!

لم يتفوه بهذا الكلام غير منظري الاستدمار الفرنسي ليبرروا استدمارهم بلادنا، إنهم ما فتئوا يرددون: «إننا وجدنا الجزائر مستدمرة سنة 1830 ولم نفعل أكثر من افتكاكها من استدمار كانت ترزح تحته».

هذا الادعاء باطل وذلك للاعتبارات الآتية:

أولاً: إن العرب الفاتحين كانوا حاملين رسالة سماوية مهمتهم الأولى دعوة الناس إلى الإيمان بالله واحد لا شريك له، وأن محمداً بن عبد الله عبده ورسوله خاتم النبيين، دعوة الناس إلى التعاون على البر والتقوى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ صدق الله العظيم.

يقول رسول الله ﷺ: «لا فضل لعرب على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى».

ثانيا: عدد البربر المسلمين الذين كانوا في جيش طارق بن زياد البربري الأصل كان بنسبة الثلثين، مقابل ثلث من العرب. لو كان قصد العرب المسلمين استدمار المغرب كما يدعي المغرضون، لما سُمح لطارق بن زياد البربري تولي قيادة جيش المسلمين، مكون في أغلبيته من البربر، ولكنها العقيدة الإسلامية التي تسمو على كل اعتبار وتحمل المسؤولية في يد من يستحقها وجدير بها.

ثالثا: معظم الدول التي نشأت في المغرب منذ شروق شمس الإسلام على أرجائه إلى يومنا هذا، كانت ترأسها أسر غير عربية الأصل وإن كانت عربية اللسان، ابتداءا من الرستميين ثم الحماديين، ثم الزيانيين، إلى غير ذلك من الدول التي تعاقبت على تسيير شؤون مغربنا منذ الفتح الإسلامي.

2) اللغة العربية لغة القرآن لغة فرضت علينا وليست لغتنا والإسلام دين غريب عنا!!

أريد بادئ ذي بدء أن ألفت النظر إلى أن سكان منطقة القبائل على ما نعلم ونحن منهم، لم يفوضوا دعاة النزعة البربرية للتحدث باسمهم، أو تقرير مصيرهم، أو تحديد هويتهم، لأن مصيرهم مصير كل الجزائريين وهويتهم هي هوية كل الجزائريين. وهذه الهوية موجودة مع وجودنا على هذه الأرض تضرب بجذورها في التاريخ، نحن بربر عربنا الإسلام، واعتنقنا الإسلام طواعية، فتوطدت صلتنا برب الكون رب العالمين، واتخذنا الإسلام منهجا في الحياة فتحولنا إلى سادة بعد أن كنا عبيدا تحت قياصرة اللاتين، وتبنينا لغة القرآن اللغة العربية بكل فخر واعتزاز، أجدادنا الذين أقاموا صرح الحضارة العربية الإسلامية في ربوع المغرب وفي الأندلس لم يكونوا قاصرين أو بلهاء، وإنما كانوا راشدين واعين مدركين الفرصة التاريخية التي منحها إياهم الإسلام، فأخصبوا له وحملوا مشعله غربا وشرقا عاليا.

الثابت تاريخيا أننا قبل الإسلام لم نكن نملك لغة مكتوبة وإنما انتشرت بيننا في العهد القرطاجي اللغة البونيقية ثم عرفنا اللاتينية في العهد الروماني، إلا أنها لم تتوغل في سواد شعبنا مثل البونيقية، بل انحصرت في الفئة العميلة للرومان.

3) اللغة الفرنسية والفرنسيون أقرب إلينا من اللغة العربية والعرب!!

هذا الكلام ليس غريبا من أناس جعلوا قبلتهم باريس، كلما لجأوا إليها وما أكثر لجوءهم، استقبلهم رؤساء فرنسا بالأحضان مثل ما فعل ميتران وزوجته بمعطوب الوناس، فاستقبلوه استقبال الوصي للقاصر أوالمتبوع للتابع، فأغدقوا عليه العطايا والجوائز، لا لشيء إلا لأنه يمجد اللغة الفرنسية والفرنسيين، ويحارب اللغة العربية والإسلام. ألم يصرح في التلفزة الفرنسية «لو عممت اللغة الفرنسية منذ سنة 1962 في الجزائر لما كانت اليوم قضية اسمها (تمازيغت)».

نستنتج من هذا التصريح ما يلي:

الدعوة إلى الأمازيغية دعوة مشبوهة تخفي مقاصد غير التي توهم الناس بها، إذ ماذا يعني كتابة هذه اللهجة بأحرف لاتينية! بكل صراحة يعني إبقاء الحرف اللاتيني حيا في حياتنا، وبالتالي يعني بقاء اللغة الفرنسية مسيطرة على دواليب حياتنا، فتكون

الأمازيغية المكتوبة بالأحرف اللاتينية عبارة عن لغة فرنسية بالوكالة قلبا وقالبا.

هذه الدعوة شبيهة بالدعوة إلى الحضارة المتوسطية لمحاربة حضارتنا العربية الإسلامية، حضارة متوسطية في الاسم، وفرنسية في المعنى والقصد، دعوة إلى حضارة متوسطية في الظاهر ودعوة إلى الاندماج في فرنسا في حقيقة الأمر، أصحاب النزعة البربرية يريدون أن يمحوا تاريخنا العربي الإسلامي، الذي هو صفحات ناصعة في جبيننا، دول مستقلة معتزة بشخصيتها العربية الإسلامية ساهمت في تشييد أنبل وأعظم حضارة أخرجت للناس ألا وهي الحضارة العربية الإسلامية.

تريد النزعة البربرية أن تعيدنا إلى التبعية اللاتينية بعد أن حررنا الإسلام منها.

تريد النزعة البربرية أن تقضي على اللغة العربية لغتنا التي سجلنا بها أنصع صفحات تاريخنا المجيد، وتحل محلها لهجة صنعت في مخابر فرنسا الاستدمارية، مكتوبة بأحرف لاتينية لاتمت بصلة إلى شخصيتنا ولا إلى أصالتنا.

لا، لا، كفى مهزلة. إن الظروف الصعبة التي تواجه شعبنا، والفراغ المتفشي في بعض القطاعات، لاينبغي أن يتحول إلى مطية يركبها الانتهازيون والاندماجيون، ليزرعوا الفتنة بيننا، تدعمهم قوى تغريبية في الداخل وقوى أجنبية في الخارج، تعمل للإجهاز على هويتنا ووحدتنا.

إن مقاصد أصحاب النزعة البربرية صارت معروفة لكل الشعب الجزائري بما تنطوي عليه من تضليل، ودعوة صريحة إلى الاندماج في فرنسا، وإلا كيف نفسر سلوك هذه الفئة التي لاتتعامل إلا باللغة الفرنسية وتمنع على أتباعها التحدث باللغة العربية لغة الجزائريين.

إن الأحزاب السياسية التغريبية داعية الاندماج، التي عجزت عن إقناع الشعب بترهاتها وسخافاتها، راحت تستعمل دعاة النزعة البربرية في محاولة يائسة لتحقيق مقاصدها الدنيئة في منطقة القبائل.

بجاية في 12 ذي الحجة 1416هـ/1996/4/30

رئيس جمعية محافظة وترقية التراث الثقافي

لمدينة بجاية سيد أحمد طرابلسي

ملحق رقـــم 11

رأي الأستاذ محمد البصري (*)

في المسألة البربرية

أنا من أصل بربري... ومع ذلك فإن تاريخي النضالي على مدى خمسين عاما قد ارتبط بالوطنية المغربية والقومية العربية.

لاتوجد مسألة بربرية بالمعنى السياسي الحقيقي للكلمة – مثلما توجد مثلا مسألة كردية في العراق أومسألة جنوب السودان، ناهيك عن المسألة الطائفية في لبنان. فالبربر مندمجون تماما في مجتمعهم بشمال إفريقيا بسبب الرابطة الإسلامية، وبسبب التزاوج المستمر، وبلا عقد عنصرية بين العرب والبربر، فوالدة الملك بربرية، وزوجته بربرية... والكثير من أسر المغرب تجد فيها الأب أوالأم من البربر...

إن المشكلة في نظري مشكلة مصالح اقتصادية – سياسية، ومشكلة ديمقراطية في المغرب. فالذين يثيرون المسألة البربرية مثلما هو الحال في الجزائر مثلا، يفعلون ذلك حفاظا على مصالحهم الاقتصادية والوظيفية في جهاز الدولة والإدارة الجزائرية. وهؤلاء هم بربر منطقة القبائل الذين تفرنسوا لغة منذ وقت طويل، ومن ثم مكنهم الاستعمار من شغل كثير من المواقع الثانوية في الإدارة والتجارة، وخاصة في العاصمة، التي تقع قرب منطقة القبائل. وحين حصلت الجزائر على الاستقلال كان هؤلاء هم الكوادر الوحيدة المدربة، فانتقلوا من المواقع الثانوية إلى المواقع الرئيسية الأولى التي أخلاها الأوربيون في أجهزة

(*) أحد السياسيين المغاربة المعروفين مغربيا وعربيا، والمناضلين في سبيل توحيد شعوب الأمة العربية وتحريرها من الاستعمار والاستبداد.

الإدارة والخدمات والإنتاج. ومع اشتداد موجة التعريب في الجزائر بات هؤلاء يشعرون بالخطر على مصالحهم المكتسبة فرفعوا شعار الثقافة البربرية حينا وشعار الثقافة الجزائرية حينا آخر في مواجهة التعريب والثقافة العربية... أما في المغرب فلا تعدو المسألة أن تكون جزءا من اللعبة السياسية «فرق تسد». وقد وجدت بعض القيادات المغربية ذات الأصول البربرية والتي ليس لها قبول شعبي – إما لغياب تاريخ نضالي لها أولغياب برنامج سياسي اجتماعي تقدمي لها – وجدت أن وسيلتها للوصول إلى السلطة أوالمشاركة فيها هي أن تستغل هذه النعرة العنصرية... ولاينجح هذا الاستغلال إلا في أكثر مناطق المغرب تخلفا، وهي منطقة الأطلس. ولكن هذا الحزب لو نزل إلى الدار البيضاء، ونصفها على الأقل من أصول بربرية، فلا فرصة أمامه في النجاح. فبربر المدن لايستجيبون لمثل هذه الدعوات العنصرية المتخلفة...»

في الواقع أن من يدعو إلى الثقافة البربرية في مواجهة الثقافة العربية، ينتهي موضوعيا إلى الدعوة إلى الثقافة الفرنسية، حتى عن غير قصد. فحيث أن البربرية لغة غير مكتوبة ولايوجد لها تراث مكتوب، فإن المناهض للعروبة والعربية سينتهي حتما إلى الأخذ بأحد اللغات العصرية الأخرى. ولما كانت الفرنسية هي الأقرب والأقوى، وهي المتاحة على أي الأحوال، فإن هؤلاء الدعاة سيأخذون بها... من هنا ليس صدفة أن فرنسا هي المشجعة الأولى والرئيسية لحركة الثقافة البربرية. فهي تدرك أن الذين ينجذبون إلى هذه الدعوة سينتهون موضوعيا في مجرى فرنسا والثقافة الفرنسية. وإذا كان لي كبربري أن أختار لغة وثقافة غير بربرية، فالعربية هي اختياري، وهي اللغة الوطنية، وهي لغة الإسلام، وهي وسيلتي إلى تراث العرب والمسلمين، ووسيلتي إلى مستقبل قومي عربي مشترك مع بقية الشعوب العربية...»

ملحق رقم 12

رأي المستشرق الفرنسي جاك بيرك* JACQUES BERQUE

● وسألت الأستاذ جاك بيرك عن رأيه في ما يدور من حديث حول ما يسمى بالصحوة البربرية في وسط القبائل بالجزائر، فأجاب يقول:

□ البربر هم قبائل متوسطية قديمة، يرجع تاريخها في المنطقة إلى القرن الثاني عشر قبل المسيح، وكنت قد اهتممت بهم مثل كثير من المستشرقين. لكني وجهت اهتمامي وأبحاثي وجهة علمية أكاديمية لا سياسية، لأن الدوائر الاستعمارية كانت تبذل جهودا مضنية لغرس الفتن بين العرب من ناحية، والبربر من ناحية أخرى، في إطار سياسة الشقاق، التي كانت تمارسها بفرض ضرب وحدة هذه البلاد، كما أنها كانت أول من وضع فكرة العروبة، في مواجهة فكرة البربرية، وترجيح إحداها على الأخرى حسبما تقضي بذلك مصلحته.

وفي أثناء حرب التحرير الجزائرية كانت المفاجأة التي أذهلت الاستعمار الفرنسي، أن البربر وقفوا إلى جانب إخوانهم العرب في صفوف المقاومة، مطالبين بالاستقلال.

● لكن ألا تعتبر عودة البربر للمطالبة بحقوق سياسية خاصة بهم، انتصارا للمخطط الاستعماري القديم.

□ لا أنكر أن هذا المخطط قد نجح إلى حد ما، لكن لاننسى أن هناك عوامل عديدة قد تلعب في هذا الاتجاه، منها إخفاق الموجة التحريرية المصبوغة بالعروبة.

وفيما يتعلق بالمطلب الخاص باللغة، لا أعتقد أنه مطلب مشروع لأنه سيؤدي في النهاية إلى انقسام الولاء. وكنت قد وجهت اللوم إلى صديقي عبد الكريم غلاب صاحب جريدة العلم بالمغرب الأقصى الذي تقدم بمشروع يقضي بتدريس اللغة الأمازيغية (البربرية) في المدارس المغربية بطريقة إلزامية، وقلت له: ولست على حق في ذلك. إذ كيف تجبر أطفال مدينة فاس العربية على تعلم اللغة الأمازيغية، وذكرت له أن الحلّ الأمثل الذي أراه، هو نفس الحل الذي أراه بالنسبة لبعض اللهجات الفرنسية في منطقتي الباسك أو بروتاني، إذ يمكن أن تكون هذه اللغات اختيارية لا إجبارية على الطالب في فرنسا.

(*) حديث أجراه مراسل صحيفة الأهرام المصرية د/ سعيد اللاّوندي، مع المستشرق الفرنسي جاك بيرك بتاريخ 1995/6/18.

الفهـــرس

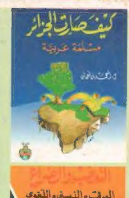
الفصل الخامس:

الفصل السادس:

الفصل السابع:

الفصل الثامن:

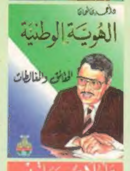


















ISBN.9961-67-022-1